حياة دافِعُها الأبديـة



لتكن حياتك
مؤثرة
اليوم وإلى الأبد

جـون بيـڤير

مؤلف كتاب "فخ إبليس" الذي حقق أفضل المبيعات

حياة دافعها الأبدية

لتكن حياتك مؤثرة اليوم وإلى الأبد

جون بيفير

Originally published in USA under the title:
«Driven By Eternity».

حياة دافعها الأبدية

الترجمة : سوسنة فاروق
المطبعة : شركة الطباعة المصرية - ت: ٤٦١٠٠٥٨٩
الطبعة : العربية الأولى ٢٠١١

P.T.W. للترجمة والنشر
تليفاكس : ٢٦٦٧٨٩٨٠ ـ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢ +)

Prepare The Way
Translators & Publishers

E-mail: ptw@ptwegypt.com
www.ptwegypt.com

رقم الإيداع : ٤٠٢٢ / ٢٠١١
ISBN: 978 – 977 – 443 – 104 – 3

أهدي هذا الكتاب ...

إلى كل من يعملون بلا كلل لبنيان حياة الناس لأجل الأبدية.

تشجعوا في سعيكم.

إن مجيئه يقيني ومجازاته معه.

«وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ».

يوحنا ١٧: ٣-٤

المحتويات

مقدمة

ما الذي يجعل كلمة الأبدية تجذب انتباهنا هكذا، بل وفي الواقع يمنحها إمكانية أن تؤثر على أمة بأكملها؟ هذه هي قصة آرثر ستيس، وهو أسترالي ولد ليعيش حياة يائسة في بداية القرن العشرين. كانت حياته حياة عربدة مليئة بالجريمة البغيضة، وإدمان الكحوليات في فترة ما بين الحرب العالمية الأولى والكساد العظيم. لكن تغير هذا كله عندما تقابل مع يسوع في السادس من أغسطس من عام ١٩٣٠، وسرعان ما سمع بعد ذلك راعيه وهو يصرخ قائلًا: «كم أتمنى لو يكون باستطاعتي أن أصرخ بكلمة الأبدية عبر كل شوارع سيدني!» فشعر بالانقياد أن يجعل هذه الصرخة واقعًا.

كان آرثر ينهض من نومه مبكرًا كل صباح، ويصلي لمدة ساعة، ويغادر منزله ما بين الخامسة والخامسة والنصف صباحًا، لكي يذهب إلى أي مكان كان يشعر أن الله يقوده إليه، ويظل لمدة ساعات يكتب كلمة واحدة هي الأبدية، كل ثلاثين مترًا تقريبًا على أرصفة مدينة سيدني. ولأكثر من عشرين عامًا ظل عمله لغزًا. من الذي كان يكتب هذه الكلمة الواحدة التي جعلت آلافًا لا حصر لهم يتوقفون ويتأملون في معناها الحالي وعلى المدى الطويل؟ هل فاز هذا الرجل الغامض بتأثير هذه الكلمة الواحدة وجزء من قوتها؟ ولم يُحل هذا اللغز إلا في عام ١٩٥٦.

بعد وفاة آرثر بعامين في عام ١٩٦٧، نشر شاعر سيدني دوجلاس ستيوارت هذه الكلمات تخليدًا لكلمة ذلك الواعظ الذي كان يكتب على الجدران:

ذلك الشاعر الغامض الخجول آرثر ستيس،
الذي كان عمله هو مجرد كلمة قديرة واحدة،
سار إلى أقصى أعماق الزمان والمكان،
وهناك نُطقت كلمته وقد سمعها ...
الأبدية، الأبدية، كانت ترن في أذنه مثل الأجراس.
عذوبتها من أصوات السماء، وعتامتها من الجحيم.

عظـة من كلمة واحدة لمست أمة بأكملها. وقد حُفظت رسالته لأجيال كثيرة عندما وضعها المعماري ريدلي سميث على صفيحة نحاسية في ميدان سيدني. وقد شاهدها لاحقًا أكثر من أربعة ملايين شخص في كل أنحاء العالم عندما كانوا يتابعون على التليفزيون حفل افتتاح أولمبياد سيدني، ومرة أخرى عندما تزخرفت بألوان زاهية وسط الألعاب النارية على جسر ميناء سيدني في ليلة الألفية الجديدة.

تستولي الأبدية على انتباه البشر جميعًا. لا يوجد عرق أو عشيرة أو نوع من البشر يمكنه أن يقاوم جاذبيتها. لقد خُلقنا وفي قلوبنا الأبدية وإحساس الامتداد الباطني غير المعروف لوجودنا. ولهذا فمن الحكمة أن نغوص إلى أعماق أكبر في ما يقوله خالقنا عن الأبدية، ففي النهاية تقول كلمته: «أيضًا من اليوم [منذ الأزل وإلى الأبد] أنا هو ولا منقذ من يدي. أفعل، ومن يردُّ؟» (إش ٤٣: ١٣). هذا نفسه هو السبب الذي جعلك تأخذ هذا الكتاب. وأؤمن أن اختيارك كان حكيمًا.

دعنا نصلي معًا قبل أن نبدأ. لقد صليتُ بهذه الكلمات بصوت مرتفع في دراستي، متوقعًا أن تصليها أنت أيضًا معي:

يا إله الأبدية، يا خالق الكل، ورب الكون. آتي إليك في اسم يسوع المسيح ابنك. أطلب في اتفاق مع خادمك جون بيفير أن تمسح عينيّ في هذا اليوم لكي أرى، وتمسح أذنيّ لكي أسمع، وتعطيني قلبًا يدرك ويفهم ما تقوله لي من خلال هذه الرسالة. أعترف باحتياجي إلى معونة الروح القدس لكي أعرف مشيئتك وطرقك لحياتي. ورغبتي هي أن أرضيك كل أيام حياتي وأيضًا طوال الأبدية. أرني لا طرقك فقط، بل قلبك أيضًا، لأعرفك. لأن هذه هي الحياة الأبدية أن أعرفك يا أبي السماوي معرفة حميمة. أشكرك لأجل أمانتك ونعمتك ورحمتك المذهلة.

ولنبدأ بمعرفة أن الروح القدس سوف يعطيك البصيرة والفهم اللذين لا تستطيع الحصول عليهما بمفردك. يا له من أمر مثير!

الفصل الأول

الأبدي

إحصاء أيامنا هكذا علمنا ... وعمل أيدينا ثبِّت علينا [أنجحه] وعمل أيدينا ثبِّته [أنجحه].
مزمور ٩٠: ١٢ ، ١٧

إن رغبة معظم الناس هي أن يحيوا الحياة التي تترك أثرًا. وهذا تطلع صحيح وبحسب التقوى. كانت هذه هي طلبة موسى في الصلاة السابقة. فقد بدأ بطلب الحكمة لاستغلال الوقت بأقصى ما يمكن. قد يمكن استرداد الكثير من الأمور الضائعة في الحياة. لكن الوقت الذي يساء استخدامه لا يمكن أبدًا استعادته.

وتختتم صلاته بهذه العبارة: «عمل أيدينا ثبِّته [أنجحه]». وتتكرر هذه العبارة ذاتها مرتين. لماذا تتكرر؟ لم يكن موسى يعاني من مشكلة في القواعد اللغوية أو في الذاكرة. بل كان هذا أسلوبًا أدبيًا موجودًا في الكتابات العبرية. ويعد هذا التكرار شكلًا من أشكال التوكيد. في لغتنا الحالية، عندما نريد التأكيد على أهمية كلمة ما أو عبارة ما، نستخدم أساليب متعددة. يمكننا أن نجعل الكلمة أو العبارة بالخط الأسود أو المائل أو نضع خطًا تحتها، أو نكتبها بخط مختلف، أو نضيف علامة تعجب لبيان الأهمية. هذه كلها طرق تستدعي انتباه القارئ إلى شيء في غاية الأهمية. لكن كُتّاب اللغة العبرية كانوا يكتبون الكلمة أو العبارة مرتين للتأكيد عليها، ولم يكن معروفًا عنهم المبالغة – فقد كانوا دائمًا يعتنون بكلماتهم. وحقيقة أن هذه العبارة قد تكررت مرتين في الكلمة المقدسة، لا تبين فقط أن مشيئة الله لنا هي أن ننجح، بل إنه مهتم للغاية بهذا. إنه هو الذي أكد عليه.

لقد خُلقنا لنكون ناجحين. إن الله يريد أن تكون حياتنا مهمة! لقد كانت هذه أولًا رغبة الله، وليست رغبتنا نحن. وهو يعلمنا بهذا من خلال الكتاب المقدس. دعني فقط أذكر موضعين يوضحان هذا الأمر: «**فيزيدك الرب إلهك خيرًا [ينجحك] في كل عمل يدك**» (تث ٣٠: ٩). لاحظ كلمة كل، وليس بعض! ونقرأ أيضًا: «**لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك. بل تلهج فيه نهارًا وليلًا لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه. لأنك حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح**». (يش ١: ٨)

لقد استلزم الأمر حكمة إلهية حتى نستمتع بالنجاح. يقول الكتاب المقدس: «**المقتني الحكمة يحب نفسه. الحافظ الفهم يجد خيرًا [ينجح]**». (أم ١٩: ٨). الحكمة تعطينا المعرفة والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة في الوقت المناسب. الحكمة الحقيقية لا تُعطى للأذكياء، لكنها لكل من يخافون الرب ويوجدون في المسيح. ولكي تحيا حياة لها أهمية أبدية، يجب أن تفعل هذا من خلال الحكمة الإلهية، وهذا هو موضوع هذه الرسالة كلها.

إن الحكمة تنتج النجاح، الذي بدوره يحقق الإشباع الدائم والمكافآت، «**إن كنت حكيمًا فأنت حكيم لنفسك**». (أم ٩: ١٢). لا يرغب الله في أن تنجح فقط، بل إنه يشتاق أن يكافئك على نجاحك. نقرأ أيضًا: «**الرب عارف أيام الكملة وميراثهم [مكافآتهم] إلى الأبد يكون.**» (مز ٣٧: ١٨).

وقد حظيت حقيقة أن الله يريدنا أن ننجح، بتأكيد قطاع كبير من الكنيسة في السنوات الأخيرة، ويجب أن يكون الأمر كذلك. لكن كثيرًا ما يُفهم النجاح بالطريقة التي يعرّفه بها المجتمع، بدلًا من الطريقة التي يراه بها الله. ويُرى بعيون ما هو وقتي، بدلًا من ما هو أبدي. وهذا يخلق غموضًا في الفهم، مما يؤدي إلى مساعٍ مضلِّلة. كلنا في يوم ما سوف نقف أمام ديان الكون، يسوع المسيح، وإذا كنا قد جعلنا حياتنا مؤثرة من خلال الحكمة الإلهية، فسوف نكافأ أبديًا.

إذا كنا قد ضللنا في شؤوننا، فإما أننا سوف نعاقَب أو نتحمل خسارة أبدية. لهذا فمن الحكمة أن نصرف ساعات قليلة في اكتشاف ما يبحث الله عنه.

هذا هو ما يركز عليه هذا الكتاب، أن تكون حياتك مؤثرة ليس اليوم فقط، بل طوال

الأبديــة. والكتــاب المقدس واضح في كيفية فعل هـذا. إذا كنا نريـد أن نتحفز بما هو أبدي، فلنبدأ من خلال فهم الأبدية.

الأبدية

اقرأ هاتين الآيتين بعناية:

«هـوذا الله عظيم ولا نعرفه وعدد سنيه لا يُفحص». أيوب ٣٦: ٢٦

وقد جاءت في ترجمة TLB الإنجليزية: «لا يستطيع أحد أن يبدأ في معرفة الأبدية».

«جعل الأبدية في قلبهم». جامعة ٣: ١١

الأبديــة. مــا هي؟ كيف يمكـن تعريفها؟ كيف يمكـن فهمها؟ يورد أحـد القواميس تعريفًـا لهـا علـى أنها الزمن غير المحـدود[1]. ويقول آخـر: إنها حالـة الوجود خارج الزمن[2]. كيف يمكن لأحد القواميس أن يقول عن الأبدية إنها وجود داخل حالة الزمن، ويقـول الآخـر إنهـا خارج الزمن؟ لمـاذا لم يتشكك أحـد في هذا الأمر؟ ألـن نتشكك لو وجدنـا كتابين علميين يعرّفان شيئًـا ما في عالمنا بأنه موجود في حالات مختلفة؟ افترض أن كتابًـا ما يعرِّف الأسماك على أنها كائنـات فقارية تعيش في الماء بينما يقول آخر إنها تعيش في بيئات خالية من الماء. سوف نستنتج على الفور أن أحدهما خطأ ونتخلص منه. لكن لماذا لا نتشكك في تعريفات القواميس عن الأبدية ونتخلص منها؟

الحقيقـة هي أن الأبدية لا يمكـن فهمها عقليًا. إن عقولنا محـدودة، ومحرومة من أن تـدرك المفاهيـم الخالدة أو الدائمة إلى الأبد. اسمح لي أن أوضح هذه النقطة. توقف لحظـة وتخيل أين تكـون نهاية الكون. فكر في حدوده الخارجية. لو استطعت ذلك، فما الـذي ستجـده عند الحدود الخارجية وقتها؟ هل ستجـد جدارًا؟ ما هي مادة صنعه؟ ما مقـدار سمكه؟ هل سيكون الجانب الخارجي للجدار هو نقطة نهاية الكون بالضبط؟ إن كان الأمـر كذلـك، فما الذي يوجد فيما وراء خارج الجدار؟ المزيد من الفضاء؟ ألا يمثل هـذا استمرارًا للكـون؟ أين النهاية؟ هل يمكن لعقلك أن يستوعب لانهائية الكون؟ فقط توقف وفكر في الأمر.

أو ماذا عن الحفرة التي لا قاع لها؟ هل يمكنك أن تتخيل السقوط في حفرة لن تكف فيها أبدًا عن السقوط؟ لن تصطدم أبدًا بأرضية أو حتى تراها. بل ستظل تسقط وتسقط إلى الأبد. هناك شيئان، وليس شيئًا واحدًا، يعوقان منطقنا الفكري هنا، أولًا: عدم وجود قاع. وثانيًا: الوقت اللانهائي للسقوط. إنه أمر يصعب فهمه، ويبدو وكأنه فكرة خيال علمي، ومع هذا فالكتاب المقدس يشير إلى مثل هذا المكان سبع مرات.

وماذا عن الله نفسه، خالق الإنسان؟ توقف لحظة وفكر في بدايته، أو ربما يجدر بي أن أقول «اللابداية». تعلن الكلمة المقدسة أنه «منذ الأزل وإلى الأبد». إذا لم يكن مولودًا، وإذا لم يخلقه أحد، فكيف بدأ إذًا أن يكون كما عليه؟ كيف تطور؟ الحقيقة هي أنه لم يتطور ليصبح الله، لأن كاتب المزمور يعلن قائلًا: «من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله.» (مز ٩٠: ٢). تأمل في هذا الأمر قليلًا. إذا فعلت هذا فسوف تحبط منطقك العقلي لأنه، كما قال أيوب، «لا يستطيع أحد أن يبدأ في معرفة الأبدية».

موضوعة في قلوبنا

إن الشيء الذي نعرف أننا لا يمكننا الوصول إليه في الحقيقة بأذهاننا الطبيعية قد وضعه الخالق في قلوبنا. فالأبدية معروفة لقلوبنا. إنها مولودة في كل إنسان. ولهذا «قال الجاهل في قلبه، ليس إله». (مز ١٤: ١). لاحظ أن الكلمة المقدسة لا تقول «قال الجاهل في عقله». هناك العديد من الملحدين الذين ينكرون بكل تأكيد وجود الله، لكنهم في قلوبهم يعرفون أنه موجود، لأن هذا مغروس في قلوبهم. إنهم لم يقسّوا قلوبهم بعد لدرجة الفساد الكامل.

أعرف صديقًا كان ملحدًا بشدة منذ سنوات، أو هذا هو ما كان يعتقده. لم يكن يسمح لأي شخص أن يشهد له. بل أنه ذات مرة انتزع كتابًا مقدسًا من بين يدي زميله في العمل في أحد الأيام وألقى به على الأرض وداس عليه بقوة، ولعن الرجل وكتابه المقدس. وقد اتهم زميله المسيحي هذا بأنه ضعيف ولا عقل له.

بعد ذلك، وبعد سنوات من الإلحاد الصريح، تعرض لآلام صدرية حادة. أجرى الأطباء له جراحة استكشافية. وأقفلوا صدره على الفور وأخبروه أن أمامه أقل من أربعة وعشرين ساعة قبل أن يموت.

وبينمـا كـان مستلقيًا على فراشـه في تلك الليلة، أدرك أنه ذاهب إلى مسكنه الأبدي ولـم يكن هـو أبدًا المكان الـذي يريد أن ينتهي الحـال به فيه. كيف عـرف هذا بـالرغم مـن أنه لم يكن يسمح لأحـد أن يشاركه بـالكتب المقدسة؟ هل يمكن أن يكون السبب أن الأبديـة كانت موضوعة في قلبه، تمامًـا كما تقول الكلمة المقدسة عن البشر جميعهم، «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم» (رو ١: ١٩)؟

فـي تلـك الليلة توقف قلبـه. فغادر جسده ونـزل إلى الظلمة العميقـة. كانت الظلمة سميكة جدًا لدرجة أنه شعر أنه كـان يرتديها. لم يكن هناك ولا بصيص نور واحد. وبعد أن ظـل يسقـط لوقت بدا له أنه وقـت طويل، سمع الصرخات المرعبـة للنفوس المعذبة. وجذبته قوة شديدة إلى أعلى، إلى بوابات الجحيم، وعندها استطاع فجأة أن يعود مرة أخرى إلى جسده. لقد اختبر الإحياء.

فـي الصبـاح التالي استدعـى الرجل المسيحي الوحيد الذي كان يعرفـه. أتى إليه صديقـه وأعلن بشـارة الخلاص بيسـوع المسيح. وبمجـرد أن قبل يسـوع المسيح في حياته ربًا ومخلصًا، صلى صديقه لأجل شفائه. وبعد ثلاثة أسابيع خرج من المستشفى ولايزال حيًا وقت كتابة هذا الكتاب. إنه معجزة تسير على الأرض.

عندما كان ملحدًا كان يعلن أن الله غير موجود، ومع هذا فقد كانت الأبدية مغروسة في قلبة. لكن الجاهل، من الناحية الأخرى، هو الشخص الذي لم ينكر الله عقليًا فحسب، بـل إنه قاومه أيضًا في قلبه لدرجة أن أصبح ضميره متحجرًا. لقد أصبح خارج نطاق الوصول إليه. إن التمسك بمعتقد في عقلك يمكن أن يتغير، هذا شيء، والقساوة الكاملة لقلبـك شيء آخـر. يقدم لنا قـاموس أنجر الجديد للكتـاب المقدس هـذا التعريف: «في الكتـاب المقدس يشير «الجاهل» في الأساس إلى الشخص الذي يتخلى عن مخافة الله ويفكر ويتصرف كما لو أنه يمكنه التغاضي عن المبادئ الأبدية لبر الله ويظل آمنًا».[٣]

يمكـن أن يقـرّ الجاهـل بوجـود الله فكريًا، لكنه ينكـر وجوده في قلبـه، الأمر الذي ينعكس في الكيفية التي يحيا بها. إن مخافة الله هي ما يحفظ قلوبنا في نطاق الروح القدس. وإذا ضاعت، لا يتبقى لنا رجاء. قال بولس: «أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم، والذين بينكم يتقون الله، إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص.» (أع ١٣: ٢٦). إن من يخافون الله ويتقونه هم فقط القادرون على سماع كلمات الحياة الأبدية.

تعريف الأبدية

لقد غُرست الأبدية في قلوبنا، بالرغم من أننا يستحيل أن نفهمها بعقولنا. ولهذا فإنني في تعريفها، أطلب منك أن تصغي إلى قلبك. في الحقيقة، يعتبر هذا أمرًا ضروريًا حتى يمكنك أن تنتفع من هذا الكتاب بأكمله. كيف تفعل هذا؟ أول كل شيء، يجب أن تعترف باحتياجك للروح القدس لكي يساعدك، وأن تطلب معونته، وهو ما قمنا به بالفعل (انظر المقدمة). سوف يتواصل مع إنسانك الداخلي، وليس مع رأسك. ثانيًا، توقف لكي تفكر وتتأمل عندما يتحرك قلبك أو تستحوذ عليه جملة تعبر عن الحق. لا تسرع في قراءة الكتاب. إذا فعلت هذا فسوف تكون الفائدة التي تجنيها محدودة. لكن لكي تحصل على التأثير الكامل لكلمة الله الأبدية لك، طبق هاتين الخطوتين وسوف تتغير إلى الأبد. يقول داود: «*خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك.*» (مز ١١٩: ١١). لا تقرأ فقط لتنال فهمًا عقليًا، يمكن بسهولة نسيانه أو فقدانه. بل اسمح لكلمته أن تُخبَأ في قلبك من خلال التأمل والصلاة.

إن الأبدية أبدية؛ لا توجد لها نهاية. لكنها ليست مجرد مسألة زمن لا يتوقف، فهي لا تخضع للزمن، بل إن الأبدية تسمو فوق الزمن. إن الحديث عن الأبدية بمفاهيم الاستمرار الدائم فقط، معناه أن تفوتنا الصورة الكاملة. لكي نحصل على أفضل لقطة للأبدية، يجب أن ننظر إلى الله نفسه. إنه غير محدود في القوة والمعرفة والحكمة والفهم وكل المجد، وليس هذا كل شيء. إنه موجود بذاته، منذ الأزل كان وإلى الأبد سيكون هو الله. إنه يُسمى «*أبًا أبديًا*» (إش ٩: ٦). تقول ترجمة يانج الحرفية إنه «أبو الأبدية»[4]. ويسمى «*ملك الدهور[الأبدية]*» (١تي ١: ١٧). كل ما هو أبدي موجود فيه. في الواقع، إن الأبدية نفسها موجودة فيه. كل ما هو خارجه وقتي وسوف يتغير، ومهما بدا جيدًا أو نبيلاً أو قويًا أو دائمًا، فسوف يتوقف في النهاية. حتى الأرض والكون سوف يتغيران، لكنه هو لن يتغير:

> وأنت يا رب في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغيّر، ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفنى.
>
> عبرانيين ١: ١٠ ــ ١٢

لا يقتصر الأمر فقط على أنه هو لن ينتهي، بل إنه سيظل كما هو إلى الأبد. يعلن الكتاب المقدس قائلًا:

«لأن كل جسد كعشب. وكل مجد إنسان كزهر عشب. العشب يبس وزهره سقط. وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد». وهذه هي الكلمة التي بشرتم بها. ١ بطرس ١: ٢٤_٢٥

إنه أبدي، ولهذا فما يقوله أبدي. لا يمكنه أن يكذب، ولا يمكن لما يقوله أن يُكسر. لو لم يكن الأمر كذلك، لكان كل شيء قد انهار في ظلمة مطلقة، لأنه هو النور والحامل كل الأشياء بكلمته. لا يمكن أن يكون هناك تغيير فيما يقوله، وإلا لن يكون أبديًا بعد. وهذا أساس صلب يمكننا أن نبني عليه حياتنا.

الدينونة الأبدية

الكثيرون اليوم لا يبنون حياتهم على ما هو أبدي – كلمة الله – بل على الأفكار الثقافية والتقاليد والافتراضات والمشاعر العاطفية عن من هو الله. ولا ينطبق هذا فقط على غير المسيحيين المؤمنين، بل على الكثيرين من المؤمنين أيضًا. وهو أمر مخيف أن تؤمن بشيء وقتي على أنه حقيقة أبدية. عندما يحدث هذا، يكون أساسك معيبًا وتكون بهذا قد هيأت نفسك لسقوط حتمي. سوف تصدق أكذوبة وتكون في حالة الانخداع.

يذهلني عدد الناس الذين أقابلهم والذين يؤسسون حياتهم على ما هو غير أبدي. البعض يخبرونني عن الله وعن إيمانهم بابنه، ولكن الشخص الذي يتحدثون عنه ليس هو الشخص المعلن في كلمة الله. إنهم في خداع عميق. كيف يمكنهم أن يصدقوا ما تخيلوه ببساطة داخل عقولهم، وما شكّله مجتمع أعلن بالفعل مناقضته لطبيعة الله؟ قال يسوع:

من ... لم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير. لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول وبماذا أتكلم. يوحنا ١٢: ٤٨_٤٩

يوجد يوم للدينونة، قد تعين منذ تأسيس العالم (أع ١٧: ٣١). هذا اليوم لن يأتي بإعلانات جديدة للحق، بل سوف يقيس كل الأشياء تبعًا لما قيل بالفعل. إن كلمة الله، التي نمتلكها حاليًا، سوف تديننا في اليوم الأخير. إنه أمر أبدي. إنه أمر نهائي. لا

يوجد استثناءات أو تبديلات أو مراجعات. ألن يفيدنا أن نعرف ما يقوله ونحيا به، بدلاً من أن نفترض ما قاله؟

إن الدينونة التي ستُصدر في ذلك اليوم هي أبدية (عب ٦: ٢). أي أن القرارات التي ستُتخذ في ذلك اليوم، والتي ستكون مؤسسة على الكيفية التي توافقت بها حياتنا مع كلمته الأبدية، سوف تحدد الكيفية التي سنقضي بها بقية الأبدية! لن تكون هناك أية تغييرات لهذه القرارات، لأنها تسمى الدينونة الأبدية.

كثيرون جدًا، من المؤمنين وغير المؤمنين على السواء، يسمحون عن جهل للدينونة الموضوعة أن تسرع نحوهم دون أن يفكروا في تقصي الأمر. لقد بنوا رجاءً كاذبًا على المفاهيم غير الموجودة في الكتاب المقدس، البعض يظنون أن الله سوف يأخذ في الحسبان كل الصلاح الذي فعلوه وإذا كان أكثر من الأمور السيئة، فسوف ينالون الرضا. آخرون ممن يقولون إنهم اختبروا الميلاد الثاني ظنوا أنهم لن يقفوا أمام يسوع كالديان لأنه هو مخلصهم. وهم يؤمنون أنهم معفيون من أي شكل من أشكال الدينونة. وهؤلاء سوف يكونون أكثر من يتعرضون للمفاجأة. وهناك أيضًا آخرون يظنون أن كل شيء سيكون على ما يرام. وهم بهذا يثقون في رحمة غير كتابية.

لم يعلن العهد الجديد أو يعلم أيًا من هذه المفاهيم. هذه الأفكار وغيرها الكثير التي صاغها الناس في خيالاتهم، هي أفكار وقتية وليست أبدية، ولن تثبت في ذلك اليوم. سيكون هناك رجال ونساء مندهشون، وأنا شخصيًا أعتقد أن المصدومين ممن يقولون إنهم مسيحيون مؤمنون سيكونون أكثر من غير المؤمنين في يوم الدينونة.

الثقة عند الدينونة

ليس علينا أن نجتاز الدينونة في خوف، لكنه يمكننا أن نجتازها في ثقة:

> بهذا تكملت المحبة فينا: أن يكون لنا ثقة في يوم الدين، لأنه كما هو في هذا العالم، هكذا نحن أيضًا. ١ يوحنا ٤: ١٧

لاحظ عبارة «بهذا تكملت المحبة فينا». إن المفتاح الذي يعطينا الثقة في يوم الدينونة هو كمال (أو نضوج) محبة الله فينا. هذه هي النقطة التي يترنح فيها

الكثيرون في الكنيسة. فهم يرون محبة الله في ضوء ما هو وقتي، وليس ما هو أبدي. هناك محبة وصلاح، يعجب بهما المجتمع والكثيرون في الكنيسة، لكنهما محدودان بمقاييس البشر، ويتعارضان مع محبة الله. دعني أوضح بعض الأمور القليلة الشائعة.

«إننا نحب أحدنا الآخر كثيرًا جدًا ونخطط للزواج». غالبًا ما يقال هذا عندما يكون لاثنين علاقة جنسية خارج الزواج. وهذا ليس خطية فقط، حتى إذا أكملا الأمر وتزوجا، بل إنني في كثير من المرات رأيت من يقولون مثل هذه العبارة ينتهون بدون زواج. لقد نسوا التحريض الواضح الذي يقول: «ليكن الزواج مكرمًا عند كل واحد. والمضجع غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله» (عب ١٣: ٤) لاحظ أنه لا يقول «العاهرون والزناة الذين لا يحضرون الكنيسة». كلا، بل إنه يتكلم عن كل من يمارس أسلوب الحياة هذا.

«أعلم أنها لم تكن الحقيقة بالتمام، لكنها سوف تساعد في إتمام الصفقة وسوف نحرص على أن يحصلوا على معاملة جيدة». غالبًا ما يقول أصحاب الأعمال ذلك، عندما يريدون أن يضمنوا عملية بيع يرون حقًا أنها جيدة للناس، لكنهم يحتاجون إلى ليّ الحقائق قليلًا لكي يجعلوا العميل يتخذ هذه الخطوة. ليست هذه خطة الكذب فحسب، ولكن دائمًا وفي أغلب الأحوال ما تكون الصفقة جيدة جدًا بالنسبة لمن يقول هذه العبارة. هل نسوا التحذير الذي يقول: «... جميع الكذبة (الذين يوصلون ما هو غير حقيقي عن علم بالقول أو الفعل)... نصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت». (رؤ ٢١: ٨)؟

«ما قلته عنه هو الحقيقة». وتقال هذه العبارة غالبًا عندما يتكلم الناس بطريقة سلبية (نميمة أو تشهير) عن زميل في العمل، أو صديق، أو مدير، إلخ. ربما يتصرفون وكأنهم يحبون ذلك الشخص أو مهتمون به، لكن الحقيقة هي أنه يمكن أن تكون محقًا ١٠٠ بالمائة، ومع هذا تكون مخطئًا بحسب المعايير الأبدية. إن كنت تتذكر، فقد نقل حام، الابن الأصغر لنوح، تقريرًا دقيقًا لأخويه عن عري أبيه وسُكْره. ولكن أتت اللعنة على نسله وظلت لأجيال عديدة نتيجة لإهانته لأبيه. هل نسي من يتكلمون بالنميمة والتشهير الوصية التي تقول للمؤمنين: «لا يئن بعضكم على بعض أيها الإخوة لئلا تدانوا. هوذا الديان واقف قدام الباب». (يع ٥: ٩).

والأمثلة عديدة ولا حصر لها، لكن الصفة المشتركة بينها هي أنها تتعارض مع

مشيئـة الله الأبديـة. والحقيقة المخيفة هـي، أن الكثيرين ممن يعيشـون بهذه الطريقة ويقولون هذه العبارات التي تبدو غير مؤذية، قد يحضرون الكنيسة، ويكونون في غاية اللطـف فـي سلوكهم، ويُنظر إليهم علـى أنهم مواطنون مثاليون. لكـن ما هو مقياسهم بالنسبـة لمـا هو أبدي؟ أعطانـا يوحنـا الإجابة على كيفية تكميـل (إنضـاج) محبة الله من قبل فـي رسالته:

> مـن قال: «قد عرفتـه» [لقد أدركته، وتعرفت عليه، وفهمته، ولـي صلة به (يسوع المسيح)] وهو لا يحفظ وصـاياه (تعـاليمه) فهـو كاذب وليس الحق [حق الإنجيل] فيه. وأمـا من حفظ (كنـوز) كلمته [من انتبه إلى وصاياه، من راعـى رسالته بأكملها] فحقًا في هذا قد تكملت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه. ١ يوحنـا ٢: ٤ ــ ٥

اذكر أن محبة الله الكاملة (الناضجة) هي التي تعطينا الثقة بالوقوف أمام الديان. أوضـح يوحنا أن محبة الله تتكمل بحفظ وصاياه، وليس بالسلوك بطريقة صالحة في نظـر المجتمع. تذكر أن حواء لـم تنجذب للجانب الشرير من شجرة معرفة الخير والشر، بل إلى الجانب الجيد. «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل» (تك ٣: ٦). هنـاك أشياء تبدو جيدة وجميلة لعيني العقل البشري، وهي تعارض محبة الله الأبدية. هذه الأشياء ليست أبدية ولن تدوم.

كمـا تقـول الكلمة المقدسة أيضًا أننا لا يمكننا أن نراعـي نسبة من وصايا الله ويكون لنـا بهـذا ثقة في يـوم الدينونة. إننـا عندما نلاحظ بعنايـة كلمته كلهـا، بأكملها، عندها تتكمـل محبـة الله. ولهـذا يعطينا الله النعمة، فهـي تمكننا من أن تكون لنـا القدرة على أن نطيع كلمته بالكامل، بطريقة مقبولة لديه. «لذلك ونحن قابلون ملكوتًا لا يتزعزع ليكن عندنا شكر (جاءت في إحدى الترجمات: نعمة) به نخدم الله خدمة مرضية، بخشوع وتقوى». (عب١٢: ٢٨).

والمفتـاح هو أن تعـرف ما يريده الملك ويبحث عنه، وليس مـا يبدو جيدًا بالنسبة للمجتمع أو للعقل البشري. ولهذا السبب يقول لنا الله: «ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيّروا عن شـكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله: الصالحة المرضية الكاملة». (رو ١٢: ٢). ما قد يبدو جيدًا لثقافتنا، ربما يكون إهانة لرغبات الله – الأبدية.

اسمـح لـي أن أوضح هذه النقطة. أنـا أجلس حاليًا في فندق فـي سنغافورة، حيث

سأعظ أمام ما يقرب من عشرين ألف شخص في عطلة نهاية الأسبوع. لقد زرت هذا البلد العظيم مرات كثيرة. كما أنني وعظت بالإنجيل أيضًا في هولندا مرات قليلة. في هولندا لا يعتبر مخالفًا للقانون أن يكون في حوزتك ماريجوانا أو تدخنها. الناس هناك يدخنونها قانونيًا ولا يخشون العقوبة. ولكن في سنغافورة، إذا أمسكوا بك ومعك مقدار معين من المخدرات (وهو مقدار صغير)، فسيتم إلقاء القبض عليك ومعاقبتك بشدة. إذا تم الإمساك بك وفي حوزتك مخدرات معينة، تكون العقوبة هي الإعدام شنقًا! عندما تسافر إلى سنغافورة، مكتوب على بطاقة الدخول نفسها «الموت لمروجي المخدرات بحسب القانون السنغافوري».

والآن هل يمكنك أن تتخيل شابًا هولنديًا يدخن الماريجوانا باستمرار ثم يسافر إلى سنغافورة ويشارك بما في جعبته مع أهل سنغافورة؟ سوف يقول بسعادة لأصدقائه الجدد: «يا رفاق، هذا الشيء عظيم. إنه يهدئكم، ويمنحكم نشوة ممتعة، ويزيل إحباطاتكم. أتريدون أن تجربوا القليل منه؟ إنني أود أن أقتسمه معكم».

عندها سيتم القبض عليه على الفور. فيشعر بالصدمة، ويكون أول سؤال يخرج من فمه للضباط هو: «لماذا تلقون بالقبض عليّ؟»

ويأتي يوم الحكم، ويقف في ساحة القضاء أمام القاضي مؤمنًا بكل قلبه أن أمامه فرصة للنجاة. ثم ينطق القاضي بالحكم عليه بأنه مدان ويذكر العقوبة.

يقول ذلك الشاب المصدوم «سيادة القاضي، في المكان الذي أتيت منه لا ضرر من اقتسام الماريجوانا مع الأصدقاء».

فيقول له القاضي: «أنت لست في هولندا، بل في سنغافورة. وفي هذه البلاد يعد هذا الأمر مخالفًا للقانون».

فتزول ثقة ذلك الهولندي، ولا يعود له شيء يستند عليه. لا يمكنه طلب اللجوء، لأنه واقف أمام أعلى محكمة في البلاد، مدانًا وليس من يدافع عنه.

أثناء وجودي في سنغافورة منذ عدة سنوات، كان هناك شاب أمريكي تم القبض

عليه بسبب تخريب سيارة. تم القبض عليه وحُكم عليه أنه مدان، وعوقب بالجلد بضع مرات بالخيزران. كانت هذه أداة عقوبة تترك أثرًا جسديًا دائمًا يتم فيها ضرب الشخص على ظهره بنوع من نبات البوص المعالج كيميائيًا. حتى الرئيس كلينتون نفسه حاول تخفيف الحكم على ذلك الشاب، لكنه لم ينجح. فقد كسر الشاب قوانين سنغافورة، وكان عليه أن يتحمل العقوبة.

سوف نقف جميعنا أمام المحكمة العليا للكون. وسوف يكون قرار هذه المحكمة قرارًا نهائيًا إلى الأبد. سيشعر الكثيرون بالصدمة، لكنهم ليسوا مضطرين لهذا. هل أنت مستعد؟ بحسب كلمة الله، يمكننا أن نقف أمام ديان الكون بثقة. والهدف من هذا الكتاب هو أن يساعدك أن تكون مستعدًا. لو كان ذلك الشاب الهولندي قد صرف وقتًا في التعلم والاستعداد لدخول سنغافورة، لكان قد تجنب العقوبة الشديدة. فكم بالأحرى كثيرًا يجب علينا نحن ذلك، لأن القرار الذي يُتخذ عند عرش الدينونة سوف يكون إلى الأبد.

المكافآت

سيكون هناك ما هو أكثر من دينونة واحدة، ستكون هناك واحدة لغير المؤمنين، وواحدة للمؤمنين، وواحدة أيضًا للملائكة. والقرارات المتخذة سوف تتفاوت. ستكون هناك خسارة وعقاب، وستكون هناك مكافآت. سوف نتعمق في هذا الأمر في الفصول القادمة، لكن دعني أوضح مرة أخرى أن القرارات المتخذة ستكون أبدية. لا يمكنني أن أوفي هذه النقطة حقها من التأكيد (حاول مرة أخرى أن تدرك اللانهاية). إن مشيئة الله هي أن نعرف هذا مسبقًا، وأن نعمل لأجل المكافآت. يقول بولس:

> ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحدًا [فقط] يأخذ الجعالة؟ هكذا اركضوا [في سباقكم] لكي تنالوا [جائزتكم]. وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى. وأما نحن [نفعل هذا لكي ننال] فإكليلاً [إكليل البركة الأبدية الذي] لا يفنى. إذًا، أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين (بدون هدف محدد). هكذا أضارب كأني لا أضرب الهواء. بل [مثل الملاكم] أقمع جسدي [أتعامل معه بخشونة، أضبطه بالمشقات] وأستعبده.
>
> ١ كورنثوس ٩: ٢٤ ـ ٢٧

إنه يقول بوضوح: «أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين (بدون هدف محدد)». وتوجد ترجمة أخرى تقول «لذلك أركض مستقيمًا نحو الهدف متعمدًا في كل خطوة». وهذا بالضبط هو ما يجب أن يفعله كل إنسان، أن يركض عن يقين وعن عمد لكي يفوز. إننا لا ننافس الآخرين، بل أنفسنا فقط.

منقادون بالأبدية

مجرد التفكير في أن كل شيء سوف يكون على ما يرام عند عرش الدينونة، ليس كافيًا. ليس لدينا عذر، لأن الله أتاح مشيئته لنا. ستكون هناك أعداد هائلة من الناس الذين فعلوا حسنًا بالنسبة لمن يقارنون أنفسهم بهم، ومع هذا فإنهم لم يسمحوا لما هو أبدي أن يوجه حياتهم ويزودها بالطاقة. ومن هنا يأتي عنوان الكتاب، حياة دافعها الأبدية.

كلمة «دافعها» تعني «الإرشاد، أو التحكم، أو التوجيه». تعريف آخر هو «تقديم القوة الدافعة لشيء ما». ما الذي يرشد حياتنا ويدفعها على هذه الأرض؟ هل هو الأمور الأبدية أو الوقتية؟ هل تتأسس على الحكمة الإلهية؟ أم أننا نقارن أنفسنا بالآخرين، أم أننا نصغي إلى الإطراء أو التقاليد أو الخرافات المعلنة من على منابر أو مدارس معينة؟ هل سيثبت ما بنينا حياتنا عليه أمام الله في يوم الدينونة، أم ستضيع مجهوداتنا إلى الأبد؟ تذكر أننا قد عرفنا بالفعل ماذا سيكون المعيار عند الدينونة: «الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير». (يو ١٢: ٤٨).

سيكون هناك الكثيرون ممن سيشعرون بالصدمة عندما يقفون أمام يسوع المسيح وقت الدينونة. أكبر عدد من هؤلاء لن يكونوا غير مؤمنين، بل من يعلنون إنهم مسيحيون مؤمنون! أجل، سوف يكونون ممن يشعرون بالأمان جزئيًا، بسبب ما يعلمه لنا العهد الجديد، لكنهم قد أهملوا البحث بعناية عن الصورة الكاملة. وسؤالي لك هو: هل تريد أن تكتشف الحق بعد أن يكون القرار الأبدي قد اتُخذ بالفعل، وفات أوان التغيير، أم أنك تريد أن تعرف الآن المقياس الذي سيُحكم عليك به؟

سوف يبدأ الفصل التالي بقصة رمزية سوف تستمر إلى الفصل الذي يليه. اقرأها بعناية وتذكر التفاصيل، لأننا سوف نرجع إليها كثيرًا. وسوف تختتم القصة في الفصل الثامن، وعندها سنناقش الحقائق في بقية الكتاب. يدور

الكتاب حول هذه القصة الرمزية، لذلك لا تختصرها، وربما تريد الرجوع إليها مع مواصلة التعليم.

معظم ما تتم المشاركة به في هذا الكتاب، تعامل الله به معي بحدة، بصورة شخصية. وسوف أشارك بالكثير من أخطائي الخاصة، التي فحصها الروح القدس تحت مجهر حقه. ورجائي هو أن تحفزك لكي تفتش الكتب باهتمام، حتى يكون لك الأساس الثابت الذي تقف عليه في يوم الدينونة. سوف أشاركك ببعض من أكبر المفاهيم المغلوطة في مجتمعنا والتي تجعل الرجال والنساء يبتعدون أكثر عن الشخص الذي يعترفون به مخلصًا. سوف تذهل، وترتعد، وتتأدب في بعض الأوقات، لكن كل هذا سيتبعه وعد، ورجاء، وتعزية.

إذا كنت شجاعًا، وتريد الحق، ولديك ميل من نحو الله، فدعنا نواصل إذًا. سوف تسعد أنك فعلت هذا! ليت الوصية التالية تدخل إلى قلبك:

> لقد أعادت عطية الله لنا علاقتنا معه وردت لنا حياتنا. وهناك حياة أكثر آتية — حياة أبدية! يمكنك أن تستند على هذا. أريدك أن تثبت قدمك على الأرض. قف ثابتًا على هذه الأمور حتى يمكن لمن وضعوا ثقتهم في الله أن يركزوا على الأساسيات النافعة للجميع. تيطس ٣: ٧ ـ ٨ (ترجمة الرسالة الإنجليزية)

الفصل الثاني

مملكة أفابيل - الحياة في إنديل

فكان يعلّمهم كثيرًا بأمثال (توضيحات أو مقارنات بجانب الحقائق لكي تفسرها) وقال لهم في تعليمه ... مرقس ٤: ٢

كان هناك ذات مرة عالم مشابه لعالمنا، لكنه مختلف في جوانب عديدة. في هذا العالم، لم تكن هناك أمم مستقلة، بل مملكة واحدة عظيمة فقط، اسمها أفابيل. وبالرغم من أن هذه المملكة كانت تشغل العالم المعروف كله، إلا أنه كانت لها عاصمة واحدة تجري منها قيادة كل شيء. وكان اسمها مدينة أفابيل العظيمة، والتي سوف نشير إليها من الآن فصاعدًا فقط باسم أفابيل.

كان يرأس هذه المدينة المسحورة ملك مهم اسمه يالين. كان الملك يالين معبودًا ومقدَّرًا للغاية من رعاياه. وكان ينشر عمقًا من المحبة التي بدت أنها لا تنضب أبدًا. كان قويًا وحكيمًا، ولكنه في الوقت ذاته، كان لطيفًا وسريع الضحك. ومع أن هيئة يالين كانت ملكية، إلا أنه كان ذا شكل جذاب. وكان الوجود معه يعني أن تجد نفسك محاطًا بمناخ من الصلاح. كان حضوره يرفع كل جانب من الحياة إلى مستوى أعلى. كانت رؤيته وبعد نظره مذهلين، وكانت له قدرة خارقة للطبيعة على تخطي أفعال الناس، ورؤية ما وراءها من دوافع قلوبهم.

كان والد يالين الذي أسس أفابيل معروفًا بأنه الملك الأب المؤسس. وبمجرد أن أرسى النظام، سلّم كل القيادة إلى ابنه. وقد ساعد سكان هذه المدينة العظيمة على

ترسيخ حكم يالين على الأراضي النائية للمملكة. وتم هذا من خلال نظام هرمي للسلطة والقيادة في حكم المدينة.

كانت المدينة هائلة، وتبلغ مساحة أراضيها حوالي مائتي ميل مربع. وكانت ذات تخطيط جيد، لدرجة أنه بالرغم من أنها كانت عالية الكثافة السكانية، إلا أنها لم تشعر بالازدحام أبدًا. وكان بها تركيبة من الضواحي، ومساكن المدينة، والفيلات. كانت البيوت الواقعة في الأراضي المسطحة، التي كانت نحو الطرف الغربي لأفابيل، كانت هي بيوت العمال المتواضعة. (تعتبر بيوتهم المتواضعة فاخرة بالنسبة لعالمنا). وبالرغم من أن وظيفتهم كانت أعمالًا شاقة، إلا أن هؤلاء السكان كانوا ممتنين فقط لكونهم يسكنون مدينة الملك. كانت الأراضي الجبلية الواقعة على الحدود الشمالية والجنوبية، هي مسكن المهنيين. وهؤلاء هم الماهرون في الفنون الإبداعية، في الموسيقى والكتابة والأعمال الفنية والتصميم. وكانت هذه البيوت ذات مناظر جميلة، وكان ثمنها أعلى من ثمن بيوت العاملين.

أما أكثر الأقسام جاذبية في المدينة فكان هو المنطقة الشرقية، التي كانت تحوي وفرة من الفيلات الجميلة. كانت المنطقة معروفة باسم المركز الملكي. وكان هذا الحي الكبير هو المكان الذي يقيم فيه الملك، ويقضي فيه معظم وقته، وكان موطنًا لمن كانوا يعملون مع الملك عن قرب. هناك كانت إدارته وكان القادة يتقابلون ويعملون معًا. كان المركز الملكي مثل الجوهرة على جرف يطل على شواطئ البحر العظيم. وكان هناك دائمًا نسيم لطيف يهب من المحيط الأزرق، وينعش المدينة. وحول هذه المياه كانت هناك أكثر الشواطئ البيضاء الصافية، والتي لم يكن يفوقها جمالًا سوى الحدائق الملكية. كانت هذه الحدائق تحيط بالمركز الملكي. بدون شك كان هذا الموضع هو أكثر مكان يرغب أي شخص أن يسكن فيه. لم يكن هناك ما يفوق أناقة البيوت هناك سوى القصر الملكي.

وفي وسط أفابيل كانت شجرة الحياة. كان رعايا الملك وحدهم هم الذين لهم الامتياز الكافي لاقتسام ثمرتها العجيبة. لم تكن الثمرة شهية المذاق وجميلة المنظر فحسب، بل كان بداخل قوامها العَطِر، قوة معجزية.

مجتمع إنديل

في الغرب من أراضي أفابيل المسطحة، كانت تقع البرية الخارجية، التي كانت تمتد بطول ما يقرب من ستين ميلاً على نهر أدونجا العظيم. مجرد أن تعبر نهر أدونجا، سوف تجد نفسك في مكان آخر من المملكة، اسمه إنديل. كان أطفال مواطني أفابيل عند ميلادهم، يُحضَرون على الفور إلى مقاطعة إنديل. وقبل أن يمر أسبوعهم الأول، كان يُعهد بهم لرعاية مربيات الملك. وعندما يصل هؤلاء المواطنون الصغار، أو أهل إنديل، إلى سن الخامسة، كانوا يُحضَرون إلى مدرسة إنديل، حيث يتلقون تدريبًا لفترة عشر سنوات. هناك كانوا يتعلمون طرق أفابيل وطرق الملك يالين. كانت مربيات الملك والمعلمون في المدرسة هم فقط الذين يحظون بفرصة مقابلة يالين. كان يزور إنديل سرًا كل خمس سنوات تقريبًا ليعبر عما في قلبه من نحو المدرسة والأطفال. وبالرغم من أنه لم يظهر قط أمام الجميع، إلا أن صلاحه كان واضحًا في كل أنحاء إنديل وفي كل جوانب المجتمع.

كان الهدف من السنوات العشر في مدرسة إنديل، هو إعداد الطلاب للحياة التي تنتظرهم. وعند سن الخامسة عشر، كانوا يحصلون على فترة قصيرة يطبقون فيها كل ما تعلموه، في هذه الفترة الزمنية كان يُعهد إليهم بأنصبة من الثروة والمسؤولية وكانت الطريقة التي يديرون بها حياتهم الصغيرة ومواردهم، تحدد كيف وأين سيقضون بقية حياتهم، والتي كانت تستمر في عالمهم لمدة مائة وخمسين عامًا. ومع أن فترة الاختبار كانت خمس سنوات بالتمام، إلا أنه لم يكن هناك أحد من الطلاب يعرف مدتها. كل ما كان يقال لهم هو أنها لن تزيد على عشر سنوات. وبنهاية هذه المدة، كان كل منهم يظهر أمام الملك لكي يعطي حسابًا عن اختياراته في الحياة.

كانت فترة الاختبار هذه تحدد ولاءاتهم. فمن كانوا يتبعون مراسيم يالين في كلماتهم وأفعالهم، كانوا بهذا يعترفون بقيادته، وكانوا يحظون بالاعتراف بهم كسكان لأفابيل. كانت اختياراتهم تضمن لهم المكافآت تباعًا. لكن أثناء فترة الاختبار إذا تمردوا وعاشوا فقط لحكم أنفسهم ويحكم أنفسهم، كانوا يُطردون إلى أرض العزلة. وكانت أرض العزلة هي أرض صحراوية، ظلامها مطلق، ويسود فيها الوحدة واليأس. هناك كانوا يحتملون العذاب والسجن طوال حياتهم.

كان أول شخص نُفي إلى هذا الانعزال هو داجون، الذي أصبح السيد الشرير

المؤسس لأرض العزلة. ومع أن تمرده على يالين كان منذ سنوات بعيدة، إلا أن تأثيره كان لازال قائمًا في أرض إنديل. كان سكان إنديل الذين اعترفوا بربوبية يالين، قد تحرروا من قوة داجون المظلمة. ولكن من رفضوا أن يخدموا يالين، ظلوا تحت سطوة ذلك السيد الساقط.

ولكي يعزل الملك يالين العظيم أي مزيد من الاختراق من الظلمة لمملكته، فقد اضطر إلى وضع مرسوم لحماية الاستقامة والبنية التحتية الاجتماعية لأفابيل. كل من يتبعون طرق داجون ويرفضون الاعتراف بيالين ملكًا بالقول والفعل، يُحكم عليهم بالنفي إلى أرض العزلة لبقية حياتهم.

وهكذا تبدأ قصتنا. سوف نتابع حياة خمسة طلاب في إنديل: فتاتين وثلاث فتيان. وأسماؤهم هي كما يلي: المستقل، والمخدوع، وضعيفة القلب، والأناني، وصانعة المعروف. دعني أقدم كل واحد منهم.

المستقل

كان المستقل يتشكك دائمًا في وجود أفابيل. فهو لا يمكنه حقًا أن يصدق أن شخصًا لم يقابله أو يرَه من قبل اسمه يالين، يمكن أن يطلب ليس ولاءه فقط، بل أيضًا مثل هذا الالتزام الصارم بقائمة من القواعد. وهو يشك أن هذه خطة هدفها هو أن تبقيه هو والآخرين تحت سيطرة المعلِمين. وهو يرفض، في ازدراء، أن يحضر الفصول ويتعلم عن هذه المملكة الخيالية.

يسخر المستقل من الآخرين، لأنهم يصدقون مثل هذا الكلام الفارغ. وينوي أن يحيا بحسب ما يراه مناسبًا له، ويظل حرًا من قوانين يالين. والاستثناء الوحيد لهذا هو إذا كانت هذه المراسيم تخدم أغراضه، عندها سوف يلتزم بها، لكن هذا فقط بسبب أنها فكرته. وهو لا يخاف من أن يعرف الآخرون أنه لن يسلم حياته لمشيئة شخص آخر.

المخدوع

لا يتشكك المخدوع في وجود أفابيل. فهو يؤمن بالملك يالين، بل ويُسَر أيضًا بوعوده. وهو يوافق عقليًا وشفهيًا على التعاليم والسياسات، إلا أن قسمًا كبيرًا من

أسلوب حياته يتعارض مع تلك التعاليم. فهو يحتفي بولائه للملك ولتعاليمه، ويشترك في وظائف المدرسة عندما تكون ممتعة، لكن إذا لم يكن يرى أية فائدة شخصية، سرعان ما تتغير نظرته. ويعد أسلوب حياته مناقضًا لأسلوب حياة أي تابع حقيقي ليالين، ونظرًا لقوة شخصيته، فإنه يجذب الآخرين بمكر إلى طرقه. وفي الحقيقة لا يتوقف على الإطلاق في التفكير في فترة الاختبار والحكم التي تنتظره.

يتماشى المخدوع جيدًا مع المستقل، بالرغم من أنهما يختلفان حول وجود يالين. يمتاز المخدوع بالمرح، وكلاهما له نفس الاهتمامات، ولهذا يحب المستقل صحبته.

ضعيفة القلب

تعتبر ضعيفة القلب أكثر الطلاب حماسًا. فهي تتكلم كثيرًا أمام الفصل وتحقق درجات عالية باستمرار. وهي نشطة للغاية، وعادة ما تكون هي من تبدأ الأنشطة الإضافية على المنهج الدراسي، لكي تساعد على تشجيع تداخل الطلاب في المجتمع. كل من قام بتقييم الطلاب كان يقول إنها كانت أكثرهم شغفًا بقضية يالين.

الأناني

يؤمن الأناني أيضًا بيالين وبتعاليمه. وهو لا يشك في وجود أفابيل، كما أنه طليق اللسان أيضًا. وهو يؤمن أن يالين حاكم رائع، وديان لطيف، سيسكب نعمته على كل من يعلنون ولاءهم له. وهو يركز على فهمه المحدود لتعاليم يالين وشخصيته. لقد نسي أن يالين قائد عادل وقدوس أيضًا، كما هو محب ورحيم. وهكذا نمت داخل الأناني نظرة مشوهة عن من هو يالين على حقيقته. وهو يرى أن المخدوع وضعيفة القلب وصانعة المعروف سوف يكونون بلا شك جزءًا من هذه المملكة المجيدة، وإن كانت لديه بعض المخاوف من جهة المقاومة الشديدة من جانب المستقل.

يؤمن الأناني أن كل من يعترفون بيالين بأفواههم، ويعيشون الحياة التي لا تكسر أية قوانين كبرى، سوف يحظون بدخول أفابيل. إلا أنه، كما يوحي اسمه، يريد أن يرضي نفسه كثيرًا، وغالبًا ما يكون الصلاح الذي يفعله، دافعه هو المنفعة الشخصية. في بعض الأوقات، يتحفز بالشفقة، لكن عندما تأتي الضغوط، يبحث الأناني عن أفضل مصلحة شخصية له.

صانعة المعروف

الشابة الأخيرة لدينا، التي هي صانعة المعروف، هي التي تحفظ في قلبها كل قوانين الملك يالين وتطيعها. وهي لم تتعلم مبادئه فقط، بل إنها تبحث أيضًا لتعرف قلبه الكامن وراء كل مرسوم. وهي تقضي وقتًا طويلاً في طلب معرفة وفهم مشيئة يالين. وهذا يعني ساعات طويلة من الدراسة وبذل نفسها بالكامل لصالح مدرسة ومجتمع إنديل. وهي تعلم أنها بمجرد أن تصل إلى سن الخامسة عشرة، سوف يكون أمامها وقت قليل لتنفيذ رغبات الملك العظيم في إنديل. وهدفها هو أن تحيا بالتمام لمجد يالين، ولن تسمح بأن تقف منفعتها في طريق قصدها الرئيسي.

تحب صانعة المعروف يالين وتشتاق إلى اليوم الذي سوف تقابله فيه. وهي تطيعه بحماس، وكثيرًا ما تتحدث مع الآخرين عن صلاحه. ولهذا فهي غالبًا ما تتعرض للسخرية والإبعاد. ومع أنها تتألم بسبب موقف الإخلاص غير المتزعزع لقوانين يالين، إلا أنه لا يوجد شيء يمكن أن يثنيها عن أن تكون أمينة للملك.

الخريجون

بلغ هؤلاء الخمسة الإنديليون سن الخامسة عشر. وجاء اليوم المعين، وتخرجوا مع ألفي طالب آخر. وعُهد إلى كل واحد بمهمة محددة ومبلغ نقدي مناسب لبدء المهمة. كان هذا المبلغ محدد مسبقًا من قبل يالين، وقام مدير المدرسة بتوزيعه عند التخرج. وكان التوزيع بين الطلاب الخمسة هكذا: استلم المستقل خمسة وخمسين ألف دولار. واستلم المخدوع وضعيفة القلب أربعين الف دولار لكل منهما، واستلم الأناني المبلغ الأكبر وهو خمسة وسبعين ألف دولار، وأخيرًا استلمت صانعة المعروف خمسة وعشرين ألف دولار. وبعدما استلم المواطنون الصغار أموالهم، أُطلقوا ومعهم بعض التعليمات الأخيرة.

رجل المبيعات

سرعان ما بدأ المستقل في النهم في الاحتفال بحريته التي وجدها مؤخرًا. ومع أنه كان نادرًا ما يحضر الفصول، إلا أنه كان مع هذا يشعر وكأنها سيف على رقبته. لقد سمع بعضًا من قوانين يالين في بعض المناسبات عندما كان يحضر الفصول. وفي بعض الأحيان كان يتساءل إن كان بعضها حقيقيًا. وكان يسأل نفسه، إن كان الأمر

كذلك، فهل يا ترى سوف يؤثر سلوكه السيئ على المبلغ الذي سيحصل عليه بمجرد انتهاء أيام المدرسة؟

ذُهل المستقل من مبلغ المال الذي تلقاه، بالرغم من أنه انتهك سياسات المدرسة. لقد تلقى أكثر مما تلقته ضعيفة القلب بخمسة عشر ألف دولار وأكثر من ضعفي ما تلقته صانعة المعروف. وقال لنفسه: «يا للإتلاف! لقد قضت صانعة المعروف وضعيفة القلب كل وقتهما في هذه الفصول غير النافعة وصرفتا الكثير جدًا من الساعات، والآن لم تحصلا سوى على القليل جدًا في مقابل هذا.» في الواقع كان هذا الأمر تأكيدًا لاعتقاده بأن يالين لم يكن موجودًا. فقد استنتج أن والديهم، الذين اختفوا منذ وقت طويل، قد تركوا لهم هذا المال. وهذا يؤيد أكثر وجهة نظره بأن كل الأمر كان احتيالًا من المدرسة للسيطرة على شبابهم، ومنعهم من أن يكونوا مفكرين أحرارًا ومستقلين.

بعد بضعة أسابيع من الاحتفال، أدرك المستقل أنه يجب عليه أن يؤسس عملًا تجاريًا. لقد صرف من ماله الكثير في وقت أقل مما خطط له. فبدأ مشروعًا لبيع السيارات، واكتشف أنه رجل مبيعات ممتاز. ازدهر العمل بصورة مذهلة. استخدم كثيرون ممن تخرجوا حديثًا جزءًا من المال الذي حصلوا عليه لكي يشتروا سيارات مستعملة، أو حتى جديدة من مشروع المستقل. ومع تضاعف أمواله، توسع هو في أعمال تجارية أخرى ولاقى نجاحًا فيها هي أيضًا. ومع زيادة أصوله، توسع وقام بتجميل أسلوب حياته الشخصية. وسرعان ما أدرك أن المال مصدر نفوذ مذهل، وبدا أنه يملك القدرة على شراء السعادة. وكانت ثروته وأصوله وأسلوب حياته الذي يتوسع بسرعة، لها القدرة على جذب النساء، مما جعل الحياة أكثر نشاطًا.

توقف المستقل عن حضور الاجتماعات الأسبوعية للمدينة. لكنه كان لايزال يعتبر مواطنًا صالحًا جدًا في نظر معظم الناس، لأنهم كانوا يقدرون مساندته لمشروعات المجتمع. وبدا أن الحياة في أفضل حالاتها بالنسبة لهذا الإنديلي المجتهد.

البَنّاء والمطوِّر

احتفل المخدوع لبضعة أسابيع أيضًا. ومع أنه لم يستلم مبلغاً مساوياً لما استلمه آخرون، إلا أنه كان سعيدًا أنه كان لديه أكثر مما لدى صانعة المعروف. وهذا أيضًا أكد

مفهومــه المشوه الخـاص عن يـاليــن كملك، على أنه مفرط فـي الرحمة، لدرجة أن هنـاك أمــورًا معينــة لا تـهمـه. كـان المخدوع منحلًا جنسيًــا وكـان يـواعد فتـاتين أثنـاء الدراسـة، بـالرغم من أن هذا كـان مخـالفًـا للتعـاليم التي تلقـاهـا. لم يكن يرى تعـارضًـا في هذا، لأنـه كـان يؤمــن بشدة بيـالين وبمملكته. وقد كـان توجـهه فـي الحيـاة هكذا: «طالمـا استمريت فــي تـأكيـد ولائـي ليـالين، ولم أضر أي شخص بدرجــة كبيرة، فسوف يظل موقفي جيدًا أمــام الملــك». وكـان يبرر هذا، بـأن يـالين يفهم أن كل شخصــ لديه احتيـاجـات، وأنـه لا يوجـد شخص كـامل. سوف تُستر كل أخطائه وقــت الدينونة بفعل رحمة يـالين ونعمتـه لأنـه كـان يؤمن بـه بكل قلبه.

وبعد أسابيع قليلة، بدأ المخدوع عمله التجاري الخـاص، تمـامًـا مثلمـا فعل المستقل. فـأصبــح بنّــاء للبيوت. فــي البدايــة، كـان يصارع للعثــور على الزبـائــن. كـان نموذجه متميزًا من كل نـاحية، لكنه لم يستطع أن يعثر على المشترين الملتزمين. البعض كـانوا يــرون أن سعــره مبالــغ فيه، وآخرون لــم يستطيعوا تـحمل نفقة شراء مثــل هذه البيوت الجميلة. وفـي يـأسه خفض أسعـاره. كـان لازال يستخدم نموذجه الجميل لجذب الزبـائن. كـان يستمــر فــي تقديم كل الوعود التي كـان يقدمهـا سـابقًـا، لكنه بدأ يستخدم مواد ذات مستــوى أقل بكثير ممــا قـالـه أو وعد بـه سـابقًـا. في الواقــع، كـانت بعض مواده مخـالفة للقواعــد والمعـايير. وكـان يبرر هــذا بـأن واضعي القوانين الذين حــددوا هذه المعـايير، كـانــوا حريصيــن أكثــر من الــلازم. كـان على يقين مــن أن المواد التــي اختـارهـا سوف تصمــد أمــام أي ضغـط أو أحــوال طقسية. وبمـا أن ذلـك كـان يبدو صفقــة مدهشة، فقد بــدأ أهــل إنديل في توقيع العقــود أسرع ممـا استطــا ع هو أن يبنيهـا. وأخيــرًا بدأ العمل التجاري في الانطلاق.

وبعـد عــدة سنــوات، قرر أن يتحــول إلى تطويــر الأراضي. كـان قد تعــب من شكوى الزبـائــن. وشعر أنـه بمجــرد أن تبـا ع الأرض، فقد انتهت علاقتــه بـالأمر. لن يكون عليه أن يتعـامــل مع بنــود ضمـان الإصلاح بعد هذا. مر المخدوع بقطعة أرض كـانت قيمتهـا ألف دولار تقريبًـا للفدان. وبدت جيدة جدًا بـالنسبة لـه. وبعد المزيد من استقصـاء الأمر، عــرف أنهــا كـانت أرضًـا واقعــة في نطاق الفيضـانــات. لم تكن هــذه المعلومة معروفة سوى لقلة قليلة من النـاس، وكلهم كـانوا أصدقـاءه. فـأقنـع رجلًا من مجلس المدينـة من أصدقــاء المستقل أن يوافق علــى تطويرهـا، دون الاختبـار الجيولوجــي المنـاسب. ففي النهـايــة، لــم تحدث أية فيضـانـات طــوال عمره، فهل كـانت هــذه مشكلة حقيقية؟ وتمت

الصفقة بدون أية مشكلات فنية. بعد هذا بدا أن الحياة في أفضل حالاتها بالنسبة لهذا المقاول الشاب.

مساعدة المدرس

بعد التخرج مباشرة، خرجت ضعيفة القلب مع بعض صديقاتها للتسوق في عطلة نهاية الأسبوع. وفكرت أن هذا سيكون جيدًا لسببين: الأول، هو أنه يمكنها أن تصرف الوقت في الاحتفال مع أقرب صديقاتها، والثاني، هو أنه يمكنها الحصول على الثياب والأكسسوارات التي يمكن أن تحتاجها في مهنتها الجديدة. كانت رغبة ضعيفة القلب العميقة هي أن تكون مساعدة مدرس في مدرسة إنديل. وتحدد موعد مقابلتها يوم الجمعة التالي.

في اليوم الثاني للتسوق، قامت إحدى صديقات ضعيفة القلب، وهي نميمة، بمشاركتها بكيف أن صديقة مشتركة بينهما، وهي افتراء، قد أخبرت مدير المدرسة أن ضعيفة القلب قد أقامت علاقة جنسية مع أحد الطلاب. ويمكن أن يعطل هذا بشدة فرصها في الحصول على وظيفة مساعدة المدرس. كانت هذه كذبة سخيفة وليس فيها أي قدر من الحقيقة، فقد حافظت على طهارتها طيلة وقت المدرسة. وشعرت بكل يقين أن افتراء قد فعلت هذا بدافع الغيرة الشديدة، وربما أيضًا البغضة. غضبت ضعيفة القلب جدًا. ونتيجة شعورها العميق بالإساءة، فقد انشغلت أفكارها لبقية نهاية الأسبوع، بخيانة هذه الصديقة المزعومة. وأقسمت أن تجعل افتراء تدفع ثمن ما فعلته.

جاء يوم المقابلة، ولدهشة ضعيفة القلب فقد تم اختيارها للوظيفة. وأخطرها مدير المدرسة أنه قد سمع الشائعة بالفعل، ولكن بعد التحقيق، اقتنع أنها ليست حقيقية. ولم تحصل على الوظيفة فقط، وإنما تم تعيينها مساعدة لأحد مدرسيها المفضلين. وكان اسمه مزدوج الحياة. كان واحدًا من أكثر المدرسين الموهوبين لدى يالين. دهشت ضعيفة القلب من أنه تم اختيارها للعمل مع مثل هذا القائد المليء بالقوة والنشاط. بدأ الفصل الدراسي وكانت الأمور تسير حسنًا إلى أقصى درجة، لكنها كانت لا تزال تحمل إساءة مزعجة من نحو صديقتها السابقة. ومهما سارت الأمور حسنًا، بدا أنها لا تستطيع حقًا أن تتغلب على خيانة افتراء.

وبالرغم من أن الأمور كانت تبدو رائعة، إلا أن المتاعب كانت تتخمر تحت السطح.

كان اسم مـزدوج الحياة يشير إلى شخصيته، فقد كان يعيش بطريقة معينة كمدرس، وبطريقة أخرى في حياته الخاصة. سوف تكون دينونته قاسية للغاية، لأنه بصفته معلمًا، فقد كان له امتياز رؤية يالين بصورة شخصية. (لم تكن دينونة المعلمين عند سن العشرين كما هو الحال مع الآخرين، بل عندما يبلغون الثلاثين. وكان مزدوج الحياة يبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا فقط في ذلك الوقت.)

في إحدى الأمسيات عندما كانت ضعيفة القلب ومزدوج الحياة معًا بمفردهما، وجه إليها إيماءة جنسية. شعرت بالصدمة والغضب، وتركت المكان في الحال. لكنه لم يستسلم، بل أصر في الأسابيع العديدة التالية. بدأت تتشكك في رد فعلها وتصغي إلى إقناعه، لأنه كان رجلًا عظيمًا وذكيًا. استمتعت باهتمامه بها. كان لطيفًا ورقيقًا، وكان يعتبر واحدًا من أوسم الرجال في المدينة. وأخيرًا سلمت عذريتها له، ودخل الاثنان في علاقة عاطفية شديدة. لم تختبر ضعيفة القلب أبدًا مشاعر شغف وحب مبهجة مثل هذه في أية علاقة أخرى. في كل مرة كانت تراه، كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة. كانت أفكار اللقاء الغرامي معه في أمسياتهما المحددة تستولي عليها وتحول انتباهها مؤقتًا من على الإساءة العميقة والتي صارت الآن مخفية التي لا تزال تحملها تجاه افتراء.

ولكن بعد أربعة شهور، هجرها فجأة مزدوج الحياة. تحطمت وأرادت بشدة أن تعرف السبب. وأخيرًا أخبرها أنه قد سمع من الآخرين ما قالته افتراء عن علاقتها السابقة مع الطالب زميلها. لم يكن هذا هو السبب الحقيقي، بل إنه فقط لم يعد يهتم بضعيفة القلب. كان يغازل فعليًا شابة أخرى في المدينة. كانت الفتيات يتعرضن لضغط شديد في مقاومتهن للقوى المغوية المقنعة لهذا المعلم البارز.

ثارت ضعيفة القلب غضبًا. كيف يمكنها أن تظل تراه كل يوم؟ وعلى الفور استقالت من وظيفتها في المدرسة. وبعد عدة أيام من العبوس، فتحت صالونًا للتجميل بما تبقى لها من الأربعين ألف دولار. انقطعت عن الاجتماعات الأسبوعية في المدرسة، مع أن وصية يالين كانت هي أنه لا يجب على شعبه أن يهملوا اجتماعهم معًا. لم تكن تريد أن ترافق المرائين، ومعظمهم كانوا يبدون هكذا. كانت تتقسى يومًا بعد يوم. نادرًا ما كانت تذكر المدرسة أو يالين، واختفى الشغف الذي كان واضحًا من قبل في حديثها. ولكن عندما كان أحد يسألها، كانت تعترف بولائها ليالين. لكنها في

أعماق قلبها، كانت تلومه على أنه سمح لمثل هذا الرجل الفاسد أن يكون مدرسًا في المدرسة. ومع مرور الوقت، انتهت فترة الاختبار، وأصبحت امرأة مستاءة ومرة، مع أنه إذا سألها أحد، كانت تنكر ذلك بكل تأكيد. وقضت بقية أيامها في محاولة الانتقام ممن جرحوها بعمق.

عمدة إنديل

والآن ننتقل إلى الأناني. كان ببساطة مندهشًا من مقدار المال الذي حصل عليه. فاحتفل، لكنه كان يعرف القليل عن تعاليم يالين فتجنب مسألة السُكْر. وبعد راحة مدتها أيام قليلة، بدأ الاستثمار. كانت تجارته رابحة، وسرعان ما ضاعف المال الذي بدأ به. وأثناء نموه المالي، كانت شعبيته بين أقرانه تزداد باستمرار.

اشترى بيتًا في أحد أجمل الأحياء ودعا ذوي النفوذ والسلطة إلى بيته. كان المسؤولون الحكوميين والرياضيون المحترفين ورجال الأعمال التنفيذيين وغيرهم من البارزين يستمتعون بغنى ضيافته. وسرعان ما أصبح من أكثر أصحاب العلاقات والروابط في المدينة.

وبعد ثلاث سنوات، قرر أن يرشح نفسه عمدة لإنديل، وفاز بسهولة بسبب نفوذه المالي، وعلاقاته الاجتماعية. وبمجرد أن أصبح في مكتبه، وجد نفسه في مواجهة الكثير من القرارات. وكان أحد هذه القرارات يتعلق بمدرسة إنديل. فنتيجة زيادة عدد السكان، كان هناك احتياج ملح للمزيد من المساحة. كأن هذا يعني شراء أرض، واستئجار مقاولين، ومصروفات بناء، وكل ما يلزم لتجهيز المدرسة. وكانت الخطوة الأولى هي أن تقوم المدينة بجمع الأموال. في الاجتماع الأسبوعي للمدينة، سمع الأناني عن احتياجهم للمزيد من التمويل. وفي نهاية حملة جمع التبرعات، كان قد قدم ما يقرب من ألف دولار.

ثم أتى القرار الصعب. أخيرًا أصبح لدى المدرسة ما يكفي لبناء قطعة أرض معينة. كانت صفقة مذهلة، وكان السعر في حدود ميزانيتهم. ولكن كان هناك متجر كبير يريد أن يشتري قطعة الأرض نفسها. وانقسم مجلس المدينة: كانت المدرسة منظمة غير هادفة للربح، ولذلك لن تقدم أي عائد ضريبي. من الناحية الأخرى، فإن المتجر سوف يقدم مبلغًا ضخمًا من الضرائب ويوفر وظائف إضافية للسكان. وبما أن المجلس قد

انقسم، كان يجب على العمدة أن يحسم أمر التصويت. شعر الأناني بالانشقاق. فقد كان أصحاب المتجر مساندين له للغاية في حملته من خلال الإسهام بمبالغ مالية كبيرة، كما أنهم أيضًا مارسوا نفوذهم لصالحه. لقد كانوا ضيوفًا في بيته في مناسبات عديدة.

صوّت الأناني لصالح المتجر. وبرر اختياره للعامة بأن هذا كان للمصلحة العامة لمواطني إنديل. وكان قد مهد الطريق بذكر المزيد من فرص التوظيف، وأيضًا زيادة عائد المدينة. وأوصى بأن تفحص المدرسة خياراتها لتوسيع مرافقها الحالية، بالرغم من أنه كان يعلم أن هذا لم يكن مجديًا. أحبط اختياره هذا أتباع يالين المخلصين، لكن المجتمع بوجه عام أثنى على قراره.

كانت فترة ولايته لمدة عامين على وشك الانتهاء، وجاء الوقت لإعادة الانتخابات. كان الأناني على وشك إنهاء فترة اختباره، مع أنه لم يكن يعرف هذا. ونتيجة شعور الأناني بالقليل من الندم، فقد قدم مساهمة شخصية لمدرسة إندل قدرها خمسة آلاف دولار. وبهذا وعد أن يعثر على قطعة أرض أخرى مناسبة لهم للبناء. وقد ساعده هذا على استعادة ثقة الكثيرين من أتباع يالين. بدا وكأن القائد الشاب سوف يفوز بسهولة بفترة ثانية.

صاحبة المطعم

عقب التخرج، قدمت صانعة المعروف ثلاثة آلاف من الخمسة والعشرين ألفًا التي استلمتها كمساهمة في مشروع أرض مدرسة إنديل. كانت ممتنة لأجل كل ما تعلمته من معلميها وأرادت أن تعبر عن امتنانها هذا. وبالاثنين والعشرين ألفًا الباقية استطاعت صانعة المعروف في النهاية أن تفتح مطعمًا. كانت تحب أي شيء يتعلق بفنون الطهي. وعندما اجتمع هذا مع حقيقة أنها كانت امرأة أعمال ذكية، بدا المطعم أفضل طريقة تستخدم فيها مواهبها، وتخدم بها مجتمعها. واستطاعت أن تجلب بعضًا من أفضل الطهاة في المدينة، ومن خلال تنسيق المعرفة التي لديهم، قامت بتجميع قائمة طعام رائعة. وقد نجح مطعمها خلال وقت قصير.

وبالرغم من أن صانعة المعروف حصلت على جوائز كثيرة على مطعمها، إلا أنها دائمًا ما كانت ترجع نجاحها إلى حكمة يالين. وفي المقابلات معها كانت تكرر شكرها

لمدرسيها السابقين، وتمدح موظفيها البارعين. كانت ترفض الاعتراف بنجاحها على أنه منها، أو التفاخر بمجهوداتها. كانت تعرف أن هذا كله بسبب يالين.

استخدامت صانعة المعروف ازدهارها لمساعدة مجتمع إنديل ومدرسة إنديل أيضًا. وكانت تساهم بالطعام في المطبخ الخيري للمدرسة لإطعام المحتاجين. وكانت كثيرًا ما تخصص أمسية تعمل فيها في خط قافلة الطعام. كانت تستمتع بتقديم وجبات ساخنة للفقراء. وقد تعهدت بتقديم ٢٥ بالمائة من إجمالي أرباح مطعمها إلى المدرسة. وبنهاية الخمس سنوات، كانت قد قدمت ما يزيد على مائتي ألف دولار.

كانت صانعة المعروف دائمًا تساعد الآخرين الذين يعملون باجتهاد لكنهم يجدون صعوبة في الحصول على قوت يومهم. وبالإضافة إلى المعونة المالية التي كانت تقدمها، فقد كانت مستعدة دائمًا للمشاركة بمبادئ الحكمة والنجاح التي ليالين. كانت باستمرار تخبر من تساعدهم كيف أنها لم تكن لتصل إلى ما وصلت إليه أبدًا لولا يالين.

وبالرغم من أن مطعم صاحبة المعروف كان ناجحًا، إلا أنها لم تكن تُدعى أبدًا إلى الجلسات الاجتماعية في بيت الأناني. كما لم يُطلب منها أبدًا المشاركة في الأدوار القيادية في المجتمع. كان يُنظر إليها على أنها متطرفة للغاية في تمسكها بيالين، هذا بجانب حقيقة أنها امرأة. ولكن استبعاد صانعة المعروف من بين الإنديليين ذوي النفوذ، لم يعطلها أو يحبطها. فقد كانت تركز على الوصول إلى الأقل حظًا. كانت تحب الاجتماعات الأسبوعية في المدرسة وكانت دائمًا تقدم المساعدة من خلال العطاء، أو من خلال الخدمة في أدوار متعددة. كانت صانعة المعروف شابة تشعر بالإشباع.

يوم الدينونة المعين

جاء اليوم الأخير للاختبار. وكان العتيدون أن يحاكَموا يعرفون أن هذا يمكن أن يحدث في أي وقت خلال السنوات الخمسة التالية لأن السنوات الخمسة الأولى قد مرت بالفعل. لم يتخيل أحد أن يحدث هذا بهذه السرعة. بدا اليوم مثل أي يوم آخر، لكنه انتهى بشكل مختلف تمامًا. ففي وقت متأخر من الليل، أبعد حراس أفابيل الملكيون ألفين من المتخرجين. وحدث خروجهم السري بينما كان بقية أهل إنديل نائمين.

تـم تمريـر الألفي شاب عبـر بوابة سرية. كانـت نفقًا عميقًا، أتوا بهـم إلى ما تحت نهـر أدونجـا. وبمجـرد أن أصبحوا داخـل القناة، سافـروا لمسافة يوميـن آخرين عبر بريـة جدباء. وأثناء الرحلة، كان كبير الحراس يقدم لهم كل ما يحتاجونه من مخزون الطعـام والماء والموارد. كان الحراس لطفاء، لكن متحفظين. كانت كل طاقتهم مركزة علـى المهمـة التي أمامهـم. ومع أنهم كانـوا يجيبون على بعض الأسئلـة، إلا أن أهل إنديـل كانـوا يطرحون أسئلة أخرى لم يكن مسموحًا بالإجابـة عليها. وكانت إجابتهم النموذجية على هذه الأسئلة هي: «سوف يُعرف الكل سريعًا». ولم يفعل هذا شيئًا سوى زيـادة فضـول المسافرين. لدرجـة أنهم لم يلاحظـوا تقريبًا مشقة الأرض القفر التي سافـروا فيهـا نحو المدينـة العظيمة المنتظرة. ومع فجر اليوم الثالـث، بلغوا قمة تل، وهنـاك فـي ظلال شمس الصباح، كانت المدينة الجليلـة. كانت أفابيل أروع حتى مما تجرأ أي واحد فيهم على أن يتخيله.

ومـع اقترابهم من المدينة، كان هذا الإعـلان عن روعتها ينمو ويتسع. وحتى من مجـرد اقترابهم مـن الأراضي المسطحـة، كان واضحًا أن المدينة لـم يكن لها مثيل. كانـت إنديـل ضئيلة بالمقارنة بضواحـي المدينة. وإذ دخلوا إلـى القسم الأوسط من المدينـة، اكتشفـوا أن كل شيء في أفابيل كان حيًا ونشطًا. كان مكانًا ساحرًا لم تكن الطيـور تغني فيه فقط، بـل كانت لها أيضًا لها موهبة اللغـة. كانت أغانيها العجيبة والجميلة تعكس الجمال الذي تراه، وتزيد من مجد المدينة. لم يكن هذا مفاجأة كبيرة بالنسبـة لأهل إنديـل، الذين سمعوا خيل كبير الحرس يتكلـم. لم تكن هذه الحيوانات النبيلـة تكلـم أحدها الآخر فقط، بل كانـت تتحادث مع من يركبونهـا أيضًا. وأصبح واضحًـا الآن أن كل المخلوقـات فـي أفابيـل قـد مُنحت عطيـة الكلام والقـدرة على المشاعر والفرح.

فـي كل اتجـاه دار فيه شباب إنديل، كانـوا يرون مناظر خلابـة. وكانوا مبتهجين للغايـة بروعـة أفابيل. الهـواء وحده كان مفعمًـا بالنشاط. كان يجلـب وضوح الذهن والقـوة لأجسادهم المنهكـة من السفر. وأثـارت المياه التي كانت تتدفـق عبر المدينة اهتمامهـم. فقد بدت بطريقة ما واقعية أكثر، وكأنها كانت تتلألأ بالحياة. كانت أوتار الموسيقـى الساحرة تتخلل الجو وتهدئ نفوسهم المتحمسة بإحساس دائم من السلام. كان كل شـيء بـدءًا من أصغر نبتـة وحتى الهواء ذاته يبدو أكثـر من حي – كان يملك القدرة على منح الحياة. كان كل عنصر مليئًا لدرجة الفيض في هذه الأرض العجيبة.

لـم يستطـع المواطنون الصغار أن يمنعوا أنفسهم مـن أن يمدوا أيديهم ويلمسوا كل شـيء فـي متناولهم، بينما كانـوا يمرون عبر ممـرات المدينة العظيمـة. واشتاقوا إلى أن يركضـوا أحرارًا، ويستكشفوا بـأنفسهم، لكنهـم بطريقة ما كانوا يعرفون أن هذا غير مسمـوح بـه في ذلك الوقت. تم اقتيادهم مباشرة إلى حجرة انتظار كبيرة بمثابة قاعة استمـاع هائلـة. هنا تم فصل الإنـاث عـن الذكور. وسمح لهـم أن ينعشوا أنفسهم في حمامـات أو أحواض استحمام معطـرة، وأُعطوا ثيابًا استعـدادًا للقائهم بـالملك. كانوا جميعًـا في غاية السعادة أنهم سوف يتخلصون من ثيابهم الإنديلية المترية. فقد بدت ثيابهم القديمة غريبة وغير متناسبة مع المكان في هذ المدينة البراقة.

كانـت هنـاك رغبة عميقـة للسكنى في هذه المدينة منسوجة فـي كيان كل إنديلي. فقـد شعـروا شعورًا من أغـرب ما يكون وهو أنهم قـد عادوا لوطنهم. وبعـد الاستحمام وارتـداء الثياب، اجتمعوا مرة أخـرى ليتنـاولوا الطعـام كجماعة. كانـت مأدبة الإفطار هذه معدة في ساحة فخمة، حيث سُمح لهم بـالأكل والشركة لوقت قصير.

كان ذلـك البنـاء الفائـق الذي دخلوه واسعًا جـدًا لدرجة أنه بـدا وكأن له سعة غير محدودة. لا خلاف على أنه يمكن لهذه الجدران الرخامية أن تضم مائة ألف شخص على الأقـل. ثم أُخذت صانعة المعروف والأنـاني وحوالي خمسمائة آخرين إلى قاعة ملحقة علـى اليميـن. وتم اقتيـاد ضعيفة القلب والمخـدوع والمستقل مع الألـف والخمسمائة البـاقيـن إلى قاعـة أخرى على اليسـار. وأثناء دخولهم القاعتين، لاحظـوا أن كل قاعة كان اسمها مكتوبًا فوق العتبة. كان الاسم غريبًا وبلغة غير معروفة لشباب الإنديليين. كان اسم إحدى القاعتين هو «قاعة الحيـاة»، والأخرى «قاعة العدل».

وبينمـا عبـر المستقل العتبة، وجد نفســه مضطربًا بشكل غريـب، إلى درجة الرعب تقريبًـا. استرجع ذكرياته في المدرسة وحـاول أن يعزي نفسه بـالقليل الذي سمعه عن ياليـن. بـدا الأمر كله محيـرًا الآن. وجد نفسه يندم على حقيقة أنـه قد فـاتته الكثير من الفصـول. واضـح أنــه كان مخطئًا لأن المدينــة والملك كليهما كانـا موجودين. حـاول أن يمنــع خوفه المتزايد ويركز على ما يتذكـره عن محبة يالين وطبيعته الرحيمة. في تلـك اللحظـة لم يكن يريد أن يفكر في عدل يـالين وقداسته، مع أن هـاتين الصفتين همـا اللتـان كانتا تحاربـان للحصول على انتباهــه الآن. حـاول أن يطمئن نفسه بكيف كـان مواطنًا صالحًا ودعم الخدمات التطوعية للمجتمع.

وبعد أن أخذ المستقل نفسًا عميقًا، بدأ في النظر حوله لكي يرى الصحبة التي كان بينها. لم يستطع إلا أن يلاحظ أنه كان بين بعض الأشخاص من كانوا الأسوأ في إنديل. استطاع التعرف على اللصوص والمحتالين والسكارى. كان هناك من كانوا نادرًا ما يعملون، وهناك من عملوا كل شيء في مصلحتهم. زاد خوفه وبينما كان الذعر يهدد بالاستيلاء عليه، لمح ضعيفة القلب. أغلق عينيه، وأطلق تنهيدة ارتياح. تذكر على الفور أنها كانت أكثر تابعة متحدثة ومتحمسة ليالين في فصله. ألم يسمع حتى أنها عملت في المدرسة؟ مادامت هي في هذه القاعة معه، فالأرجح أن الأمر سيؤول إلى خيره.

وبينما سار باتجاهها، تعثر في المخدوع. وهذه علامة جيدة أخرى! فبالرغم من أن المستقل قد فقد الاتصال بضعيفة القلب، إلا أنه كان يعلم أن المخدوع مؤمن قوي. بل إنهما اعتادا أن يتجادلا بشأن يالين. تغير مزاجه بالكامل عندما عانق صديقه القديم. واشتركا في حديث وانحسر كل الخوف. لابد أن رحمة يالين كانت أوسع بكثير مما عرفاه. انظر كيف سامح الأشخاص الذين لم يكن المستقل يتخيل حتى أنهم سيصلون إلى هنا. كيف لا يكون هذا سوى الحقيقة؟ أليس هذا هو المعلم العظيم، مزدوج الحياة الذي يبعد عنه قليلًا؟ والآن أصبح على يقين أن كل شيء سيكون على ما يرام.

لكنه اضطرب قليلًا من غياب صانعة المعروف والأناني. وكان هناك شيئًا آخر صَعُب عليه أن يتجاهله هو أن البعض كانوا يبكون ويصرخون في أركان القاعة. ربما كانوا فقط منفعلين من صلاح يالين.

كانت القاعة الأخرى مليئة بالمشاعر أيضًا. فقد شعر الأصدقاء الذين فقدوا الاتصال بعضهم ببعض بعد التخرج بالفرح من لقائهم مرة أخرى. كانت هناك إثارة طاغية سرعان ما سادت على كل المحادثات: فسرعان ما سيعاينون يالين! لقد أتى وقتهم لكي يدخلوا إلى قصدهم الحقيقي ومصيرهم الموعود. كانوا جميعهم يضجون بروعة المدينة. كانوا يعلمون طوال الوقت أنها ستكون مكانًا أفضل من إنديل، لكن انطباعهم الأولي فاق قدراتهم على الفهم. فقد كانت أكثر مما يستطيعون استيعابه.

هل يمكن أن يكون حقيقيًا أنهم سيقضون بقية حياتهم في مثل هذا المكان المجيد؟ إن أي واحد فيهم مستعد أن ينظف الأرضيات فقط لينال مثل هذه الكرامة!

كل مـن انتظروا في هذه القاعة كانـوا يعرفون أنهم يتبعون يـالين لكنهم مع هذا كـانوا يتساءلون كيف سيقفون أمام أحكامه البـارة. ومع مرور الوقت، ساد على القـاعة حـالة من الهدوء والوقار. هل كانوا أمنـاء؟ سرعـان مـا سيخبرهم الزمن. أجل، اختلطت الإثـارة مع قدر من الخوف بينما كـان هؤلاء الخدام المتضعون ينتظرون لرؤية ملكهم.

الاستدعاء

كان أول من تم الحكم عليهم هم المنتظرون في قاعة الحياة. لكننا سنرجع إلى هذا لاحقًا. ولكن الآن سوف تـأخذنا قصتنا إلى من هم في قـاعة العدل.

انتصـف النهـار، واستعـاد سـكان قـاعة العدل مستـوى من الراحة والثقـة أن الأمر سيكـون على مـا يرام بـالنسبة لهم. وأي شيء كان يبدو محيرًا أو غريبًا. كـانوا ينسبونه إلى رحمة يـالين أو غموض طرقه. وقد أراحهم هذا التفكير.

كـان أول مـن تـم استدعـاؤه من الألف وخمسمائـة هو المستقل. أتـى أربعة حراس ملكيـون ليأخذوه إلى محكمة العدل العظمى. وفـي محاولة منه لتخفيف حـالة الهيبة، ابتسـم وغمز بعينه لأحد الحراس الذيـن حدث أن تلاقت عينـاهمـا أثنـاء مغادرة القـاعة. ولكنه تفـاجـأ من أن الحـارس لم يتجاوب معه. وبينمـا كـان يسمع بـاب القـاعة وهو يغلق خلفـه، وجـد الأسئلة تعاوده. خفق قلبه داخل صدره مثل الطبلة. كـان صوتـه عـاليًا جدًا لدرجة أنه تخيل أن الحراس يسمعونه، ولكن حتى لو كـان الأمر هكذا، فهم لم يبينوا أية علامـة على هذا. كـم تمنى لو كـان بمقدور المخدوع أن يـأتـي معه. فسرعـان مـا سيقف أمـام الديـان، وكـان يفضل ألا يكون بمفرده. كـان المستقل يفقد ثقتـه سريعًا.

قبـل أن يدخلوا إلى القـاعة العظمى، أعلمه أحد الحراس بـالاختصار بـالبروتوكول. هـز المستقـل رأسه بـالموافقـة، مع أنه كان يخشـى ألا يتذكر مـا قيـل. كـان نبضه الآن يتسارع في أذنيه ويهدد بـإضعـاف سمعه. أومـأ الحـارس برأسه اعترافًا بـأن المستقل قد فهم الإجراءات، وانفتحت الأبواب العظيمة للقـاعة على مصراعيها.

وإذ كـان يخطـو خطواتـه الأولى إلى داخل القـاعة الضخمـة، اكتشف أن جسده كـان يرتعش. تجمعت قطرات العرق على جبهته التي عـادة مـا تكون بـاردة. وشعر بـالارتبـاك الكامل لأن مـا رآه عصف بعقله!

الفصل الثالث

مملكة أفابيل - يوم الدينونة ١

هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال، وبدون مثل لم يكن يكلمهم، لكي يتم ما قيل بالنبي القائل: «سأفتح بأمثال فمي، وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم». متى ١٣: ٣٤ـ ٣٥

كانت القاعة العظيمة مثيرة للإعجاب أكثر من أي شيء تخيل المستقل أنه سيقابله. ولو أُعطي الفرصة للشهادة عن ما اختبره للألف وخمسمائة شخص الذين لازالوا ينتظرون، لما توفرت له الكلمات أو الإطار المرجعي الذي يصف به هذه العظمة. كان معمارها يجعل أي شيء رآه في إنديل عتيقًا. وكانت القاعة مليئة بما يقارب المائة ألف من الناس الحاضرين. لم ير المستقل مثل هذا العدد في مكان واحد من قبل.

وكلما اقترب أكثر، كان يحصل على لمحة عن مواطني أفابيل. لاحظ أولًا أنه كانت لهم هيئة ملكية ووجوه مشرقة. ثم بعد هذا مباشرة، ابنهر من جمالهم الأخاذ. كان الأمر وكأنهم كانوا من عالم آخر. (كان هذا التحول بسبب أنهم كلهم مسموح لهم أن يأكلوا من شجرة الحياة). وتساءل، هل يمكن أن يكون هؤلاء إنديليين سابقين؟ ثم رأى امرأة كان يعرفها. كان اسمها الصلاح. كانت تكبره بأعوام قليلة، وتذكر كيف أنها كانت دائمًا محل سخرية بسبب مظهرها المتواضع. لكنها الآن فائقة الجمال. كانت ملامحها كما هي، مما جعله يتعرف عليها، لكنها بطريقة ما أصبحت الآن أجمل من أي شخص عرفه في إنديل. في الواقع، كان كل من رآهم، حتى من هم أقل في الجمال، أكثر جاذبية بكثير من أي شخص رآه من قبل.

بعد التعافي من صدمته الأولية، لاحظ أن كل الحاضرين كانوا مركزين على منطقة أمامه مباشرة. لم يشاهد لها مثيلًا من قبل. كانت عرشًا. لكن هذا الوصف كان يبخسه حقه، لأنه كان في الحقيقة أمجد العروش. وتعلقت عيناه بالشخص الجالس عليه، وفي لحظة واحدة أدرك مصدر كل الجلال الذي في المدينة. كل هذا نابع منه. قال المستقل لنفسه، لابد أن هذا هو يالين. وفجأة أصبح يؤمن بعمق بالشخص الذي كان ينكره بكل تأكيد.

كانت ملامح يالين وسيمة لكن حازمة، على الأقل في تلك اللحظة – قد يكون الوصف الأدق هو أنها كانت رائعة، لكن مخيفة. كان مظهره بالكامل فتانًا، ولكن مع كل خطوة كان المستقل يخطوها نحوه، كان الرعب ينمو باضطراد في قلبه. وأية ثقة كانت لديه من قبل، اختفت الآن بالتمام. ما الذي سيحدث له؟ حاول المستقل أن يحافظ على رباطة جأشه بأن يردد لنفسه أنه كان يقترب من قائد رحيم. كان هناك صراع بداخله، لأنه بدأ يشك في أنه سينال حكمًا محببًا.

وبينما استمر في اقترابه، جاءه أمر أن يبقى على رصيف ضيق في منتصف الطريق لأعلى. وكان فوقه يالين على عرشه. وهو يمثل روح الحسم في ما يقصده، وخاطب الجمع قائلًا:

> «فستعرف جميع ... أني أنا هو الفاحص الكلى (الأفكار والمشاعر والمقاصد) والقلوب (الداخلية) وسأعطي كل واحد منكم (المجازاة على ما فعله) بحسب أعماله». رؤيا ٢: ٢٣

كان المستقل يصغي مع الآخرين، وفجأة نظر يالين مباشرة إلى عينيه وقال له: «أعطِ حساب وكالتك».[١]

وقبل أن يستطيع المستقل أن ينطق بكلمة واحدة، بدأت شاشة كبيرة فوق العرش في عرض حياته في إنديل، منذ أول يوم له في المدرسة، وحتى اليوم السابق. وتم عرض وكشف كل فعل وكلمة ودافع لهذا الحشد من الشهود. شعر بالرهبة من هذا الإعلان الذي لديه الآن عن يالين، «وليس خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا».[٢]

انكمش المستقل خوفًا وهو يشاهد حماقته، وشره، وطرقه الأنانية، أثناء إعادة تشغيلها. كانت مشاهدة كل هذا، أمام مثل هذا الجمع الضخم، أمرًا غير متوقع، ومحرجًا، وصادمًا. فما بدا قبل ذلك أنه غير ذي أهمية بل وحتى غير ضار في إنديل، بدا الآن مروعًا أمام هذا الديان المجيد، ومواطني أفابيل الملكيين. ارتعب من سلوكه. كيف أمكنه أن يكون محرفًا، ومتبلدًا، وجاهلًا هكذا؟ ظل يجاهد لكي يحصل على بصيص رجاء، وشعر أن هناك أعمالًا صالحة يفوق عددها عدد أعماله السيئة.

عندما انتهت إعادة تشغيل حياته، شعر بالارتياح، بالرغم من أنه توقع تعنيفًا مروعًا، وشكلًا ما من العقاب. سيكون سعيدًا أن يكون الأقل بين هذه الجماعة. شعر باليقين أن يالين سوف يرى أن الصالح الذي لديه يفوق السيئ.

ثم سأل يالين كبير الكتبة قائلًا: «هل اسم المستقل موجود في سفر الحياة؟»

وبدون تردد أجاب كبير الكتبة: «كلا يا سيدي».

ثم تكلم يالين قائلاً: أيها المستقل، إنك مدان باختيار الطبيعة الشريرة، وسوف تؤخذ إلى أرض العزلة المهجورة، لكي تقضي بقية حياتك في عذاب الظلمة المطلقة، واليأس المطلق، والوحدة المطلقة».

شعر المستقل بالصدمة، فصرخ قائلاً: «يا رب، لماذا؟»

فأجاب يالين قائلاً: «إنك لم تؤمن بي. لقد علمك مدرسوك 'إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم'[٣] وعلموك أيضًا 'وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص'».[٤]

فواصل المستقل قائلًا: «لكن يا سيد يالين، ماذا عن أعمالي الصالحة؟ ألا تفوق السيئة؟»

فأجاب السيد يالين قائلًا: «ليس الأمر هو ما إذا كنت قد كسرت القانون كثيرًا أو قليلًا لأن 'من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل'».[٥]

استجمع المستقل بعض الجرأة وعارض قائلًا: «كيف يمكن إذًا لأي شخص أن يخلص؟»

لم يرد يالين على الفور على هذا السؤال، بل نظر إلى مواطنة في أفابيل بدت أنها حاكمة وكيلة ليالين، لأنها كانت تجلس في عرش مشابه لكن أصغر. تكلمت المرأة فقالت: «ألم يخبرك معلموك أن يالين قد خلصك بإحسانه الخاص عندما آمنت. ولا يمكنك أن تنال المدح على هذا، فهو عطية من يالين. الخلاص ليس مكافأة على الأشياء الصالحة التي فعلتها، ولهذا لا يمكن لأحد فينا أن يفتخر بهذا الشأن'».[٦]

وتبعها يالين بالقول: «منذ وقت طويل دفعتُ ثمن القوانين التي كسرتها، والتي سوف يكسرها المواطنون. كان مستحيلًا على أي شخص ألا يخطئ إليّ أو أن يفدي نفسه من خيانته. ولكن لأنني أحببت الجميع، فقد دفعت الثمن بنفسي. ولهذا فإن خلاصي عطية لا يمكن لأي شخص أن يعمل لكي يستحقها. لم يمكنك أن تفعل ما يكفي من الأعمال الصالحة، لكي تستحق المواطنة في أفابيل. إن الأمر يأتي من خلال الإيمان بي. ومع هذا فقد رفضتَ ما فعلتُه لأخلص حياتك».

ذُهل المستقل وصمت للحظات قليلة، ثم أجاب بانتباه: «لقد فهمت».

شعر وكأنه كان على وشك الغرق في بحر اليأس. كان يتلمس طريقه ليجد شيئًا يتعلق به، لذلك سأل: «هل كل ما فعلته إذًا كان في مقابل لا شيء؟»

فأجاب يالين قائلًا: «مكتوب أيضًا 'لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون. أما الموتى فلا يعلمون شيئًا وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نسي. ومحبتهم وبغضتهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس.'[٧] وأيضًا 'لأنه لا يكون ثواب للأشرار. سراج الأثمة ينطفئ'».[٨]

فوجئ المستقل بكلمات يالين وظل صامتًا. ندم على كل الفصول التي فوتها. ربما لو كان قد حضرها لكان قد سمع الحق ولم يرتكب هذا الخطأ القاتل في حياته.

في لحظات الصمت التي تلت هذا، جاءته فكرة أخرى. وكانت هي الفكرة التي ظل يعزي بها نفسه طوال اليوم. فاستجمع شجاعته مرة أخرى وقال: «أجل، ما قلته كله حقيقي، لكنك يا يالين ملك رحيم! كيف تطرحني إن كان هذا صحيحًا؟»

فأجاب يالين قائلا: «إنني ملك رحيم، وهذا هو بالضبط ما يجعلني أُبعدك. فإنك عندما اخترت أن تقضي وقتك في إنديل بالطريقة التي قضيته بها، فقد كنت باستمرار تختار طبيعتك، وهي طبيعة السيد المظلم داجون. كيف يمكنني أن أكون رحيمًا وحقيقيًا ومحبًا، لو سمحت لنسيجك الفاسق أن يلوث طهارة هذه المدينة العظيمة؟ كنت بهذا سأعرض الأبرياء في أفابيل إلى الأذى. فسرعان ما تستعلن طبيعتك التي اخترتها، وهكذا تفسد آلاف الأشخاص ذوي الحياة الطاهرة. لقد اخترت طريقك. وسوف تجازى عليها تمامًا مثل الشخص الذي اتبعته، الذي هو داجون. لو أعطيتك أقل مما أعطيته، فسوف أكون بهذا قائدًا غير عادل، وأنا لست كذلك!»

بعدها خاطب يالين المجتمعين كلهم مقتبساً من أقوال أبيه القديمة: «'من ازدرى بالكلمة يخرب نفسه ومن خشي الوصية يكافأ'».[٩]

وما حدث بعد ذلك جعل المجتمعين يهدأون. «حينئذ قال الملك للخدام: 'اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.' لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون».[١٠]

استولت على المستقل صرخات الرعب وعذاب الخوف، وربطه كبير الحراس وحمله نحو الباب الجانبي للقاعة. لم يمكن يسمع أي صوت بين الآلاف الذين كانوا حاضرين. فقد كانوا يراقبون في حزن شخصًا أضاع حياته بجهل، وهو يُحمل إلى عقابه الذي سيتحمله طيلة حياته.

وبمجرد أن خرج المستقل من المبنى، وُضع في حجرة انتظار كبيرة أخرى. كان بها آلاف الزنزانات الصغيرة ذات القضبان، والتي كانت تحجز المدانين حتى يكتمل عدد كل من كانوا سوف يُرسلون إلى المنفى. وعلى المدخل المؤدي إلى هذه المنطقة، كان مكتوباً هذه الكلمات:

طوبى للذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة، ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة، لأن خارجًا الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان، وكل من يحب ويصنع كذبًا. رؤيا ٢٢: ١٤ ـ ١٥

حدق المستقل في هذه الكلمات، وثار الغضب في داخله. لقد أصبح الآن تحت التأثير الكامل لطبيعته. وأي صلاح كان في شخصيته قبلًا، ابتُلع الآن بالكامل في نفس النسيج الأخلاقي الذي اختاره. كان سلوكه يتدهور بسرعة إلى سلوك كلب هائج. فبدون تأثير الملك، أسلم بالتمام إلى ذهن مرفوض.

المخدوع أمام يالين

مرت بضع ساعات. تم استدعاء الكثيرين إلى قاعة العدل، وكان المخدوع وضعيفة القلب ومزدوج الحياة لازالوا منتظرين بين بضع المئات الباقين. كان المخدوع لازال يشعر بالتفاؤل، وقد أدى سلوكه إلى بث الرجاء في الآخرين أيضًا.

انفتح الباب وظهر الحراس الملكيون الأربعة مرة أخرى، وهذه المرة نادوا على المخدوع. استولى عليه التوتر، وبدأ يرتعش. لقد جاء وقته. ولكي يخفي عصبيته، وهو أمر كان بارعًا في فعله، قال لمن بقوا بعد، «حسنًا يا رافق، لقد جاء دوري!»

وبعد أن أخبروه باختصار بالبروتوكول، انفتحت أبواب قاعة الحكم على مصراعيها، وأدخلوا المخدوع عبر الممر الرئيسي. واختبر نفس المشاعر التي اختبرها المستقل. فقد رأى مثله، حجم القاعة وجمالها، ووجوه المواطنين. وبينما كان يسير عبر الممر، تعرف على الكثيرين الذين كان يعرفهم من أيام مدرسة إنديل، والذين تخرجوا قبله بعام أو اثنين. وقد تعرف على مواطنين أكثر ممن تعرف عليهم المستقل، نظرًا لأن المخدوع لم يكن يفوّت ولا اجتماع تقريبًا في المدرسة.

كان هناك شخص واحد تعرف عليه ولم يكن يحضر الفصول وهو رجل اسمه متحجر القلب. وكان معروفًا عنه أنه كان واحدًا من أكثر الرجال الأشرار سيئي السمعة. ما الذي يفعله هنا؟ فأومأ كبير الحراس للمخدوع بأنه لا بأس من أن يتحدث إلى ذلك الرجل.

سار المخدوع نحوه وسأله: «هل أنت متحجر القلب؟»

فأجاب الرجل «كنت قبلًا متحجر القلب، لكن السيد يالين غير اسمي عند كرسي القضاء وجعله المصالَح».

فقال المخدوع بدون تفكير «كيف يمكن أن تكون أنت هنا؟ لقد كان معظم من في المجتمع يعتبرونك رجلًا شريرًا. إنك لم تذهب إلى المدرسة قط وكنت تقاوم يالين أكثر من أي شخص عرفته؟»

فأجاب المصالَح قائلًا: «أجل، هذا صحيح. لكنني كنت أبغض ما كنت عليه وما كنت أفعله. ونظرًا لأنني لم أحضر المدرسة، فإنني لم أسمع قط عن كلمة يالين التي تغير الحياة. ولكن قبل يوم محاكمتي بأسبوع، ذهبت لأتناول وجبة في مطعم صانعة المعروف. كانت تعرف أن حياتي كانت محطمة، وبطريقة ما، اكتشفت أنني أتألم. فدفعت ثمن عشائي بشرط واحد، وهو أن أمكث لأتحدث معها. بعد ذلك قضت معي ساعتين وهي تخبرني عن يالين وعن صلاحه وعن خلاصه وعن هذا المكان المدعو أفابيل».

وواصل المصالَح حديثه قائلًا: «لقد شرحت لي أن الوقت لم يفت لكي أسلم حياتي لهذا القائد العظيم. وكانت لاتزال أمامي الفرصة لنوال الغفران غير المشروط والتمتع بالقبول كمواطن في مملكته. شعرت بمحبة يالين تغمرني وكرست بقية حياتي لسيادته. ومع أنني لم أستطع أن أخدمه سوى لمدة أسبوع واحد في إنديل، إلا أنني فعلت هذا بكل قلبي. ذهبت إلى الذين اضطهدتهم أو سلبتهم وطلبت منهم الغفران. ورددت أكثر مما أخذت».

لم يستطع المخدوع أن يتكلم. نظر مرة أخرى إلى الحارس، الذي أومأ برأسه بالتأكيد. بعدها تراجع المصالَح إلى مكانه، وأكمل المخدوع طريقه نحو العرش.

وبينما كان يسير، لم يسعه سوى أن يتأمل في ما سمعه للتو. لقد قالوا له عن رحمة يالين العظيمة، لكنه شهدها الآن بطريقة مذهلة. لقد كان ذلك الرجل من أردأ من عرفهم، والآن أصبح ملكيًا مثل الآخرين. اقتنع المخدوع أكثر من ذي قبل أنه سوف يجد نعمة في عيني يالين لأنه كان مؤمنًا قويًا به.

وبمجرد أن وقف المخدوع أمام العرش، جاءه نفس الأمر الذي وُجِّه للمستقل من قبله: «أعطِ حساب وكالتك».

وكما حدث مع المستقل، فقد شاهد حياته على الشاشة الكبيرة منذ اليوم الأول في المدرسة وحتى اليوم السابق. يا له من أمر مريح أن يرى حضوره الأمين في المدرسة ودعمه الجهاري ليالين أمام الجماعة. ولكنه سرعان ما شعر بالرعب. فقد كان أسلوب حياته يشتكي عليه. كان يبرر طرقه، لكنها عندما ظهرت في النور أمام هذا القاضي الجليل والشهود الطاهرين، شعر بالإحراج والخزي. عندما أُعلنت حياته الجنسية غير الشرعية أمام الحاضرين الملكيين، كان يود لو أمكنه أن يزحف إلى داخل حفرة ويختبئ فيها.

لم تُحضر أعماله فقط إلى النور بل نياته أيضًا ودوافعه. كيف أمكن ليالين أن يعرف مثل هذه الأشياء؟ كيف أمكن له أن يحكم على المخدوع على أشياء لم يعرفها أي شخص؟ لم تعد أعمق أسراره مخفية. لقد عاين الحضور كلهم شهوته للمكسب في صفقاته العملية، وفي مبيعات بيوته، وفي تطوير الأرض. لقد رأوا الافتراء والنميمة اللتين كان يستخدمهما عادة ليحصل على ما يريده. بدا أن كل شيء فعله كان مدفوعًا برغبته في المزيد. كان يريد أن يفعل ما يحلو له في كل شيء، وكان يريد كل شيء لنفسه. لم يكن هناك جدال بشأن الحقائق. لكنه كان يعزي نفسه في أنه لا شيء من هذا كان مهمًا حقًا لأنه كان يؤمن بيالين ويعترف جهارًا بولائه له.

وبمجرد أن تمت مراجعة حياته بالكامل، عاد يالين إلى الكاتب الملكي وسأله: «هل يوجد المخدوع في سفر الحياة؟»

وأجاب الكاتب قائلًا: «كلا يا سيدي».

فأعلن يالين قائلًا: «أيها المخدوع، إنك مدان بأنك أنكرتني، وسوف تؤخذ إلى أرض العزلة المهجورة لتقضي فيها بقية حياتك في عذاب الظلمة المطلقة واليأس المطلق والوحدة المطلقة».

شعر المخدوع بالشلل نتيجة الصدمة الهائلة. وتسارعت الأفكار في ذهنه: كلا، هذا خطأ. لا يمكن أن يحدث هذا! إنني مؤمن بيالين. ما الذي يعنيه بالقول «أنكرتني؟»

فقال بدون تفكير: «كيف أنكرتك؟»

عندهـا قال يالين: «ألم تسمع عندما حذرك معلموك ممن 'يعترفون بأنهم يعرفون يالين ولكنهم بالأعمال ينكرونه'؟»[١١]

فعارض المخدوع مرة أخرى قائلا: «لكن أيها الملك العظيم، لقد كنت أحضر المدرسة. كنت أمينًا في ألا تفوتني الفصول. وكنت مشاركًا في العديد من النشاطات. بل إنني كنت أدعوك ربًا!»

فقال يالين على الفور: «ولماذا تدعونني يا رب يا رب وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟»[١٢] ألم تسمع كلماتي عندما قلت: 'ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل أفابيل. بل الذي يفعل إرادة أبي ... كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب (لقد أخبرنا الآخرين عنك واستخدمنا اسمك) ... فحينئذ أصرّح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم'؟»[١٣]

هاج المخدوع وقال: «لكنني كان لي إيمان ... لقد آمنت بك، وحسب كلمتك ينبغي أن أخلص!»

كان يالين صبورًا لكن حازمًا. فنظر إلى أحد المواطنين وسط الحاضرين، وكان مدرسًا سابقاً في المدرسة وأصبح يجلس الآن على عرش أصغر وقال: «اقرأ للمخدوع ما كنت تعلمه في الفصول».

فقرأ ذلك الرجل من الكتابات المقدسة: «ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيمانًا ولكن ليس له أعمال؟ هل يقدر الإيمان أن يخلّصه؟ ... هكذا الإيمان أيضًا إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته. لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لي أعمال. أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني. أنت تؤمن أن يالين واحد. حسنًا تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت؟»[١٤]

وكرر يالين الكلام فقال: «إنك تقول إن لك إيمانًا. لكن الإيمان لا يكون إيمانًا

مـا لم يكـن مصحوبًا بـأفعــال الطاعة المرتبطة بــه. لا يكفي أن تقول إنـك تؤمن، لأنـه حتــى الشياطيـن يؤمنون لكنهم بـالتأكيد لا يخلصون. إن من يؤمنون حقًا تظهر عليهم الطبيعـة المتغيرة ولا يعودون ينتجون ثمر الطبيعة الشريرة. لقد كنت دائمًا تحمل ثمر السيد الشرير داجون، وهو ما كان برهانًا فقط على أنك لم تؤمن بي حقًا من قلبك على الإطلاق».

كان المخدوع يواجه صعوبة في فهم كل ما كان يقال وعارض قائلًا: «ولكن ماذا عـن الرجـل الشرير، متحجر القلـب؟ لقد كنت أفضـل منه! كيف يمكنـك أن تدعه يدخل وتخرجني أنا؟ إنك لست عادلًا!»

فــرد يـاليـن قـائـلا: «أنتـم تقولون ليسـت طريق الـرب مستوية ... أطريقـي هـي غير مستويـة؟ أليسـت طرقكـم غير مستويـة؟ ... إذا رجـع الشرير عن شره الـذي فعل وعمل حقًــا وعـدلًا فهو يحيي نفســه. رأى فرجع عن كل معاصيه التــي عملها فحياة يحيا. لا يموت».[١٥]

شعـر المخدوع بـالإحبـاط والغضب، فرفـع صوتـه وقـال: «لكنني كنت أشارك بكلمتك وأشهد للنـاس عنك. بل إنني تطوعت أيضًا وحللت محل مدرسين فـي مدرستك!»

رد يـاليـن بــكل حسـم: «مـالك تحـدث بفرائضي وتحمـل عهدي على فمـك، وأنت قد أبغضـت التـأديـب وألقيت كلامــي خلفك؟ إذا رأيـت سارقًا وافقته ومــع الزنـاة نصيبك. أطلقت فمك بـالشر ولسانك يخترع غشًا. تجلس تتكلم على أخيك. لابن أمك تضع معثرة. هذه صنعتَ وسكتُّ. ظننتَ أني مثلك. أوبخك وأصفّ خطاياك أمام عينيك».[١٦]

صمـت المخـدوع. كـان عقلـه يـدور، لكن لم يكن لديـه شيء آخر ليقولــه دفـاعًا عن نفسـه.

مرت لحظات قليلة، «حينئذ قـال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فـي الظلمة الخـارجية. هنـاك يكون البكـاء وصرير الأسنـان».[١٧]

وإذ كـان كبيـر الحراس يقترب، ألقـى المخدوع بـالتجديف على يـالين وعلى الحراس

وعلى مواطني أفابيل أنفسهم. وفي ثورته كان يتقلب في عنف. وابتُلع أي صلاح بداخله بإعلان طبيعته الحقيقية.

ربطوا يديه ورجليه وحملوه إلى خارج القاعة بينما كان يلعن طوال الطريق. وحبسوه مثل المستقل في قفص إلى أن تكتمل محاكمة الجميع.

وبمجرد أن خرج المخدوع من القاعة، خاطب يالين الشهود الحاضرين قائلاً: «جيل طاهر في عيني نفسه وهو لم يغتسل من قذره».[١٨]

ضعيفة القلب أمام يالين

بقي أقل من مائة في قاعة العدالة. وكانت ضعيفة القلب ومزدوج الحياة ضمن هذا العدد. بقيت ضعيفة القلب بعيدة عن مزدوج الحياة بأقصى ما يمكن، لأنه كان لازال بداخلها امتعاض مرير تجاهه. وهو أيضًا تجنبها.

دخل الحراس الملكيون الأربعة واستدعوا ضعيفة القلب. كانت متوترة بشأن المكان الذي ستذهب إليه، لكنها كانت ممتنة أنها تركت وراءها مزدوج الحياة. وتمت قيادتها، مثل من سبقوها، إلى القاعة العظيمة، وأُخطرت بالبروتوكول، ودخلت إلى القاعة.

وبينما كانت تمر بمواطني أفابيل، تعرفت هي أيضًا على الكثيرين الذين سبقوها. معظمهم لم يكونوا متحمسين ومجاهرين بإيمانهم مثلها عندما كانوا في المدرسة. ذهلت ضعيفة القلب من رؤية عدد من الحضور كانت متأكدة أنهم لن يكونوا موجودين.

اقتربت ضعيفة القلب من العرش ولاحظت العروش الأصغر المحيطة به. وتعرفت على القليل من المعلمين والآخرين الذين توقعت أن تراهم قادة في المملكة. ولكنها فوجئت بأكثر منهم بكثير ممن كانوا يجلسون على العروش. كانوا هم مواطني إنديل الأقل شهرة. كان هناك بعض الحضور الذين كانوا أثرياء أيضًا. وفكرت في نفسها قائلة: كيف يمكن أن يكون الأغنياء في مواضع الكرامة هذه؟

وقبل أن يستطيع ذهنها أن يجيب، سمعت صوت يالين قائلًا: «أعطِ حساب وكالتك».

عرضت الشاشة الضخمة حياتها، وكانت ضعيفة القلب مسرورة بمراجعة فترة دراستها. كل أعمالها التطوعية، ودراساتها الإضافية، وقيادتها للفصل كانت حسنة بالنسبة لها. كانت فخورة بجرأتها واجتهادها. لكن تغيرت حالتها عند عرض تجاوبها مع كذب افتراء. كان واضحًا أنها رفضت التخلي عن إساءتها لها. وعُرضت دواخل قلبها، ولم تكن جميلة.

ثم بدأت علاقتها مع مزدوج الحياة. إنها لم تتب أبدًا عن تورطها معه. كانت دائمًا تشعر أنها ضحية وتلقي باللوم كله على افتراء ومزدوج الحياة. وجعلها هذا لا تتحمل أبدًا مسؤولية اختياراتها. وبينما تكشفت حياتها، شاهدت الغضب والمراراة والرغبة في الانتقام تتضاعف. ومع أنها نجحت في أن تقمع بعضها، إلا أنها لم تتعامل أبدًا مع الأصل. وقد كشفت هذه الأمور نفسها ليس فقط في جريمتها الدائمة مع مزدوج الحياة وافتراء، بل أيضًا في أنها كانت واقعيًا تلوم يالين على مشقاتها أيضًا. كيف أمكنه أن يسمح لرجل مثل مزدوج الحياة أن يعلّمها في المدرسة؟ وظهر أن استياءها وعدم غفرانها كانا قاسيين ولا يهدآن.

ومن نهاية المراجعة، بدا واضحًا أنها كانت امرأة مرة النفس، ينقصها الصلاح من نحو الآخرين. ولكن، حتى مع انكشاف كل هذا أمام الجمع العظيم، فقد كانت واثقة من أن التزامها القوي السابق سوف يضمن لها رضا الملك. وكانت تخشى من تلقي تعنيف قليل، لكنها لم تكن ترى أبدًا ما سوف يأتي.

التفت يالين إلى الكاتب الملكي وقال: «هل توجد ضعيفة القلب في سفر الحياة؟»

فأجاب كبير الكتبة قائلًا: «لا يا سيدي».

فنطق يالين بحكمه: «يا ضعيفة القلب، إنكِ مدانة بالابتعاد عن البر وإنكاري بالخيانة، وسوف تؤخذين إلى أرض العزلة المهجورة لتقضي بقية حياتك في عذاب الظلمة المطلقة، واليأس المطلق، والوحدة المطلقة».

شعرت ضعيفة القلب بالمفاجأة لأقصى درجة. كانت صدمتها أكبر من صدمة أي

شخص قبلها. لا يمكن أن يحدث هذا! لابد أنها في حلم سيئ، لا بل كابوس، ويجب أن توقظ نفسها بطريقة ما! ربما أساءت الفهم.

وتساءلت في عدم تصديق قائلة: «يا يالين، هل قلت إنني سوف أؤخذ إلى أرض العزلة اللعينة؟»

فأجاب الملك: «أجل يا ضعيفة القلب، إن ما سمعتِه صحيح».

«كيف يكون هذا يا سيد يالين. إنني أؤمن بك. وهذا واضح تمامًا من مراجعة حياتي. كانت حياتي صالحة وتؤيد معتقداتي. أعلم أن قلبي قد تقسى وماتت المحبة بداخلي، لكن هذا لم يكن خطئي. كان هذا خطأ افتراء ومزدوج الحياة. لقد جعلاني أفتر».

فرد يالين قائلًا: «هل نسيتِ تحذيراتي من خلال مدرسيكِ؟ 'ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.' أنت لم تصبري إلى المنتهى».

واصلت ضعيفة القلب حديثها قائلة: «لكن يا سيد يالين، أنا إنسانة بارة بسبب إيماني فيك. ربما أكون قد فقدت شهادتي، لكنني كنت دائمًا أؤمن أنه بمجرد أن يخلص الإنسان، سيكون مخلّصًا دائمًا ولا يُفقد أبدًا. بل إن بعض المعلمين كانوا يعلنون هذا. فبحسب ما قالوه، لا يمكن لأحد أن ينتزعني من يدك».

فأجاب يالين قائلًا: «أجل، هذا صحيح. لا يمكن لأحد أن ينتزعك من يدي. لكنني لم أقل أبدًا إنك لا يمكنك أن تبتعدي. أنت وحدك التي تملكين هذه القدرة. ألم تقرأي في الكتابات المقدسة 'لأنه إذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم، بمعرفة الرب والمخلّص يسوع المسيح، يرتبكون أيضًا فيها، فينغلبون، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل. لأنه كان خيرًا لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعدما عرفوا، يرتدّون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم'[٢٠]؟ إذا كنت قد قلت إنه كان خيرًا لهم لو لم يعرفوا طريق البر لأن حالتهم الآن أشر من حالتهم قبل أن يخلصوا، فكيف أمكنك أن تصدقي أنه كان مستحيلا بالنسبة لهم أن يفقدوا الخلاص؟ لو كان لا يُفقد أبدًا، فكيف يمكن أن يكونوا أشر من ذي قبل؟

«لمـاذا أصغيتِ إلـى معلميكِ الذيـن علّموا ما يتعارض مع ما تقولـه كلمتي؟ لقد سجلتهـا بعناية حتى يعـرف الجميع طريق البر. لماذا سمحتِ لنفسكِ أن تنخدعي؟ لو كنـتِ قـد صدقتِ ما قلتـه، لكنتِ قد واجهتِ هـذه المرارة التي في قلبـك. لكنك بدلًا من هـذا سمحـتِ لها أن تنمـو بصورة غير صحيحـة نتيجة راحتكِ الزائفة فـي الأمان غير المشروط والآن تواجهين الدينونة التي كان يمكنكِ تفاديها».

دافعت ضعيفة القلب قائلة: «ولكن ماذا عن كل الصلاح الذي فعلته؟»

فأجاب السيد يالين: «مرة أخرى، ألم تقرئي ما قلته بوضوح من خلال نبيِّي؟ 'وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير، أفيحيـا؟ كل بـره الـذي عمله لا يذكر. فـي خيانته التي خانها وفـي خطيته التي أخطـأ بها يمـوت. وأنتم تقولون: ليسـت طريق الرب مستويـة ... أطريقي هي غير مستويـة؟ أليسـت طرقكم غير مستويـة؟ إذا رجع البار عن بره وعمـل إثمًا ومات فيـه، فبإثمه الذي عمله يمـوت. وإذا رجع الشرير عن شره الـذي فعل، وعمل حقًا وعـدلًا، فهو يحيي نفسـه.'[٢١] تمامًا كما هو مكتوب، لا تذكر أعمال صلاحك وبرك ولن تحسب لك».

كانـت ضعيفـة القلب لازالت متشبثة، وقالت: «لكن يا رب، لقد قلت إنني إن اعترفت بـك مخلِّصًـا فسوف يُكتب اسمي في سفر الحياة. كيف يحـدث أنه لم يعد موجودًا بعد؟ لماذا لا يستطيع كاتبك أن يجد اسمي؟ كيف يمكن أن يُمحى منه؟»

أجـاب السيد يالين في صبر لكن بحزم: «ألـم تسمعي ما قيل سابقًا؟ 'الذي يصبر إلـى المنتهـى فهـذا يخلص'[٢٢] مـن يحتملـون الطريق كله حتـى الدينونة هـم الذين يغلبـون. وقـد قلت بوضوح: 'من يغلب فذلك سيلبس ثيابًـا بيضًا ولن أمحو اسمه من سفـر الحيـاة.'[٢٣] إذا كنـت قد قلت إني لـن أمحو اسمه من سفر الحيـاة، فهذا يعني أنه يمكـن أن يُمحى. وإلا كنـت قلت: «إن اعترفت بي ربًا، سوف يكون اسمك مضمونًا إلى الأبد في سفر الحياة».

دافعت ضعيفة القلب قائلة: «كيف يمكنك أن ترسلني إلى أرض العزلة، المكان الذي يُرسل إليه الأموات الأحياء؟

التفت يالين إلى أحد الحكام الوكلاء له وقال: «اقرأ الكتابات القديمة التي أُعلنت لمواطني إنديل».

اتجه الحاكم إلى أمثال ٢١: ١٦ وقرأ: «الرجل الضال عن طريق المعرفة يسكن بين جماعة الأخيلة (الأموات)».

لم تنطق ضعيفة القلب بكلمة. «حينئذ قال الملك للخدام، اربطوا رجليها ويديها، وخذوها واطرحوها في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون».[٢٤]

وإذ اقترب كبير الحراس إليها، لعنت يالين. لقد استولى عليها عنف مرارتها وتلوّت بفعل طبيعتها الميتة مضاعفًا (انظر يهوذا ١٢). كانت مثل شجرة خريفية متأخرة اقتلعت من جذورها ولم يتبق فيها أي ثمار للبر.

ربطوا يديها ورجليها وحملوها نحو الباب الجانبي للقاعة. وبالمثل، حبسوها في أحد الأقفاص. وبمجرد أن تركت القاعة، أوضح كبير الكتبة لجماعة الشهود قائلًا:

«فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين ... فإننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب. وأيضًا الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع في يدي يالين الحي».[٢٥]

دينونة مزدوج الحياة

آخر شخص تم استدعاؤه من قاعة العدل كان هو مزدوج الحياة. كان يعرف قوانين يالين وكان يعرف بالفعل أن دينونته لن تكون محببة. وسرعان ما سيكتشف كم كلفه تعديه.

شعر بالخوار بينما كانوا يدخلونه إلى قاعة الحكم واضطر الحراس لمساعدته حتى يقترب من كرسي القضاء الذي يجلس عليه يالين.

تمـت مراجعة حياته، وهو أيضًـا سمع الكلمات التعيسـة، أن اسمه لم يكن موجودًا في سفر الحياة.

وأعلـن يالين بحزم: «يا مزدوج الحياة، إنك مدان بالخيانة والابتعاد عن البر وأنك كنـت حجـر عثرة، وسوف تؤخذ إلـى أرض العزلة المهجورة، حيـث ستنال أعظم عقاب وعذاب».

استمـع مـزدوج الحياة فـي رعب ثم دافـع قائلًا: «يا سيـد، لكنني كنـت معلمًا في مدرستك. لقد وهبت حياتي لقصدك».

فأجـاب يالين: «لقد كنـت معلمًا، لكن ألم تقرأ الكتب التي كنـت تعلمها؟ 'لا تكونوا معلّمين كثيرين يا إخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم».[٢٦]

فاعترض مزدوج الحياة قائلًا: «كيف كنت حجر عثرة؟»

أصبحت نبرة يالين أقسى وقال: «لقد جعلت الكثيرين من الصغار يعثرون ويسقطون علـى الدوام. وضعيفة القلـب مجرد مثال واحد على هذا. لقد ائتمنت عليها، لقد أعطيتك السلطـان أن تحميها، لا أن تستغلها لمصلحتك الخاصة. لكنك استخدمت نفوذك لتشبع شهوتـك وانتهكتهـا وأخريـات غيرها. جرحتها أخـت، وأنت، الـذي كان يجب عليك أن تجلـب لها الشفاء، استغللتها. لقد حطمت إيمانها. وقـد حكم عليها بالذهاب إلى أرض العزلـة. إنـك تذكر بالتأكيـد التحذير الذي قدمتـه عندما قلت: 'ومن أعثـر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر».[٢٧]

دافع مزدوج الحياة قائلًا: «لكن يا يالين، أعرف أنني سوف أُنفى إلى أرض العزلة، لكـن لماذا أنال أعظم عذاب؟ لماذا تقسو علي هكذا؟ لقد كنت واحدًا من خدامك ولم أكن غير مؤمن. لم أكن مثل المستقل، الذي لم تكن له علاقة بك. لماذا؟»

ظل يالين على حزمه وتصميمه وقال: «لقد عرفتَ الكتابات القديمة وعلّمتها. لماذا تسألنـي هـذه الأسئلة؟ سـوف أذكّرك حتى تتذكر هـذه الكلمـات. إن الكتابات القديمة واضحـة: 'ولكـن إن قـال ذلك العبد فـي قلبه «سيدي يبطـئ قدومه». فيبتـدئ يضرب

الغلمـان والجـواري ... يـأتـي سيـد ذلك العبد في يـوم لا ينتظره وفي ساعـة لا يعرفها فيقطعـه ويجعل نصيبه مـع الخـائنين. وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعـل بحسـب إرادته فيضرب كثيرًا. ولكن الذي لا يعلـم ويفعل ما يستحق ضربات يضـرب قليـلاً. فكل من أُعطـي كثيرًا يُطلـب منه كثير ومـن يودعونه كثيـرًا يطالبونه بـأكثر'».

وواصل يـالين قـائلًا: «كـان المستقل أقل علمًا بتعدياته، لكنك أنت كـان لديك الوعي والمعرفـة. ولذلـك فـإن عقـابه، مع أنه شديـد، إلا أنه سيكون أخف مـن عقـابك. أما أنت فعندي لك مكـان 'محفوظ ... قتـام الظلام'».[٢٩]

ثـم أمـر يـالين كبيـر الحراس قـائـلاً: « اربطوا رجليـه ويديه وخـذوه واطرحوه في الظلمـة الخـارجية. هنـاك يكون البكاء وصريـر الأسنان. لأن كثيريـن يدعون وقليلين ينتخبون».[٣٠]

وإذ كـان كبيـر الحراس يقتـرب، ألقى مزدوج الحيـاة بـالتجـاديف على يـالين وعلى الحراس وعلـى مواطنـي أفـابيـل. كـان عنيفًا بل وحـاول أيضًا أن يتحـرر لكي يهاجم يـاليـن جسديًـا. لقد انكشفت طبيعتـه الحقيقية بـالتمـام. وابتُلـع أي صلاح كـان بداخله في ازدواجيته.

ربطوا يديه ورجليه وحملوه خارج الباب الجانبي للقاعة، وظل يلعن طوال الطريق. وانضم إلى الألف وخمسمائة البـاقين الذين نُقلوا على الفور إلى أرض العزلة.

وبمجـرد أن غـادر مـزدوج الحياة القـاعـة، أغلق كبيـر الكتبة سفره وصـاح قـائلًا: «عـادل أنـت ... لأنـك حكمت هكـذا. لأنهم سفكـوا دم قديسيـن وأنبيـاء فـأعطيتهم دمًا ليشربوا. لأنـهم مستحقون».[٣١]

أرض العـزلـة المـهـجـورة

أخـذ الحراس الملكيون الألف والخمسمائـة المدانين المحبوسين من أهل إنديل في رحلة مدتها أسبوعـان إلى أرض العزلـة الفـاسدة. أتت بـهم هذه الرحلة إلى صحراء النـار العظيمـة، حيث كـانت الحرارة النـاتجة مـن الأرض الظـامئة لا تُحتمل. وفجأة في وسط

العدم، حيث كانت الحرارة في أقصى درجاتها التي لا تُحتمل، بدا في الأفق بناء كبير للغاية ومنذر بالشر. وأثناء اقترابهم منه، استطاعوا أن يقرأوا اللافتة: «أرض العزلة المهجورة».

وبعد الفحص عن قرب، أدركوا أن هذا البناء الضخم لم تكن به نوافذ أو فتحات، بل مجرد باب كبير في أسفله. وعندما عبروا من الباب، سمع كل منهم ما بدا مثل آلاف الصرخات الآتية من الداخل. وخلال لحظات استطاعوا أن يميزوا أنها توسلات موجهة إلى كبير الحراس، آتية من المسجونين بالقرب من المدخل، «ألم نظل هنا وقتًا طويلًا بما فيه الكفاية؟ أرجوك اطلب الرحمة نيابة عنا. إن عقوبتنا أكثر بكثير من أن تُحتمل!»

فسأل المستقل أحد الحراس قائلًا: «كم مر عليهم من الوقت في هذا المكان؟»

«يتراوح وقتهم ما بين سنة واحدة ومائة وتسع وعشرين سنة».

شعر المخدوع بالصدمة. فقد كان يرجو بطريقة ما أن يتحول كل ما حدث في الأسبوعين الماضيين إلى مجرد كابوس، أو تكتيك مخيف. فعاد وسأل ذلك الحارس نفسه: «هل هذا حقًا هو المكان الذي سأقضي فيه بقية حياتي؟»

«أجل، إنه تمامًا مثل ما سبق تحذيرك منه وأنت في إنديل».

وُضع من تعينوا لعقاب أشد في أماكن أعلى في هذا البناء المعدني، حيث كانت الحرارة أقصى ما يمكن. ومن لم يكونوا يعرفون الحق ولكنهم ارتكبوا أشياء جديرة بالنفي وضعوا في القسم الأسفل من البناء المعدني الهائل. ولكن، حتى هذا الوضع كان غير محتمل، ولو حتى ليوم واحد، ناهيك عن أكثر من مائة سنة!

أما مقر عذاب مزدوج الحياة فقد كان يفوق التخيل. أخذوه إلى زنزانة تحت الأرض، بالقرب من صخور الكبريت الساخنة. كانت الرائحة في حد ذاتها لا تطاق، ونتيجة عدم وجود تهوية، فقد كانت الحرارة أشد من أي موقع آخر. لم يكن في المبنى، بل في الأعماق داخل أحشاء الأرض. وكان هذا دون شك، أعظم مكان معاناة وعذاب.

هنـا كان سيعانـي وحده تمامًا. كانت المنطقة كبيرة بما يكفي لفصل من اشتركوا في نفس القدر من الدينونة. لم يكن بمقدورهم أن يسمعوا أي صوت سوى أصواتهم فقط.

وبمجرد أن تم حبس المدانين في زنزاناتهم، اتجه كبير الحراس إلى الباب. وعندما أغلق الباب الحديدي الضخم وراءهم لم يكن هناك أي بصيص نور داخل حدود البناء. سـوف تقضي هـذه النفوس المسكينة، أكثر مـن مائة وخمسة وعشريـن عامًا في هذه الظلمـة المطلقـة والوحدة المطلقـة، كان رجاؤهم الوحيد في النور هـو مرة واحدة كل عـام، عندمـا يأتي فوج جديد مـن المساجين. ولكـن حتى هذا لا يـراه الجميع، بل من كانـوا بالقـرب من الباب العظيم فقط. آخرون، مثل مـزدوج الحياة، لن يروا نور النهار ثانية. بالنسبة له، كان سواد الظلمة محفوظًا له كعقاب.

تأملات

ظل هؤلاء الأربعة نادمين على اختيارهم ألا يصغوا إلى الحق طوال بقية وجودهم. ظلـوا يفكـرون وحدهم وباستمرار فـي حماقة عدم الانتباه الجيد لكلمات يالين، التي كانت متاحة في أرض إنديل. كانوا سيفعلون أي شيء، في مقابل فرصة العودة وتغيير مصيرهم. آه، كم تمنوا أنهم لم يصغوا لرأي الأغلبية أو الرأي الشائع. كانوا سيقاومون منطقهـم الأحمق ويتمسكون بالكتابـات القديمة، التي لم تتغير أبـدًا ولا يمكن كسرها على الإطلاق.

كانوا يتعذبون بصور تلك المملكة الرائعة. وفي عذابهم المتواصل، كانوا يستطيعون رؤيـة جمال المدينة، مع أنهم اختبروه فقط للحظات قليلة. وكان هذا يزيد من عذابهم، نتيجـة التناقض. لم تكن الحرارة النارية، والرائحة النفاذة، والظلام سوى لتأكيد هذه الحقيقة. كان الجمال في متناولهم كي يختاروه، لكنهم بجهلهم أهملوه كله.

الفصل الرابع

البيت الأبدي للموتى

فسأله تلاميذه قائلين ما عسى أن يكون هذا المثل؟ فقال. لكم قد أعطي أن تعرفوا [بالتدريج] (أن تدركوا وتفهموا بشكل أقوى وأوضح) أسرار ملكوت الله. وأما للباقين فبأمثال حتى إنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون. لوقا ٨: ٩ ــ ١٠

في الفصول الأربعة التالية، سوف نترك القصة الرمزية، ونركز على الحقائق المحددة المعلنة في دينونة المستقل، والمخدوع، وضعيفة القلب، ومزدوج الحياة. ثم بعدها ننهي القصة الرمزية بمناقشة الأناني، وصانعة المعروف، وفي بقية الكتاب سوف نركز على الحقائق المعلنة بحياتهما. وسوف يركز أفضل جزء من هذا الكتاب على المكافآت الأبدية، لمن يتبعون يسوع المسيح.

الحقيقة التأسيسية

في قصتنا الرمزية، يمثل ياليـن يسوع المسيح، والملك الأب هو الله، الآب القدير. داجون هو إبليس، وتمثل الحياة في إنديل حياة البشر على هذه الأرض. وتعكس أفابيل مدينة الله السماوية. أما أرض العزلة المهجورة، فتمثل بحيرة النار، أي المكان الذي سيقضي فيه كل فرد لم يتمتع بنعمة يسوع المسيح المخلِّصة أبديته. ويمثل الأفراد الذين تناولهم الفصل السابق سيناريوهات متعددة لمن سوف يدانون إلى الأبد. توضح لنا كلمة الله هذا.

أجل، ما قرأته صحيح. سوف يدانون إلى الأبد. عند تحضيري لكتابة هذه الرسالة،

صارعت مع الكيفية التي يمكنني بها أن آتي بك أيها القارئ إلى النقطة التي تكون فيها قادرًا على إدراك ما يشير إليه الكتاب على أنه «الدينونة الأبدية». اقرأ بعناية ما يلي:

> لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح، (المسيا) لنتقدم إلى الكمال، غير واضعين أيضًا أساس ... الدينونة الأبدية. [كل هذه الأمور التي كان يجب أن تكونوا قد عرفتموها منذ زمن طويل جدًا]. عبرانيين ٦: ١ ـ ٢

كما ترى، فإنني قد تركت التعاليم التأسيسية الخمسة الأولى، والتي من بينها التوبة عن الأعمال الميتة، والإيمان بالله، لكي أؤكد على أن الدينونة الأبدية والعقاب الأبدي، هما تعاليم بداءة المسيح.

يوجد قاموس يعرّف البداءة على أنها «ما يشكل الجزء الأساسي، أو الضروري أو الجوهري».[١] إنه الجزء الضروري، الذي يجب أن يكون لنا منذ البداية، كي نبني عليه. إنه أساس. ولكي تفهم ذلك، فكر في نظام التعليم لدينا. في المدرسة الابتدائية، نحصل على الأدوات الأساسية التي نستخدمها بعد ذلك لنبني عليها تعليمنا، مثل القراءة والكتابة والحساب. وإذا لم يكن لدينا هذه الأسس، فلن تكون لنا أبدًا القدرة على تطوير تعليم مناسب في حياتنا. والأمر نفسه صحيح بالنسبة للمؤمنين. فإذا لم تكن الدينونة الأبدية راسخة وثابتة في فهمنا، فلن نستطيع أن نبني حياة سليمة في المسيح. سوف يشبه هذا محاولتك أن تتقدم في تعليمك دون أن تكون قادرًا على القراءة.

أجل، لقد اكتشفت بعد عشرين عامًا تقريبًا من الترحال، أن الكثيرين – وأنا أشمل بينهم الأتباع المكرسين ليسوع المسيح – لا يعون هذه الأمور. جاء هذا الجزء في الترجمة المنقحة يقول: «كل هذه الأمور التي كان يجب أن تكونوا قد عرفتموها منذ زمن طويل جدًا». لم يقل إننا يجب أن نتعرف على هذه الأمور، بل أن نعيها بالتمام أو بالكمال. وعبارة «منذ زمن طويل جدًا» تؤكد فقط على أن هذه الأمور أساسية بالنسبة لإيماننا الأساسي، مثل القدرة على القراءة والكتابة في تعليمنا.

وسوف نرى بعد وقت قصير لماذا تعتبر «الدينونة الأبدية» تعليمًا بدائيًا يجب أن

نناله، حتى يمكننا أن نبني حياة مسيحية صحية. تذكر هذا وأنت تواصل قراءتك، لأنه دون هذا الفهم، قد يكون صعبًا للغاية أن تستوعب ما سوف نناقشه، وربما تستسلم لفكرة، ما المقصود من كل هذا؟

الجحيم - مجاز أم حقيقة

قبل أن أبدأ الكتابة، كنت أصارع مع هذه الفكرة: كيف أوصّل لجيل «يحيا ليومه» حقيقة القرارات الأبدية التي سوف يتخذها بعد وقت قصير ديان الكون؟ وبعد عدة أيام من الصراع، نشأت هذه الفكرة أثناء الصلاة: لكي يوصل يسوع الحقائق الروحية لأذهان البشر، استخدم القصص. وهكذا ظهرت فكرة قصة أفابيل الرمزية.

عندما كنت أكتب هذه القصة، وعندما وصلت للحكم على هؤلاء الأفراد بالعقاب مدى حياتهم في أرض العزلة، ارتعدت داخل نفسي. في الحقيقة، كتبت الجزء الأخير من الفصل السابق وأنا في الطائرة عائدًا إلى بيتي في أحد أمسيات يوم الأحد. وعظت ثلاث مرات في ذلك اليوم، وكان مساعدايَّ ينامان نومًا عميقًا، لكنني لم استطع التوقف عن الكتابة. وعند وصولي إلى البيت بعد منتصف الليل، لم أستطع النوم، خوفًا على كل من سوف يجدون أنفسهم في نهاية أحد الأيام في موقف سيئ، لا يمكن وصفه، يسمى بحيرة النار. وبحسب ما قاله يسوع، فإن الأغلبية سيكونون هكذا.

> **ادخلوا من الباب الضيق. لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه! ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه.** متى ٧: ١٣ ـ ١٤

وأثناء استلقائي في فراشي، تذكرت شيئًا حدث منذ بضعة أعوام، عندما طُلب مني أن أعظ بالإنجيل، في سجن للرجال بالغ السرية، في جنوب أفريقيا. وأتذكر أنني دخلت إلى ذلك المكان المفزع، وكانت هناك الروائح والأحوال المعيشية المقززة، والزنزانات التي كانت تحوي عشرين إلى ثلاثين شخصًا، تتراص فيها الأسرّة على بعد بوصات بعضها عن بعض. ولم تكن الواقيات الذكرية المعلقة على الحائط سوى جزءًا من الأهوال التي شهدتها. لقد زرت سجونًا عديدة، وخدمت فيها في أمريكا، لكنني لم أرَ قط مثل هذه الأحوال المحبطة في حياتي. لقد بدت سجوننا مثل النوادي الاجتماعية بالمقارنة بهذا السجن.

لـم أستطـع تـخيـل الحياة لمـدة أسبوع فـي هذا المـكان الكريه، نـاهيـك عن قضاء أربعيـن أو خمسين عـامًا (معظم المسجونين هـنــاك، كـانوا يقضون عقوبـة السجن مدى الحياة). يمكنك أن ترى الإحباط المطلق على وجوه من لم يكونوا يؤمنون بيسوع. كان بإمكانـي تقريبًـا أن أسمع أفكارهم، على الأقل سأخرج مـن هنا يومًا ما عندما أموت. ولكـن علـى الجانب الآخر، فقد كانـوا مرتعبين من حقيقة المـوت المجهولة. لقد كانت بحـق ورطـة رهيبة للغايـة. كانوا في حالة يأس تـام. إذا عشت في عالـم حر، وهو ما حدث لهم جميعهم، فسوف يكون هذا عذابًا مطلقًا.

أثنـاء وجودي هنـاك، فكرت في أنه بمقـدار رعب هذا المـكان، إلا أنه مكان جميل بالمقارنـة بالجحيم. على الأقل يوجد لـدى المسجونين رفقاء، وأشعـة الشمس تدخل عبـر القليـل من النوافـذ ذات القضبان في هذا السجن. لكن فـي الجحيم، لا يوجد رفاق ولا نـور، فيمـا عدا النار التي لا تطفأ. في بحيرة النار، لا توجد راحة، إلى أبد الآبدين. سوف تعيش النفوس في عذاب أبدي! في الجحيم لا يمكن أن يفكر الناس قائلين: يومًا ما سوف أخرج من هذا المكان. فقد نـالوا عقابًا أبديًا!

وبمـا أن هذا كان أحد التعاليـم البدائية ليسوع، فقد ناقش الجحيم كثيرًا، أكثر مما نذكره نحن اليوم من على المنابر. لم يكن ينظر إلى تقديم وصف له – للعذاب المرتبط بـه، وأيضًـا لحقيقة أنه لـن ينتهي على الإطـلاق – على أنه نقص فـي الحنو. بل كان ينظـر إليه على أنه ضـروري، لكي يصل إلينا كالراعي الصالـح. وبالتالي كان تناوله له، وتعليمه عنه، دافعه المحبة، بما أن كل ما عمله وعلّمه كان نابعًا من قلب متحنن. ولهذا فإن سؤالي هو: هل نقدم اليوم أفضل خدمة للناس من خلال عدم ذكرنا للجحيم من على المنابر؟ هل هذه محبة حقيقية؟

هنـاك أسمـاء عديدة للجحيم في الكتـاب المقدس. وتعد الهاوية (فـي العهد القديم فقـط)، والقبر، مجرد اسميـن من أسماء كثيرة تطلق على حجـرات الموت الوسطية. أما جهنم و بحيرة النار، فهما الاسمان اللذان يطلقان على الجحيم الأبدي. وسوف نناقش الفرق بين الوسطي والأبدي بعد قليل.

يخبرنا الكتاب المقدس أن الجحيم مكان حقيقي، وليس تصويريًا، وهـي الفكرة التي يحاول مجتمعنا أن يعززها. في سفر العدد ١٦ انفتحت الأرض وابتُلعت ثلاث عائلات

بصـورة حقيقية فعليــة في الهاوية أمام جموع الشهود. في العهد الجديد، نقرأ عن ضد المسيـح والنبي الكذاب: «طرح الاثنان حيّـين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت». (رؤ١٩: ٢٠). لم يموتا وتؤخذ نفساهما إلى هذا المكان فقط، بل طُرح جسداهما الماديان ونفساهما في بحيرة النار.

لعازر والغني

فـي إنجيـل لوقــا، يحكي يسوع حـادثـة حقيقية عن رجـل غني كان يعيش لنفسه بـالكامـل، متجاهـلاً شحـاذًا كـان مطروحًا أمـام بيته كل يوم. ونحـن نعلم أن هذا ليس مثـلاً لأن يسـوع بـدأ القصة بهـذه الكلمـات: «كان إنسان غنــي». ثم إنــه استخدم اسم إبراهيـم واستخدم اسمًا محددًا للشحـاذ، وهو لعازر. لم تكن عـادة يسوع أن يذكر أسماء أو يذكر أشخاصًا فعليين في أمثـاله.

بعـد أن مــات الاثنـان، حملت الملائكة لعازر إلى حضن إبراهيم (والذي كـان منطقة الانتظار للتعزية بـالنسبة لقديسي العهد القديم، حتى جاء يسوع وفتح لهم الطريق بـأن يأتوا إلى محضر الله في السماء). مـات الغني ووجد نفسه في الهاوية. ونقرأ:

> فرفـع عينيـه فـي الهاويـة وهـو فـي العـذاب، ورأى إبراهيـم مـن بعيـد ولعـازر فـي حضـنه، فنـادى وقـال: يـا أبـي إبراهيـم، ارحمنـي، وأرسـل لعـازر ليبـل طـرف إصبعه بماء ويبرّد لساني، لأني معذب في هذا اللهيب. لوقـا ١٦: ٢٣ـ ٢٤

لاحـظ أن الغنـي كان في ألـم شديد وعـذاب. أي أن المعاناة كانـت هـائلة. الجحيم هــو مكان العذاب الواعــي. لاحظ أيضًا أنـه تعرف على إبراهيـم، كما تعرف على لعازر، وكلاهمــا تعرفــا علــى الغني. سيكـون النـاس بشر بدرجـة كبيرة في الجحيـم، فسيظل لديهـم القدرات العقلية، والمشاعر، والإرادة، والملامــح الجسدية، والحواس أيضًا. كـان بـاستطاعــة ذلــك الرجل أن يرى ويسمــع ويشعر بـالألم. كمـا أن لهـم شكل مـا من أشكال الجسد، يمكنك أن ترى رغبة الغنـي الشديدة في تبريد لسانـه فقط. يقول يسوع إن الجسد والنفـس سوف يهلكـان أبديًا في جهنم (مـت ١٠: ٢٨). أي أن جسد الإنسان سوف يظل يُبتلى ويُشوَّه بـاستمرار بـالنيران والدود في جهنم.

لاحـظ أيضًــا أن الغني كـان يتوسل طالبًا الرحمــة، تمامًـا مثل من يلتمسون الرحمة

في سجن أرض العزلة في قصتنا. الجحيم هو مكان اللاهروب، إلى الأبد! لا يمكن لأي شخص أن ينتقل من جانب إلى آخر لكي يعزي ساكنيه، مع أنهم يتوقون بشدة إلى هذا. كما يبدو أيضًا أنهم لا يستوعبون هذه الحقيقة بالكامل، أبدًا. لأن إبراهيم اضطر أن يذكّر ذلك الغني قائلًا: «بيننا وبينكم هوّة عظيمة قد أثبتت، حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم [لكي يعزوكم] لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا». (لو ١٦: ٢٦). أعرف إنسانة اختبرت الجحيم، وقد حكت فيما بعد أن كل من رأتهم كانوا يصرخون بأن هذا أكثر مما يمكن احتماله. وهذا بالضبط هو صراخ الغني الذي تسمعه في الآية السابقة. دعنا نكمل القراءة:

> فقال إبراهيم: يا ابني، اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزى وأنت تتعذب ... فقال: أسألك إذًا، يا أبت، أن ترسله إلى بيت أبي. لأن لي خمسة إخوة، حتى يشهد لهم لكي لا يأتوا هم أيضًا إلى موضع العذاب هذا. لوقا ١٦: ٢٥ ، ٢٧_٢٨

قالوا في القديم «إن التعاسة تحب الصحبة». لماذا لا ينطبق هذا القول هنا؟ لماذا لم يُرد ذلك الغني أن يكون هناك آخرون معه. والإجابة هي أنه في الجحيم لا توجد صحبة أو شركة. البعض يظنون أنه ستكون هناك احتفالات في جهنم. آخرون يظنون أنهم سيستمتعون بأصحابهم. لو كان الأمر كذلك، كان سيريد أن ينضم إليه كل رفاقه الأقربين، لكنه كان يريد بشدة أن يتأكد من أنهم لن يأتوا إلى موضع العذاب هذا. إن الجحيم هو مكان الوحدة المطلقة واليأس المطلق. كما أنه أيضًا مكان التذكر الأبدي، والذي أؤمن أنا شخصيًا أنه أحد العذابات الكبرى.

اسمع كيف تجاوب إبراهيم مع توسل الغني لأجل إخوته:

> قال له إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم. فقال: لا، يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون. لوقا ١٦: ٢٩_٣١

هناك حقيقة قوية موجودة هنا. الكثيرون يحبون الاختبارات غير العادية لكي

يثبتوا لأنفسهم أو للآخرين صحة الإنجيل. لكن يسوع يرينا أنه لا يوجد شيء أعظم من كلمة الله التي تنشئ الإيمان اللازم، لاتباع الله بالكامل حتى النهاية. أرجو ألا تسيء فهمي – معظم الناس يندهشون ويتغيرون لفترة قصيرة بهذه الاختبارات، لكنهم لن يقتنعوا في قلوبهم بها على الدوام.

عندما كنت مراهقًا، كنت شابًا دنيويًا ومحبًا للحفلات، وأخذني والدي لمشاهدة فيلم الوصايا العشر الذي قام ببطولته تشارلتون هيستون. أتذكر جيدًا أنني ثبتُّ عينيّ على الشاشة الكبيرة عندما انفتحت الأرض لتبتلع الشعب إلى الجحيم. هزني هذا المشهد بقوة. وعندما خرجت من السينما تغيرت حياتي. استقمت وسلكت بشكل مختلف لمدة حوالي أسبوع، وبعدها رجعت ثانية إلى طرقي القديمة. لماذا؟ لأنني لم أسمع كلمة الله لأتوب عن طرقي، وأسلم حياتي بالكامل ليسوع حتى تغيرني نعمته.

اختبرت أنا وأصدقائي اختبارات غير عادية هزتني أيضًا، لكنني لم أتغير بفعل أي اختبار فوق طبيعي. ولم يحدث هذا حتى أتى واحد من الإخوة من كليتي إلى غرفتي، وقدم لي كلمة الله من خلال إنجيل يسوع المسيح، وعندها تغيرت حياتي. يقول لنا الكتاب المقدس بشكل محدد «إذًا الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله». (رو ١٠: ١٧)، وأيضًا: «مولودين ثانية، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد». (١بط ١: ٢٣). ولهذا السبب من المهم جدًا أن نعلّم كلمة الله ونعظ بها وليس فقط الاختبارات.

من الناحية الأخرى، فبعد توضيح هذا، دعني أؤكد الآن على هذه الحقيقة: إذا كانت الاختبارات تكمّل كلمة الله أو تساعد على إبرازها، فهي رائعة، بل ولازمة أيضًا. تلعب الاختبارات دورًا ضخمًا في توصيل الإنجيل، لكن كلمة الله التي نقبلها ونؤمن بها، هي التي ستجعلنا نثبت إلى الأبد.

"لماذا أنا ذاهب في هذا الطريق؟"

والآن اسمح لي أن أشاركك باختبار سوف يكمّل ما رأيناه حتى الآن في الكتاب المقدس. جلست أنا وزوجتي في غرفة المعيشة لدى صديق ما في إحدى الأمسيات، وشاركنا بما حدث له في شبابه. تربى صديقنا هذا في الكاريبي وأثناء الموسم المطر وقع في حفرة تستخدم لجمع مياه الأمطار للبناء. قفز أخوه إليه وحاول أن ينقذه

ولكنــه لم يستطع، لذلـك خرج وركض طالبًا النجدة، لأن صديقنـا لم يستطع السباحة. عندما وصلت النجدة، كان قد مات منذ نصف ساعة.

وأخبرنا أنه بمجرد أن غادر جسده، أصبحت كل حواسه سليمة. وجد نفسه منجذبًا بسرعـة إلى أسفل، إلـى ظلمة عميقة جدًا. قال: إن الظلمة كانـت عميقة جدًا، لدرجة أنه لـم يكن يقـدر أن يرى يده أمام وجهه. كانت مظلمة للغاية، لدرجة أنه شعر وكأنه كان يرتديهـا. قال: «كان الخوف عظيمًـا جدًا، لدرجة أنني ظننت أن الأمر لا يمكن أن يكون أسـوأ مـن ذلك، ومع هذا فكلما سقطـت أكثر، أصبحت الظلمة أكثـر كثافة. لم أختبر قط خوفًا مثل هذا على الأرض، لا توجد طريقة يمكنني بها وصفها بالكلمات».

قال: «ثم رأيت أنوارًا متقطعة، وعرفت أنني كنت متجهًا نحو الجحيم. فبدأت أصرخ: «لمـاذا أنا ذاهب في هذا الطريق؟ إنني مسيحـي!» كان أبوه وأمه مؤمنين قويين، لكنه كان فقـط يذهـب إلى الكنيسة لأن والديه قالوا له إنه ليس أمامه خيار في هذا. وعندما شاركنا بقصته، قال إنه في ذلك الوقت لم يمكنه أن يفسر كيف يمكن أن يحدث له هذا.

ثـم حكى أنه سمـع صرخات الخوف والعذاب. أتذكر جيدًا أنــه قال: «يا جون وليزا، هنــاك بعض الصرخات التـي تعتبر عادية. وهناك صرخات أخـرى تجعل الدم يتجمد فـي العروق. هذه هي الصرخات التــي سمعتها. ثم تقابلت وجهًا لوجه مع مخلوق معه ميـزان، ظل يقول لـي: 'تعال إليّ. إنك ملكي.' كنت أحارب هـذا المخلوق. في البداية لم يمكنــي أن أقول شيئًا بسبب الخـوف، ولكن بعدها صرخت قائلًا: 'دعني أذهب. دعني أذهب'.

«بعدها فجأة وجدت نفسي أصرخ في جسدي وأعض الطبيب الذي كان إصبعه في حلقـي (هذا ما قالته أمي لي بعد أن شرحت لها اختباري). في الوقت نفسه، كانت أمي جالسة خارج غرفة العمليات (الآن وقد أصبحت في المستشفى) وتصرخ إلى الله قائلة: 'أيها الآب، إذا رددت لي ابني، سوف أعطيه لك إلى الأبد!'» وقد قاد صديقنا هذا، بعد ذلك، في وقت لاحق في حياته، خدمة في الكاريبي.

قد تتشكك في اختباره، لكن كان هناك عدد ليس بقليل من الرجال والنساء والأولاد الذيـن اجتـازوا في حوادث مشابهـة. وبما أن هذه الاختبـارات المقاربة للموت تحدث

كثيرًا فـي وجود الأطبـاء، فقد أثار هـذا، القلائل منهم إلـى البحث فيهـا. وأحدهم هو رجـل يُدعى ميلفين مورس، وهو طبيب قام بإجراء دراسة موسعـة عن الأطفال الذين كانـت لهم اختبـارت مقاربة للموت. ودرس مجموعتين مـن الأولاد. المجموعة الأولى التـي تحوي ١٢١ مريضًا كانت تتألف مـن المصابين بـأمراض حرجة، لكن لم يكونوا مقاربيـن للموت. كانوا موضوعين على أجهزة تنفس صناعي، في الرعاية المركزة، أو تحـت علاجات مكثفة، وكانت أعمارهم تتـراوح ما بين الثالثة إلى السادسة عشرة من العمر. ولكن لم يذكر أحد منهم أنه غادر جسده.

المجموعـة الثانيـة والتـي تتكون من ١٢ طفل فـي نفس الفئة العمريـة، عانوا من قصـور فـي القلب بسبب الغـرق أو حوادث سيـارات أو توقف القلب، إلـخ. من بين هذه المجموعـة الأصغـر، كان لكل واحد من الاثني عشر اختبار خـارج الجسد. البعض رأوا بـاختصـار أجسادهـم، ووصفـوا للأطباء الإجـراءات التـي رأوهم يستخدمونهـا أثناء علاجهم لهم.

قـد يـرى البعض أن اختبار صديقنـا هو هلاوس. لكن الدراسـات التي أجريت على هـؤلاء الأطفال الآخريـن، تبين خلاف ذلك بشـدة. بالإضافة إلى ذلـك، كيف يمكن أن تصيبه الهلاوس، بينما كان ميتًا إكلينيكيًا لمدة ثلاثين دقيقة؟

الهاوية في مقابل بحيرة النار

رأى صديقنـا، وغيـره ممن أعـرف أنهم اختبـروا الجحيم، مكان العـذاب الوسطي، المسمـى الهاويـة. وهـذا ليس هو المقر الأبـدي لمن هـم خارج الخلاص، بل إنه مكان انتظار للعذاب حتى وقت عرش الدينونة العظيم الأبيض. بعد الدينونة، سيكون المكان الدائـم الـذي يقضي فيه البشر والملائكة الساقطون الأبديـة هو بحيرة النـار. وهذا نراه واضحًا في النص الكتابي التالي:

> ثـم رأيـت عرشًـا عظيمًـا أبيض، والجالـس عليـه ... وسـلم البحـر الأمـوات الذيـن فيـه، وسـلم المـوت والهاويـة الأمـوات الذيـن فيهمـا، ودينـوا كل واحـد بحسـب أعمالـه، [بحسـب دوافعـه وأهدافـه وأعمالـه]. وطُـرح المـوت والهاويـة فـي بحيـرة النـار. هـذا هـو المـوت الثانـي. وكل مـن لـم يوجـد [اسمـه] مكتوبًـا فـي سفر الحياة طُرح في بحيرة النار. رؤيـا ٢٠: ١١ ، ١٣ــ١٥

أريد أولًا أن أوضح أن كل من كانوا في موضع العذاب الوسطي، الذي هو الهاوية، أتوا قبل الدينونة. وبمجرد اكتمال الدينونة، سوف يطرح كل مجرم وكل من عصى الناموس في بحيرة النار، بما في ذلك الملائكة الساقطين، وأجل، الهاوية نفسها أيضًا.

رؤية عن بحيرة النار

أنا وزوجتي لدينا أصدقاء يونانيون. الزوجة اسمها جوي، وهي ثالث جيل في عائلة من الخدام. ولدت جدتها وتربت في اليونان، ومنذ صغرها بدأت تطلب الله. كانت أسئلتها لمن حولها تقابَل باللامبالاة والاستهزاء الصريح. كانت تريد الذهاب إلى كنيسة ما، لكن قالوا لها «الله غير موجود»، وطلبوا منها أن تكف عن هذا الكلام الفارغ.

في أحد الأيام، كانت ترقص رقصة شعبية مع صديقاتها في ميدان القرية، أثناء مهرجان يوناني، وتحدَّث صوت إليها وقال: «يا إيفروسيني، اطلبي الرقصة الأبدية، هذه الرقصة لا قيمة لها».

فاندهشت! وتساءلت: من الذي قال هذا؟ وعلى الفور تركت الرقصة، وأخبرت بقية الفتيات أن ما كن يفعلنه ليس جيدًا. لم يفهم أحد ما كان يجري. ومع هذا، فقد تركت الميدان مسرعة، واتجهت إلى بيتها. وبينما كانت تركض، بدأ ثقل هائل يأتي عليها، مثل عبء ثقيل على ظهرها.

فركضت إلى داخل البيت، واتجهت مباشرة إلى غرفة نومها، وسقطت على ركبتيها وبدأت تبكي. كانت تريد أن تتحدث إلى ذلك الصوت. من الذي كان يتحدث إليها، وما هي الكلمات التي قيلت لها، ما الذي كان يحاول أن يوصله لها؟ كانت هذه هي الأسئلة التي تعذب ذهنها، ولكن لم تبق طويلًا على هذه الحالة.

بمجرد أن لمست الأرض شعرت بشيء مثل النار يأتي إلى غرفتها، ويحيط بها. فسقطت إلى الخلف ودخلت في رؤيا. في الرؤيا رأت كائنًا سماويًا يأتي إليها، لابسًا ثيابًا بيضاء. رفعها ونقلها إلى مكان كان فيه النور خافتًا. ثم تركها هناك. عندما ركزت، أدركت لدهشتها الشديدة أنها كانت تقف أمام مشهد الجلجثة. كان الرب معلقًا على الصليب، والدماء تقطر من جراحه. رأت العذاب على وجهه، أثناء اجتيازه العذاب.

في الوقت نفسه، سمعت صرخات آتية من على بعد. فالتفتت لترى من أين تأتي الصرخات، وشاهدت هوة عظيمة بين الصليب والمكان الذي عبر الهوة، حيث كانت هناك أمواج هائلة من النيران تُقذف من الأرض. كان محيطًا من النيران. وكان باستطاعتها أن تسمع صرخات بدت وكأنها لآلاف من الناس، وكانوا يلعنون الله. في تلك اللحظة شعرت بقوة تدفع رأسها إلى أسفل، عبر هوة في الأرض، وتحدث معها الصوت الذي كلمها سابقاً، وقال: «هذا هو المكان الذي تنتمين إليه».

شعرت بالرعب! وبدأت تبكي وتلتمس الرحمة. وقعت عند سفح الصليب، حاملة على ظهرها الثقل الهائل الذي شعرت به من قبل. فمكثت هناك تبكي لفترة من الوقت. وعندما تحدث إليها الصوت ثانية، وهو مليء بالمحبة والحنو، قال لها: «لقد فعل هذا لأجلك! لقد مات لأجلك! إذا طلبتِ منه الغفران وقبلتِ ذبيحته لأجلك، لن تضطرين للذهاب إلى هناك [يعني بحيرة النار]!»

عند هذا، بكت أكثر، وتجاوبت على الفور مع ما قاله الصوت. طلبت الغفران، وفي الحال رُفع الثقل الذي كانت تحمله، وتدحرج إلى سفح الصليب.

نظرت لأعلى ورأت الرب يسوع واقفًا أمامها، لابسًا هيئته الممجدة. فالتقطها وحملها نحو أجمل تل أخضر. والآن أصبح باستطاعتها أن تتواصل معه عبر ذهنها. كانت تسأله سؤالًا، وهو يجيب. كان أمرًا مذهلًا! سألته أين سيذهبان، وقال لها: «لتقابلي أباكِ السماوي!»

وبينما كانا يقتربان من قمة الجبل، استطاعت أن ترى نورًا خارجًا من بوابة. كانت الموسيقى والترانيم الملائكية الجميلة، تنبعث من الورود والأشجار في كل مكان. وصلا إلى القمة ودخلا البوابة. كان الأمر لا يصدَّق. فالجمال يفوق الوصف! توجها مباشرة إلى العرش. لم ترَ وجه الله، لأنه كان مغطى، لكنها رأت سفرًا كبيرًا عظيمًا ويدًا آتية من بين السحاب. وبدأت تكتب. فانحنت للأمام لكي ترى ما كان يُكتب، ولدهشتها رأت اسمها مكتوبًا في سفر الحياة! (مع أنها لم تكن تعرف في ذلك اليوم «سفر الحياة» الذي نعرفه نحن).

عندما كتب الآب السماوي اسمها في سفر الحياة قال لها: «مرحبًا بك في العائلة!»

وقبلهــا على جبهتها. عند تلك اللحظة، رأت الملائكــة يشكلون دائرة، إذ بدأوا يرقصون ويرنمــون ويفرحون فرحًــا عظيمًا! استطاعت أن تميز اسمها بيـن ترنيم الملائكة وهم يرقصـون. فانضمت إليهم. ثم تذكرت ما قاله الـرب لها: «اطلبي الرقصة الأبدية!» بعد ذلك بوقت كبير، اكتشفت أن ما كان الملائكة يفعلونه، كان احتفالًا عظيمًا على شرفها، لأنها قد خلُصت.

ويعـد فتـرة من الزمن، تحـدث الرب إليها وقــال: إنه قد حان الوقــت لها لكي تعود إلى الأرض، لأن لديه عملًا عظيمًا مخططًا لها. كان عليها أن تجتاز في تجارب نارية لأجـل اسمــه، لكنه سيكون معهــا، وعندما ينتهي كل هذا، سوف ترجــع لتكون معه إلى الأبد. وعند هذا، وجدت نفسها مرة أخرى، في غرفتها. شعرت بإحباط كبير أنها عادت إلــى الأرض، بعد هذه الرحلة السماويــة العجيبة التي اختبرتها للتـو، لكن لم يكن لها اختيار في هذا الأمر.

عندما انتشرت الشائعات في القرية عن اختبارها، بدأ الاضطهاد. بدأ بوالدها، الذي هــدد بقتلهــا بالفأس إذا لم تنكر ما آمنت بـه. فقالت له: إنها لا يمكن أبـدًا أن تنكر ما اختبرتــه. أصبــح الاضطهاد مكثفًا بشـدة إلى أن أتت إليها أختها فــي إحدى الأمسيات وحذرتهــا مــن أن بعضــ الناس يخططـون أن يأتـوا في الصبــاح التالــي، ويأخذوها إلــى ميدان القريــة، ويطلبون منهــا أن تنكر إيمانهــا وإلا سيصبــون الجازولين عليها ويحرقونها.

لــم تصدق أنهم سوف يصلون إلى هذا الحـد، لكن يبدو أنهم قد عقدوا العزم على أن يفعلـوا هذا، لأنه في تلك الليلة نفسهــا أتى ملاك الرب إلى أيفروسيني الشابة، وأيقظها بالنقر على كتفها . وعندما أفاقت أخبرها أن ترتدي ثيابها، وتذهب إلى الباب الأمامي. فأطاعــت، وعندمــا وصلت إلى الشرفــة، شعرت بشخص يرفعها عــن الأرض. لقد نُقلت جسديًا من بيتها، إلى الأمان في قرية مختلفة على بعد أميال.

عذاب لا يمكن تخيله

لــم تر جدة جـوي الهاوية، بل بحيرة النار، التي تسمــى أيضًا «الموت الثانــي». وقد تغير مصيرها لأنها اختارت أن تتبع يسوع المسيح بكل قلبها. تخبرنا الكلمة المقدسة قائلة:

وأما الخائفون وغير المؤمنين [بيسوع] والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني. رؤيا ٢١: ٨

لاحظ أنها البحيرة «المتقدة بنار وكبريت». الكبريت مادة غير معدنية تحترق بسخونة هائلة، وتنتج رائحة كريهة للغاية. وقد حكى الكثيرون الذين وصفوا الجحيم عن هذه الرائحة المريعة، وكان الوصف المستخدم هو أنها «لا يمكن احتمالها». في الحقيقة، من اختبروا مكان الموت هذا، يحكون عن أنه لا توجد طريقة ممكنة في لغتنا تصف العذاب والرعب الذي تعانيه الحواس.

لاحظ أيضًا مصطلح الموت الثاني. يقول يسوع: «من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس». (ما سيقوله هو للكنائس وليس لغير المؤمنين)، « **من يغلب فلا يؤذيه الموت الثاني** ». (رؤ ٢: ١١). ربما تستغرب من أنه يقول هذا للكنائس. لكن لاحظ أننا نرى في الآية السابقة ثلاثة تقسيمات رئيسية للناس الذين يحترقون في بحيرة النار: القسم الأول، هو من ارتدّوا عن تبعيته، والثاني، هم من كانوا غير أمناء له، والثالث، هم الخطاة الذين لم يسيروا معه على الإطلاق. يصف القسمان الأول والثاني من كانوا ذات مرة في الكنيسة. لاحظ الأفراد الثلاثة الأوائل الذين ناقشناهم في القصة الرمزية: ضعيفة القلب والمخدوع والمستقل. اثنان منهما كانا نشطين في مدرسة إنديل، أي من النوع الكنسي. وسوف نرى هذا بتعمق بعد قليل.

الموت الثاني هو العذاب في بحيرة النار لبقية الأبدية. فكر مرة أخرى في الفصل الأول الذي ناقشنا فيه الأبدية – إلى أبد الآبدين، لا نهاية، لا راحة، لا خروج! البعض يظنون أنها سوف تنتهي أخيرًا، لكن هذا يناقض بوضوح ما تعلمنا إياه كلمة الله، لأنها تقول: « **سيعذَّبون نهارًا وليلًا إلى أبد الآبدين** ». (رؤ ٢٠: ١٠).

ولكي يبين يسوع أكثر أنها لن تنتهي إلى الأبد، قال هذا، عن كل من لا يطيعون كلمته: « **فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية** ». (مت ٢٥: ٤٦). لاحظ عبارة عذاب أبدي. أي أن العذاب لن ينتهي أبدًا: إنه أبدي! يقول لنا يسوع:

وإن أعثرتك عينك فاقلعها. خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار. مرقس ٩: ٤٧

وكما ترى هنا، فإنه يتحدث عن بحيرة النار، جهنم. والآن انظر ما يقوله من إحدى الترجمات الأخرى (ترجمة TEV الإنجليزية):

وإذا كانت عينك تجعلك تفقد إيمانك، فاقلعها! خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتلقى في الجحيم. فهناك « الدود الذي يأكلهم لا يموت، والنار التي تحرقهم لا تُطفأ أبدًا». مرقس ٩: ٤٧ ـ ٤٨

لاحظ أن الدود الذي يأكلهم لا يموت، مما يعني أنه سيكون هناك شيء يأكلهم باستمرار. دعنا نقارن هذا بالعالم الطبيعي. بمجرد أن يموت الإنسان، يأكل الدود الجسد إلى أن يلتهمه، ولا تبقى سوى العظام، وبعدها يموت الدود. هذا الدود في جهنم لن يموت أبدًا لأن ما يلتهمه لا يكف عن الوجود أيضًا. أحد الأفراد الذين رأوا الجحيم، حكى أنه رأى دودًا ضخمًا يأكل جسد الناس المعذبين في اللهيب، ولكن مهما طالت مدة وجودهم في الجحيم، ظلوا يمتلكون جسدًا يمكن التهامه.

أجل، ما تفكر فيه صحيح – هذا المكان يفوق التخيل! ما يجب أن نتذكره هو أن الله لم يخلق بحيرة النار في الأصل للبشر. اسمع ما قاله يسوع لمن يُطرحون في هذا الموضع المريع:

ثم يقول أيضًا للذين عن اليسار: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته». متى ٢٥: ٤١

لقد خُلقت للشيطان وملائكته الساقطين، وليس للبشر. لكن الشيطان يخدع الكثيرين ويحضرهم معه إلى العقاب الأبدي. وهذا يشبه ما رأيناه في القصة الرمزية، فقد أدى تأثير داجون إلى انخداع الكثيرين، وبالتالي تحتم توجيه غضب يالين، الذي كان موجَّهًا في الأصل إلى داجون، إلى من استسلموا لتأثيره، وإلا لن يكون يالين عادلًا.

خير إلى الأبد

رأينـا فـي الفصل السابق كم كان غضب يالين شديدًا. تخبرنا الكلمـة المقدسة أن الإنسـان الـذي يشرب «من خمر غضب الله، المصبوب صرفًا فـي كأس غضبه ... يعذّب بنـار وكبريت أمام الملائكـة القديسين وأمام الخروف. ويصعد دخـان عذابهم إلى أبد الآبديـن». (رؤ ١٤: ١٠–١١). فكـر في أبد الآبدين. تذكـر مناقشتنا للأبدية في الفصل الأول. هل تحـاول أن تفهم اللانهاية؟ لا يمكنك أن تفعل هذا ذهنيًا، لكن يمكنك أن تفعل هذا بقلبك. ولهذا السبب، فقد ناح الله على جيل كامل لم يصغوا إليه بقوله:

> يـا ليـت قلبهـم كان هكـذا فيهـم حتـى يتّقونـي ويحفظـوا جميـع وصـاياي كل الأيـام، لكـي يكـون لهـم ولأولادهـم خيـر إلـى الأبـد. تثنيـة ٥: ٢٩

لاحـظ كلمـة إلى الأبـد. يحدث هـذا فقـط إذا كان دافعهم هو مـا يـدوم، وإذا كانوا منقاديـن بالأبديـة! لاحـظ أنـه قـال: «يحفظوا جميـع وصايـاي كل الأيـام». لم يقل: «يحفظـوا جميع وصاياي بعض الأيام. ولم يقل: «يحفظوا بعض وصاياي كل الأيام». كلا، بل جميـع وصاياي كل الأيـام! إن الوصية لنا هـي أن نطيـع مشيئة الله بكاملها، وأيضًا على الدوام.

قـد تقـول في نفسك، أنا لم أحفظ جميع وصاياه. سـوف أوجد مذنبًا وقت الدينونة! أجـل. هـذا صحيح تمامًا. فناموس الله يحدد ويثبت أن كل البشر لا يرقون لمقياس بر الله، وأنهم سيكونون مذنبين عند الدينونة. لا يستطيع أي شخص على الإطلاق أن يقف أمام الله ويقول: «لقد عشت حياة جديرة بمملكتك ولا أستحق العقاب الأبدي».

والسبب في هذا التقصير هو في البداية، في الجنة. لقد عصى الإنسان الله بإرادته، وبهـذا لبس طبيعة الخطيـة. وبفعل الخيانة هـذا، جعل نفسـه عبدًا لإبليس، خاضعًا لسيادتـه، ولا يمكنـه بأيـة طريقـة أن يفـدي نفسه أو يخلص نفسه. وقـد انتقلت هذه الطبيعة الساقطة إلى كل نسل آدم، الذي هو البشرية كلها، لأننا نولد بطبيعة والدينا.

وبدافـع المحبة الخالصة، أعطى الله وعـدًا، أنه بالرغم من أن الإنسان كان مسؤولًا بالكامل عن حالته الساقطة، إلا أن الرب سـوف يرسل مخلِّصًا لينقذنا وهذا المخلص هـو يسـوع المسيح. وقد كانت النبـوات قبل ميلاده بمئات السنيـن، أنه سوف يولد من

عـذراء (إش ٧: ١٤). أبـوه هو الله، وأمه عـذراء اسمها مريم، وهو مـن نسل الملك داود. كان يجـب أن يحـدث هذا، لأنـه لو كان الأبـوان بشريين كان يسـوع سيخضع لطبيعة آدم، ويكون عبدًا للخطية، وما كان باستطاعته أن يحيا حياة كاملة، وبالتالي ما كان باستطاعتـه أن يفدينـا. ولكنه في الوقـت نفسه كان يجب أن يولد مـن امرأة لأن الذي سقـط كان إنسانـًـا، وسيتحتم أن يكون من يقوم بسداد ثمن الخيانة إنسانًا. وهكذا كان يسوع هو الله بنسبة مائة بالمائة وإنسانًا بنسبة مائة بالمائة.

عندمـا ذهب يسـوع إلى الصليـب، حمل جميـع خطايانا وسفك دمـه حتى الموت، دافعًا ثمن الخطية. لكن، نظرًا لأنه عاش حياة البر الكامل، فقد أقامه الآب من الأموات وأجلسه عن يمينه. سبق الملك داود، الذي كان أيضًا نبيًا وجدًّا ليسوع، فرأى وكتب قبل هـذا بأكثر من ألف سنة عن ما سيحـدث بعد صلب المسيح. وقد اقتبس بطرس ما كتبه في يوم الخمسين عندما أعلن قائلًا:

> فإذ كان نبيًا [الملك داود] وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه، سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح، أنه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فسادًا. فيسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعًا شهود لذلك. أعمال ٢: ٣٠ ـ ٣٢

لقد أقيم يسوع من الأموات لكي يحررنا. لاحظ أنه لم يُترك في الهاوية، مما يخبرنا تلقائيًـا أنـه كان هناك. متى كان هنـاك؟ في وقت ما بين الصليـب والقيامة. لقد ذاق يسوع الموت، أو الجحيم، عن كل واحد، حتى لا ننال نحن عقابنا الأبدي العادل. والآن عندمـا نرفض نحـن حياتنا المتمركزة حول ذواتنا، ونقـدم أنفسنا بالكامل لربوبيته، يصبح ما فعله لأجلنا من سفك دمه وتذوق الموت، هو الفدية التي تشترينا مرة أخرى، وهو تبريرنا أمام الله. وهكذا نصبح في الوضع الصحيح مع بره، ويمكننا أن نقف بثقة أمام عرش دينونته. مجدًا لله إلى أبد الآبدين!

ولهـذا السبب يقال لنا ضمنيًا: «لأنكم بالنعمة مخلّصـون، بالإيمـان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد». (أف ٢: ٨–٩).

إذا لـم يسبق لك أن تبت من قبل وسلمـت حياتك بالكامل لسيادة الرب يسوع، فعند

هذه النقطة توجه على الفور إلى الملحق (ب) في نهاية الكتاب، حيث أشرح لك خطة الله لخلاصك، وأصلي معك لتقبل يسوع المسيح ربًا ومخلصًا شخصيًا لك.

معظم المؤمنين ضليعون في ما كتبته في هذه الصفحات القليلة الأخيرة. لكنني وجدت أن ما سوف أناقشه في الفصول القليلة التالية، لا يفهمه بالتمام مؤمنون كثيرون. في الحقيقة، سوف يشعر كثيرون ممن يعلنون أنهم مسيحيون مؤمنون بالصدمة من الحقائق البسيطة المعلنة في الكتب المقدسة التي سنراها في الصفحات التالية. سوف نكتشف أيضًا في الفصول القادمة، لماذا يعتبر العقاب الأبدي معرفة أساسية يجب أن يمتلكها كل مؤمن، حتى ينمو نموًا صحيًا.

الفصل الخامس

دينونة المخدوع

ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق. رومية ٢: ٢

لقد جاء يسوع ليخلصنا، فلا نسدد العقوبة الأبدية للخطية، والتي كانت موضوعة في الأساس لإبليس وجنوده. وحياته المبذولة عنا، تكشف لنا محبة الله العجيبة.

فكر في هذا: لقد خلق الرب البشر مع الحيوانات والطيور والحشرات ومخلوقات البحار وبقية الأرض كلها بما في ذلك هوائها في حالة الكمال في البداية. يقول الكتاب المقدس: «ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدًا». (تك ١: ٣١). ثم وضع الله خليقة كاملة بين يدي الإنسان ليحرسها ويحفظها. وكما يقول كاتب المزمور: «السموات سموات للرب. أما الأرض فأعطاها لبني آدم». (مز ١١٥: ١٦). كانت مسؤولية آدم أن يحمي لا نفسه فقط، بل كل الخليقة أيضًا، من أكبر أعداء الله، الذي هو إبليس.

لم يرغب الله في أن يكون في الجنة أناس آليون لا يستطيعون أن يختاروا بحرية أن يحبوه ويطيعوه. ولهذا فمن وسط آلاف من الأشجار، وُضعت واحدة في وسط الجنة ومعها الوصية التالية: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت». (تك ٢: ١٦ ـ ١٧). لم يكن الموت الذي تكلم عنه موتًا جسديًا، فآدم لم يختبر الموت الجسدي قبل مرور سنوات بعد ذلك (كان أيضًا نتيجة عصيانه). ولكن الرب بين للإنسان أنه سوف ينفصل عن حياة الله ويتخذ طبيعة إبليس، التي هي الموت.

وبعد فترة من الزمن، خدع إبليس حواء من خلال تشويه شخصية الله في عينيها. فقد استطاع أن يجعلها تحول تركيزها من على كل الأشجار المتاحة، وتضعه على الشجرة المحرّمة. وبمجرد أن حكمت على الشجرة أنها جيدة ونافعة ومحببة، أكلت منها، لأنها أصبحت ترى الرب على أنه «من يأخذ» بدلًا من حقيقته على أنه «من يعطي». ومع هذا لم يكن الجنس البشري قد سقط بعد. لم يحدث هذا حتى اشترك زوجها في الأمر، فاتخذت الخليقة طبيعة الموت. ولهذا السبب كانت خطيته أعظم – لأنها هي انخدعت، أما هو فلم ينخدع (انظر ١تي ٢: ١٤).

وبالتالي لم يكن آدم فقط هو الذي اتخذ طبيعة الموت، بل أيضًا كل الخليقة التي كان معيّنًا ليسود عليها. قبل خيانة آدم، لم تكن الحيوانات تفترس الأجساد، ولم تكن تموت. لم تكن الأعاصير والزلازل والمجاعات والأمراض والأوبئة موجودة. فقد نتج كل هذا من أن الإنسان لم يحرس ما عهده الله لرعايته. والآن لم تصر طبيعة الموت للبشر فقط، بل لكل الخليقة أيضًا. يقول الكتاب المقدس:

> إذ أُخضعت الخليقة للبطل ـ ليس طوعًا، بل من أجل الذي أخضعها ـ على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضًا ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. رومية ٨: ٢٠ ـ ٢١

لم تُلعن الطبيعة الخاطئة بالموت باختيارها، بل بعدم خضوع الإنسان لله. فهو لم يقم بحماية ما عُهد إليه لرعايته. لم يُخضع آدم الطبيعة فقط لما كان في الأساس لعنة إبليس، التي هي الانفصال عن الله، بل أخضع نفسه أيضًا وزوجته وكل نسله المستقبلي لها. يا له من غدر، يا لها من خيانة! عند هذه النقطة كان بوسع الله أن يقول: «إن الجنس البشري، الذي أحببته وباركته وخلقته كاملًا، قد فضّل إبليس عليّ. ليذهبوا كلهم إلى بحيرة النار، وسوف نبدأ نحن (الآب والابن والروح القدس) من جديد، ونخلق كونًا آخر، بكائنات تظل وفية لنا، وتحبنا كما نحبها».

لو كان الرب قد فعل هذا، لاعتُبر هذا عدلًا كاملًا في قراره. ولكنه بدافع محبته العجيبة، قدم وعدًا للبشرية أن يرسل فاديًا يخلصنا من العبودية التي وضعنا أنفسنا تحتها. سيكون هذا الفادي هو ابنه، الذي خلق به السموات والأرض. أي أنه سوف يسدد

ثمن الخطية الرهيب، وطبيعة الموت، بالرغم من أنه لم يفعل أي شيء، سوى أنه أحبنا منذ البدء. هذه هي المحبة العجيبة.

وهذا هو سبب الجلجثة. أجده أمرًا عجيبًا أن يتحدى شخص غير مؤمن المسيحيين قائلًا: «كيف يمكن لإله محب أن يرسل الناس الذين لم يسمعوا الإنجيل إلى الجحيم؟» وإجابتي البسيطة هي: «إن هذا ليس خطؤه، بل خطؤنا.» لقد سدد يسوع الثمن الرهيب لكي يحرر البشرية ويخبرنا بعدها نحن الذين فهمنا بالفعل هذه البشارة، أن نذهب إلى العالم أجمع، ونخبر من لم يسمعوا، أننا قد افتُدينا من لعنتنا، التي جلبناها على أنفسنا وعلى الخليقة كلها. سوف يكون علينا أن نعطي حسابًا عن جيلنا. فقد قام الله بدوره!

إننا نتخذ طبيعة الله

لم يسدد يسوع ثمن دينونة خطايانا فحسب، بل أصبحت لنا طبيعة جديدة على شبه الله، لم نعد بعد عبيدًا للخطية. عندما يسلم شخص ما حياته بالكامل ليسوع يصير خليقة جديدة تمامًا.

> إذًا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديدًا. ٢ كورنثوس ٥: ١٧

إننا نموت فعليًا عندما نقبل يسوع المسيح ربًا. تموت طبيعتنا القديمة، تُصلب مع المسيح في نظر الله. ويولد شخص جديد تمامًا، له طبيعة الله. وهكذا نولد ثانية. الآن تحررنا من الطبيعة التي كانت قبلاً تملي علينا حياتنا. وكما تقول الكلمة المقدسة بوضوح: « كما أقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة؟... عالمين هذا: أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد أيضًا للخطية. لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية. فإن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه». (رو ٦: ٤، ٦ـ٨). يمكننا الآن أن نعيش بحسب طبيعة المسيح، وليس بحسب الطبيعة التي كنا مستعبدين لها، نتيجة خيانة آدم.

إن احتقار المسيحي للشخص الذي لم يقبل يسوع سيدًا له بسبب أسلوب حياته هو جهل تام. لأن الحامض النووي الروحي لهذا الشخص هو أن يخطئ، وهذا هو

بالضبط ما يفعله. الأمر الغريب وغير الطبيعي بالمرة هو «المؤمن» الذي يرتكب خطية اعتيادية أو متعمدة. والسبب الذي جعلني أضع كلمة مؤمن بين علامتي تنصيص هو أن الشخص الذي يمارس الخطية قد يعلن أن يسوع هو مخلصه وربه، لكنه في الحقيقة ليس كذلك. لأنه لو كان هكذا حقًا، لكان ذلك الإنسان سيظهر الطبيعة التي بحسب الله في حياته. وقد أوضح يسوع هذا بقوله:

> هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة. وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا رديّة، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا رديّة، ولا شجرة رديّة أن تصنع أثمارًا جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تُقطع وتُلقى في النار. فإذًا من ثمارهم تعرفونهم. متى ٧: ١٧ ــ ٢٠

ما يقوله هنا ليس معقدًا، وبالتأكيد، ليس قابلًا للتغيير. فالسبب ليس هو الثمار، بل طبيعة الشجرة. لكن هذه الطبيعة تظهر على مستوى الثمار. إذا اقتربت من غصن يحمل توتًا سليمًا، تعرف أنه غصن صالح للأكل. ومن الناحية الأخرى، فإذا وجدت توتًا سامًا، يكون هذا غصنًا رديئًا. فالدليل أو البرهان على أن الشجرة جيدة أو سامة، هو من خلال نوع الثمار التي تنتجها. ويقول يسوع إن طريقة التعرف على ما إذا كان إنسان ما مسيحيًا أصيلا أم لا، ليس من خلال ما يقوله، أو مدى التدين الذي يبدو عليه، أو عدد المرات التي يحضر فيها اجتماعات الكنيسة، بل من خلال ما يفعله! هل ثماره تفضل الغير، وتركز على الملكوت، أما أنها أنانية، وتركز على العالم، كما وصف الرسول يوحنا في رسالته قائلًا:

> لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم: شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد. ١ يوحنا ٢: ١٥ ــ ١٧

لقد استغرق الأمر مني أنا وليزا وقتًا طويلاً لكي نقنع أولادنا بهذا. كانوا ملتحقين بمدارس مسيحية، وكانوا يلاحظون العديد من زملائهم في الفصل الذين يحضرون الكنيسة مع والديهم ويقولون إنهم مسيحيون مؤمنون، لكنهم كانوا باستمرار يصنعون ثمار إرضاء الذات، كما رأينا في النص الكتابي السابق، بدلًا من أن يصنعوا

ثمارًا تشبه المسيح. كان هؤلاء الزملاء يعيشون حياتهم لأنفسهم، بدلًا من أن يطلبوا مشيئة الله ويُسروا بفعلها. ويعتبر موقف أولادنا في المدرسة، مجرد موقف واحد من بين الأمثلة التي لا حصر لها التي يمكنني سردها. توجد هذه المشكلة في البيوت، وفي عالم الأعمال، وحتى في الكنيسة والخدمات. هناك الكثيرون الذين يقولون عن أنفسهم إنهم مسيحيون مؤمنون، ومع هذا ينتجون ثمارًا تشير بوضوح إلى خلاف هذا.

"التغيير" النموذجي

لقد أصبح الإنجيل الذي نكرز به غير متوازن، إذ يتم التأكيد على قبول يسوع من خلال ترديد صلاة الخاطئ. فنحن نعترف به «ربًا» وبمجرد أن يتم هذا، نخلص إلى الأبد. ولكن ليس هذا هو ما يعلّمه يسوع. إنه يقول: «**ليس كل من يقول لي: يا رب يا رب! يدخل ملكوت السموات**». (مت ٧: ٢١).

إذا أصغينا لعبارته فقط دون تمريرها عبر مرشحات سنوات من الكرازة، والتعاليم، والكتابات، والترانيم غير المتوازنة عن نعمة الله، سوف نرى أنها تناقض إنجيلنا الحديث. لا يمكن أن تكون كلماته أوضح من هذا – ليس كل من رددوا صلاة الخاطئ، واعترفوا به ربًا، سيدخلون السماء. وإذا كانوا لن يدخلوا السماء، فلا يوجد سوى بديل واحد فقط، وهو ما رأيناه في الفصل السابق.

دعونا نتأمل في خدمة كرازية نموذجية، يكرز فيها الواعظ برسالة «تعال إلى يسوع واحصل على البركات». ويحكي كيف أن يسوع سوف يمنحنا الفرح والسلام والرخاء والسعادة والصحة والسماء وغيرها. أرجو ألا تسيء فهمي. إن الله يرغب في أن يباركنا، لكن يسوع لم يستخدم قط البركة ليغري الناس أن يتبعوه. ثم بعد خمس وأربعين دقيقة من نغمة المبيعات هذه، يطلب من الحاضرين أن يحنوا رؤوسهم، ويسألهم إذا ماتوا الليلة، فهل سيذهبون إلى السماء؟ بل إنه يشجع الجميع أيضًا أن ينظر كل واحد للشخص الذي على يساره وعلى يمينه ويسأله السؤال ذاته، وذلك لكي يساعد في تجنيدهم. ويقول بعد هذا: «إذا كان لا يستطيع أن يقول أجل، فخذه من يده وأحضره إلى الأمام».

وبينما يتقدم المرشحون إلى الأمام، تُرنَّم ترانيم مثل «كما أنا». وفي حالات

أخرى، يصفق الحاضرون فقط، ويبتسمون، وتعزف الآلات الموسيقية لحنًا متهللًا، لأنهم تقدموا للأمام.

ثم بمجرد أن يكون الجميع في المقدمة، يطلب الخادم منهم أن يحنوا رؤوسهم، ويرددوا صلاة شهيرة مثل: «أيها الآب، أعترف أنني خاطئ. اغفر لي خطاياي. أنا أطلب اليوم أن يدخل يسوع إلى حياتي ربًا ومخلصًا. أشكرك لأنك جعلتني ابنك. في اسم يسوع. آمين».

فيهلل الحاضرون، وتعزف الموسيقى، ويرجع «المتجددون» الجدد إلى مقاعدهم، «كما كانوا»، فيما عدا أنهم الآن أصبحوا مخدوعين. لا يقال شيء يخص التوبة عن أسلوب حياة العصيان، وإنكار رغباتهم، حتى يمكنهم أن يتمسكوا بمشيئة الله، وخسارة حياتهم لأجل قصد المسيح. لقد اعترفوا بيسوع «ربًا» لهم، لكن لم يحدث تغيير في القلب. الآن أصبح يسوع مجرد جزء من حياتهم. حسنًا، دعني أخبرك بشيء، وهو أن ملك الملوك ورب الأرباب، لا يأتي إلى حياة أي شخص في المرتبة الثانية، ولا حتى الأولى، وسط محبي التنافس. لكنه يأتي فقط كالملك الكامل، والكلي دون أن يوجد شخص، أو شيء، أو نشاط، يتنافس للحصول على مكانته في قلوبنا. يجب أن يكون هو الرب، وهذا ما يعني أن يكون السيد الأعلى والمالك، مما يعني أيضًا أننا لم نعد نمتلك حياتنا.

فكر في هذا، هل يمكنك أن تتزوج إنسانة تقول لك إنها ستكون وفية لك، من ضمن محبين آخرين، لكنك ستكون أنت الأول؟ كم بالأحرى ملك الكون؟ هل سيقبل عروسًا تقول له: «أنت الأول بين كل محبيّ الآخرين؟» لا يوجد عهد في هذه العلاقة، ولا يوجد اتحاد اثنين ليصيرا واحدًا. يا له من خداع!

لم يسمح هؤلاء «المتجددون الجدد» للصليب أن يقتل حياة إرضاء الذات، ويفسح المجال لطبيعة يسوع الجديدة أن تتشكل بداخلهم. لقد تم إقناعهم فقط بفكرة الحياة الأفضل هنا، والوعد بالسماء. أمر مثير للاهتمام، أنه في الكثير من بلاد العالم التي يتعرض فيها المسيحيون للاضطهاد، يأتي الناس إلى يسوع، عالمين أنهم يهلكون حياتهم. لكننا اليوم في المجتمعات الغربية نأتي إلى يسوع لنجد الحياة الأفضل والسماء. إلا أننا يجب أن نُهلك حياتنا أيضًا.

اليوم، يعيش الكثيرون من الإنجيليين النموذجيين في مجتمعنا في خداع، نتيجة نوعية الإنجيل الذي كرزنا به. قد يتحفز المتجددون الجدد بـ «إيمانهم» الذي وجدوه حديثًا، ويشتركون في الأنشطة المسيحية، ويحضرون الكنيسة، بل وينخرطون أيضًا في قافلة كرازية، لأنها فكرة جديدة ومثيرة. إنه يشبه ناديًا جديدًا، أو تجربة رياضة جديدة، أو الالتحاق بمدرسة جديدة، أو العمل في وظيفة جديدة. إنهم يشعرون بوجود أمر جديد، لكنهم لم يفعلوا ما أمر به يسوع كل أتباعه الحقيقيين، وهو أن يحسبوا حساب نفقة تبعيته، ثم يتخذون القرار الدائم أن يدفعوا حياتهم المقدمة لخدمته، ثمنًا لذلك (انظر لوقا ١٤: ٢٧-٣٣).

الخسارة لأجل الربح

إنها عملية مبادلة: يجب أن نعطي حياتنا كلها، وفي مقابلها نأخذ حياته (طبيعته). كرر يسوع هذه الفكرة أكثر من مرة:

> **من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه** [ينسى نفسه ومصالحه، ويتجاهلها، ويتبرأ منها، ويكف عن أن يراها] **ويحمل صليبه** [ينضم إلي كتلميذ وينحاز إلى جانبي] **ويتبعني** [باستمرار، ملتصقًا بإخلاص بي]. **مرقس** ٨: ٣٤

يجب أن تلتصق به دائمًا وبإخلاص. ليس الأمر أن تصلي لمرة واحدة، ثم تعيش حياتك كالمعتاد، فيما عدا أنك الآن ضمن نادي «المولودين ثانية» ومتجه نحو السماء. أكمل يسوع كلامه بالقول: « **فإن من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلّصها** ». (مر٨: ٣٥). وتأتي هذه الآية في الترجمة المنقحة الإنجليزية هكذا: «كل من يتخلى عن حياته [المعاشة فقط على هذه الأرض] من أجلي ومن أجل الإنجيل سوف يخلصها [حياته الروحية الأسمى في ملكوت الله الأبدي]».

إنه تغيير محدد، فنحن نتخلى عن حقوقنا كمالكين لحياتنا، لكي نتبع رغبات الله، وفي المقابل، ننال حياته الأبدية. لكننا بالإنجيل الذي يُكرز به اليوم، لم نؤكد على هذا الجانب الشديد الأهمية من تبعية يسوع، بل قدمنا فقط الفوائد. لقد كرزنا في الأساس بمواعيد القيامة، دون أن نكرز بتأثير الصليب وقراره.

يمكن تشبيه هذا بشاب يرى إعلانًا عن التوظيف في المؤسسة العسكرية على

التليفزيون. فيشاهد رجلا بحريًا وقورًا مقاربًا لعمره، يرتدي الزي الموحد، وواقفًا على متن سفينة رائعة، مبحرًا في البحار الواسعة، والسماء فوقه شفافة وجميلة، وهو يبتسم لرفاقه. ثم يبين الإعلان هذا البحّار وهو يجول في المواني حول العالم، وكل هذا مجانًا. فيذهب الشاب على الفور إلى مقر التوظيف ويسجل اسمه، وهو لم يقرأ شروط الالتحاق، لأنه كان مركزًا للغاية على الفوائد. والآن يشعر أنه في غاية السعادة، فلديه الفرصة أن يرى العالم، ويصير جزءًا من جيش عظيم، ويعقد صداقات جديدة كثيرة.

لكنه سرعان ما يكتشف في التدريب الأساسي، أنه لا يمكنه أن يظل نائمًا حتى التاسعة صباحًا كما كانت عادته. وتأتيه الأوامر بأن يقص شعره الطويل الذي كان يعتز به. لا يمكنه الذهاب إلى مناسبات اجتماعية كثيرة، لأنه لا يستطيع أن يترك القاعدة، إلا لمدة ايام قليلة في الشهر الواحد. والأسوأ من كل هذا، هو أنه مرتبط بجدول صارم، لا يسمح له بالتسكع. وفي الوقت نفسه مطلوب منه أن ينظف دورات المياه، والقاعات الفوضوية، ويقوم بتمارين ضغط وتدريبات صعبة أخرى. لقد فقد وقت الفراغ الكبير الذي كان له من قبل، وأصبح ينهار على سريره كل ليلة من جراء الإرهاق. لكنه لازال عنده رجاء إذ يعرف أنه سرعان ما سيكون على السفينة. وبمجرد انتهاء التدريب الأساسي، يتم تعيينه على سفينة، لكن العمل هناك مكثف، كما كان من قبل. الاختلاف الآن فقط، هو أنه في البحار المفتوحة. تندلع الحرب، ويجد نفسه الآن يحارب في معركة لم يُرد الدخول فيها.

لقد أراد الالتحاق بهذه الحياة لأنها كانت حياة لم يكن باستطاعته أن يوفرها لنفسه أبدًا، وكانت مجانية. أجل، كانت مجانية. لكنه لم يلاحظ تفاصيل مكتب التوظيف التي تقول إنها ستكلفه حريته بالكامل. ولهذا يشعر بالإساءة من جوانب كثيرة. فهو يشعر أنه تعرض للغش، لأنهم في نظره باعوه شيئًا لا يبين سوى الفوائد، لكنه لم يفصح عن التكلفة الشخصية.

لقد كرزنا بإنجيل يتحدث عن الخلاص المجاني، وهو أمر دقيق بكل تأكيد، لكننا أهملنا أن نخبر المرشحين للخلاص، أنه سوف يكلفهم حريتهم. عندما أتحدث عن الحرية، لا أعني أنها هي الحرية الحقيقية، بل الحرية التي يدركها الناس، لأن كل من هم خارج المسيح هم مستعبدون للخطية. إنهم عبيد، بالرغم من أنهم قد يؤمنون بكل تأكيد أنهم أحرار. يمكنني تشبيه هذا بفيلم ماتريكس. استأجر ابني الأكبر النسخة

المنقحة من هذا الفيلم في إحدى الأمسيات وعرضها على أسرتنا، ورأيت فيه تماثلًا مدهشًا.

هناك سؤال شيق يثار في الفيلم وهو: «كيف تعرف الفرق بين عالم الأحلام والعالم الحقيقي، إذا لم تستيقظ من الحلم؟» في ذلك الفيلم، تسير حياة القرن العشرين كالمعتاد، أو هذا ما يبدو. في أواخر القرن الحادي والعشرين، قام رجل بتطوير ذكاء اصطناعي (يشار إليه ببساطة على أنه الآلات). تحكمت هذه الآلات في الأرض، وحارب الإنسان لاستردادها. وفي صراع القوى الناتج عن هذا، تم إهلاك القسم الأعظم من العالم وانتصرت الآلات. واكتشفت هذه الآلات أنها يمكن أن تظل تعمل باستخدام الكهرباء المولَّدة من الجسم البشري. ولذلك أنشأت وهمًا ضخمًا، لكي تخدع به البشر، كي يخدموها. «بدا» العالم أنه لازال عاديًا (القرن العشرين)، لكن في الحقيقة كانت أجساد البشر محفوظة في غرف على «صور» ضخمة، وعقولهم متصلة ببرنامج كمبيوتر اسمه ماتريكس، يبين واقعًا عالميًا ظاهريًا. وهكذا فإن حرية حياتهم في الأساس لم تكن حقيقية، بل كانوا عبيدًا.

هذه هي النقطة التي يبدأ عندها الفيلم، بمجموعة من الرجال والنساء الذين نجحوا في الهروب من ماتريكس، واكتشفوا هويتهم الحقيقية. وقد كونوا مقاطعة اسمها زيون في العالم الحقيقي (والتي لا حياة فيها في العالم الآخر). ثم دخل قليلون منهم مرة أخرى إلى ماتريكس، لمحاربة الآلات وتحرير البشرية. كانت المعركة شديدة والحياة صعبة، لكن هؤلاء الفاتحين كانوا مهتمين بالحرية الحقيقية أكثر من أن يعيشوا أكذوبة الحرية الزائفة. وفضلوا أن ينالوا الحرية بصعوبة، على أن يعيشوا في العبودية براحة خادعة.

وهنا نرى التطابق. كثيرون من غير المؤمنين يرون المسيحيين على أنهم عبيد مقيدون يخسرون حريتهم، ويرون أنفسهم على أنهم أحرار. لكن الحقيقة هي أن من هم خارج المسيح هم العبيد، وهم يشبهون من يعيشون أكذوبة في «المزرعة» مستعبدين لآلة. إنهم عبيد للخطية.

صعب أن تكون مسيحيًا

ليس المستعبدون هم من لم يسمعوا الإنجيل من قبل، أو من رفضوا أن يؤمنوا به،

بل الكثيرون من «المتجددين» النموذجيين في هذا الجيل مستعبدون أيضًا. لقد خلقنا هذه الورطة عندما أهملنا إعلان تكلفة تبعية يسوع. يفترض الكثيرون أنهم أحرار، لكنهم في الحقيقة ليسوا أحرارًا، والدليل هو أسلوب حياتهم. يقول يسوع:

> الحق الحق أقول لكم: إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن [ابن البيت] فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن [جعلكم أناسًا أحرارًا] فبالحقيقة تكونون أحرارًا. يوحنا ٨: ٣٤ـ٣٦

هذه الكلمات تكرر حقيقة شجرة الثمار. إذا كان هناك شخص ما معتاد الخطية، فهو إذًا عبد لها. إنه ليس ابنًا، لأن طبيعته الحقيقية لم تتغير. قد يظن أنه حر لأنه ردد صلاة الخاطئ، لكنه لم يتخلَّ بالكامل عن «حقوقه» حتى يتبع يسوع. إنه لازال يريد حريته (الزائفة) مع فوائد الخلاص. لا يمكنك أن تحصل على الاثنين معًا!

وكما ذكرنا من قبل، فقد يبدأ هؤلاء الأشخاص «اختبار ولادتهم الثانية» بفرح وحماس وشغف، لأنه اختبار جديد ومنعش. ولكن في النهاية سوف تظهر طبيعتهم التي لم تتغير، لكنها سوف تظهر في الدوائر المسيحية، وتتخفى في عباءة اللغة الإنجيلية وأسلوب الحياة الإنجيلي. ولهذا يعتبر الأمر في غاية الخداع. لكن العهد الجديد يحذرنا بصورة خاصة من هذا الخداع. كتب بولس يقول: «في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة، [سيكون صعبًا جدًا أن تكون مسيحيًا]» (٢تي ٣: ١).

إننا نعيش في الأيام الأخيرة، ولا يوجد شك في هذا، فكل الأجزاء الكتابية النبوية تعلن أن يسوع سيعود قريبًا. سبق بولس فرأى زمننا الحالي على أنه أصعب فترة زمنية يمكن للإنسان فيها أن يكون مسيحيًا. هناك ترجمات أخرى تستخدم كلمة خطرة أو مروعة لوصف هذه الأزمنة. لماذا؟ عند النظر إلى أيام بولس، نرى أنه واجه مقاومة كبيرة. فقد تلقى تسعًا وثلاثين جلدة على ظهره في خمس مناسبات مختلفة. وثلاث مرات مختلفة ضُرب فيها بالعصي، ورجم مرة، وقضى أعوامًا في السجن. كان يقابل اضطهادًا عجيبًا أينما ذهب. ومع هذا يقول إن أيامنا ستكون أصعب بالنسبة لمن يريد أن يكون مسيحيًا! لماذا؟ ها هو السبب الذي يقدمه:

لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم، محبين للمال، متعظمين، مستكبرين، مجدّفين، غير طائعين لوالديهم، غير شاكرين، دنسين، بلا حنو، بلا رضى، ثالبين، عديمي النزاهة، شرسين، غير محبين للصلاح، خائنين، مقتحمين، متصلفين، محبين للذات دون محبة لله. ٢ تيموثاوس ٣: ٢ ـ ٤

عندما تفحص عبارته هذه، قد تظل تتساءل عما يريد أن يقوله. كيف تختلف هذه القائمة عن يومه؟ كان الناس في مجتمعه، فيهم كل هذه الصفات: كانوا يحبون أنفسهم، ويحبون المال، وكانوا دنسين، وغير غافرين، إلخ. بل إن بطرس قال في يوم الخمسين: «اخلصوا من هذا الجيل الملتوي (المنحرف، الشرير، الظالم)». (أع ٢: ٤٠). لماذا إذًا يفرز بولس جيلنا على أنه يتصف بهذه الصفات، التي تجعله أصعب وقت ممكن أن يكون فيه الإنسان مسيحيًا؟ يكمل بولس ليخبرنا بالسبب، فيقول: «لهم صورة التقوى، ولكنهم منكرون قوتها». (٢تي ٣: ٥). وتقول الترجمة المنقحة الإنجليزية: «[بالرغم من أنهم] لهم صورة التقوى (الديانة الحقيقية) لكنهم ينكرون قوّتها ويرفضونها وهم غرباء عنها [سلوكهم يكذّب صدق اعترافهم]».

وهكذا يمكنك أن ترى ما يجعل الحياة المسيحية في جيلنا صعبة، سيكون هناك الكثيرون (طبقًا لشواهد أخرى في العهد الجديد) الذين يعترفون أنهم مسيحيون، أو مولودون ثانية، أو مخلَّصون لكنهم لم يسمحوا للصليب أن يقتل حياة الذات فيهم. سوف لا يتخذون القرار بالتخلي عن كل حقوقهم لكي يتبعوا يسوع. سوف يؤمنون بإخلاص أنه هو مخلصهم، لكنهم ينضمون إليه فقط لحقيقة ما يمكنه أن يفعله لأجلهم، وليس لمن هو. لا يختلف هذا عن المرأة التي تتزوج رجلًا لأجل أمواله. قد تتزوجه عن حب، لكن لأجل الأسباب الخاطئة. ومن هذا الدافع يطلبونه لأجل الخلاص والنجاح في هذه الحياة، ويؤمنون بإخلاص أنه هو مخلصهم، لكنهم لن يتخلوا أبدًا عن التحكم في حياتهم.

خطوط ضبابية

تكمن الصعوبة في أن الخطوط أصبحت ضبابية. دعنا ننظر إلى الشخص الذي يرضي ذاته، ومع هذا، يقر بحدوث اختبار الولادة الثانية، ويتكلم بلغة المؤمن الحقيقي، ويصادق الأتقياء، بل ويتحمس أيضًا لاجتماعات المؤمنين، ومع كل هذا لا يوجد تغيير في طبيعته. ولهذا فإن ذلك الشخص في الأساس هو مزوِّر ولا يدري.

وتكمن الصعوبة في حقيقة أن هذا الخداع الذاتي يتفشى مثل المرض. آخرون يبنون حياتهم على هذا «العُرف» في الثقافة المسيحية، وهذا «العُرف» لا يتفق مع السماء، وهذا يصعّب مسألة أن يكونوا مؤمنين حقيقيين. في أيام بولس، إذا كنت مؤمنًا، كانت حياتك ستتعرض للخطر كل ساعة. لم يكن هناك شك في هذا – إذا قدمت ولاءك ليسوع، فإنك بهذا تخاطر بحياتك. يواصل بولس فيقول:

> **وأما أنت فقد تبعت تعليمي، وسيرتي، وقصدي، وإيماني، وأناتي، ومحبتي، وصبري، واضطهاداتي، وآلامي، مثل ما أصابني في أنطاكية وإيقونية ولسترة. أيّة اضطهادات احتملت. ومن الجميع أنقذني الرب. وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون. ولكن الناس الأشرار المزوّرين سيتقدمون إلى أردأ مضِلّين ومضَلّين.** ٢تيموثاوس ٣: ١٠ ـ ١٣

لقد قالها بولس بوضوح. لم يكن ما يعلّمه فقط هو الذي يثبت أن تيموثاوس يمكن أن يثق فيه، بل أيضًا ما يعيشه وما يريده في الحياة (منقاد بالأبدية، وهو ما سنصل إليه لاحقًا في هذا الكتاب). لم تكن المسألة هي صلواته المستجابة، أو مواهبه الفائقة للطبيعة التي تجري المعجزات، أو قدرته المتميزة على تعليم كلمة الله. كلا، لم تكن هذه الصفات هي التي أشار إليها، بل أسلوب حياته. فقد كان، وسوف يظل، هو العامل المحدِّد.

ويكمل قوله بأن «الناس الأشرار المزورين» سوف يزدهرون. كلنا نعلم أنه يجب أن نبتعد عن الشخص الشرير، لكن الأخطر، هم المزورون، أي من يزعمون هوية خارجية لا تتوافق مع طبيعتهم الحقيقية. هم من يعترفون بأفواههم بالمسيحية ويتشبهون بشكلها، لكن لا يوجد فيهم دليل على قوة النعمة المغيرة للحياة. لاحظ أن بولس يقول إنهم لن يخدعوا الآخرين فقط، بل هم أنفسهم سيكونون مخدوعين.

وهذا يصف بالتمام شخصية المخدوع في قصتنا الرمزية. كان هذا الشاب نشطًا في مدرسة إنديل، وكان يقول إنه تابع مخلص للملك، وكان يؤمن حقًا أنه في وضع جيد مع الملك. وقد أكد على ولائه الشفهي أكثر مما أكد على أسلوب حياته الذي يعلن ولاءه. لم يكن مخدوعًا فحسب، بل خدع الآخرين أيضًا. ونتيجة المعايير التي وضعها

المخدوع، ساوم الكثيرون، من الفتيات اللواتي كان يضطجع معهن إلى الكثيرين الذين أثر عليهم برسالته داخل هيكل الطلاب.

قد تتساءل: الرسالة؟ لكنه لم يكن مدرسًا. أجل، أنا أعني الرسالة، لأن الكيفية التي نحيا بها حياتنا تتكلم بصوت أعلى بكثير مما نقوله. بالنسبة لهؤلاء الطلاب في إنديل الذين كانوا أوفياء ليالين، كانت هناك معركة بداخلهم، لكي لا يتأثروا بشخصية المخدوع القوية، وأسلوب حياته. من لم يثبتوا بقوة استسلموا لتأثيره.

هذه هي المعركة التي لم يحذرنا بولس فقط منها، وإنما الكثيرون أيضًا من كتّاب العهد الجديد. يقول لنا يهوذا:

> أيها الأحباء، إذ كنت أصنع كل الجهد لأكتب إليكم عن الخلاص المشترك، اضطررت أن أكتب إليكم واعظًا أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلّم مرة للقديسين. يهوذا ٣

لاحظ الإلحاح في نبرته. أراد أن يناقش الأمور الرائعة التي نشترك فيها بالخلاص. لكن كان عليه أن يشجعهم على أن يقاتلوا، ويناضلوا، ويشنوا الحرب لأجل الإيمان. ما هي الحرب؟ ويفسر لنا بقوله:

> لأنه دخل خلسة أناس قد كُتبوا منذ القديم لهذه الدينونة، فجار، يحوّلون نعمة إلهنا إلى الدعارة، وينكرون: السيد الوحيد الله وربنا يسوع المسيح. يهوذا ٤

إن الحرب هي ضد التأثيرات التي يخلقها الناس الذين شوهوا نعمة الله، لكي يبرروا أسلوب حياتهم الشرير. هذه الهجمات مميتة، أكثر من الاضطهاد الشامل ضد الكنيسة. إنها أكثر خطورة من القوانين الموضوعة ضد المبادئ الكتابية، مثل الإجهاض، وتدريس نظرية النشوء والارتقاء في المدارس. إن لها تأثيرًا أقوى من أية جماعة دينية أو أية ديانة زائفة. فهي مهلكة أبديًا!

قد تتساءل كيف ينطبق هذا على الناس الذين في الكنيسة، لأن الناس الذين كان

يهوذا يشير إليهم، يرفضون أو ينكرون يسوع المسيح. لا يمكن لأحد في كنائسنا اليوم أن يفعل هذا، ويظل مقبولًا كمسيحي. ما الذي يجعلك تظن أنهم كانوا أكثر عرضة للخطر في تلك الأيام؟ انظر مرة أخرى بعناية. إن هؤلاء يتسللون إلى دوائرنا خلسة. لا يمكن أن يقف أحد في اجتماعاتنا اليوم، أو حتى في أيام يهوذا، ويعترف بفمه بإنكاره ليسوع المسيح ويظل لا يلحظه أحد. كيف إذًا يرفضونه؟ والإجابة موجودة في سفر آخر في العهد الجديد. « **يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه** ». (تيطس ١ : ١٦). إنهم ينكرونه بأسلوب حياتهم وليس بالكلمات. فهم في الحقيقة يزعمون أنهم يعرفون الله، يعترفون بيسوع ربًا لهم، لكنهم يوصلون من خلال أعمالهم ما هو خلاف ذلك. تذكر أنهم لا يخدعون الآخرين فقط، بل إنهم يخدعون أنفسهم أيضًا. أي أنهم بكل إخلاص يصدقون أنهم مسيحيون.

نعمة الله الحقيقية

يقول يهوذا إن هؤلاء الناس يشوهون رسالة نعمة الله. وهذا أمر سائد للغاية في هذه الأيام الأخيرة، لأن تعاليمنا قد فتحت الباب لهذا. لقد علّمنا النعمة على أنها غطاء الحماية الإلهية، لأسلوب حياة العصيان. يمكنك أن تسمع هذا الفكر كثيرًا، من كثيرين في الكنيسة، بعبارات شائعة مثل: «أعلم أنني لا أحيا بالطريقة التي ينبغي أن أحيا بها، لكن شكرًا لله لأجل نعمته». هذا خداع خطير. فالكلمة المقدسة لا تعلمنا أن النعمة هي الضمادة الكبرى، بل إنها حضور الله الممكِّن بداخلنا لكي نفعل ما يطلبه الحق منا.

تعلّم الناس أن النعمة هي ببساطة إحسان الله غير المستحَق. وهي بالفعل إحسان الله الذي لا يمكن ولا يجب العمل لاستحقاقه. ولكنها أيضًا تمنحنا القوة لنطيع. والبرهان على أننا قد قبلناها حقًا، هو أسلوب حياتنا التقي. ولهذا السبب يقول يعقوب:

> هكذا الإيمان أيضًا، إن لم يكن له أعمال، (أفعال الطاعة التي تدعمه) ميت (غير عامل، خالٍ من القوة) في ذاته. لكن يقول قائل: أنت [تقول إن] لك إيمان وأنا لي أعمال [صالحة]. أرني إيمانك [المزعوم] بدون أعمالك [الصالحة، إن استطعت ذلك] وأنا أريك بأعمالي [الصالحة، أعمال الطاعة] إيماني. أنت تؤمن أن الله واحد. حسنًا تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون. يعقوب ٢: ١٧ـ١٩

يوضح يعقوب إن هناك فجوة كبيرة اليوم في تعليمنا. إننا نردد نصوصًا كتابية مثل: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص» (أع ١٦: ٣١). لو كان مجرد الإيمان بوجوده، وبأنه هو ابن الله، هو كل المطلوب لكي يخلص الإنسان، فإن يعقوب يبين أن الشياطين سيخلصون أيضًا، لأنهم يؤمنون. وهذا مضحك! بل إنه لكي يصيب الهدف أيضًا، يوضح أن الشياطين يقشعرون. أي أن الشياطين تخاف الله أكثر من البعض الذين يقولون إن لهم إيمانًا، لكن تنقصهم أفعال الطاعة التي تبين هذا.

إن الدليل على أننا قد خلصنا حقًا بنعمة يسوع المسيح، هو أن يكون لنا أسلوب حياة يثبت هذا. ولهذا يقول الرسول يوحنا:

> **وبهذا نعرف أننا قد عرفناه: إن حفظنا وصاياه. من قال ‹قد عرفته› وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته، فحقًا، في هذا قد تكمّلت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه. من قال: إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضًا.**
> **١ يوحنا ٢: ٣ـ٦**

يقول يوحنا بوضوح إن البرهان على أننا بالفعل نعرف يسوع المسيح هو أننا نحفظ وصاياه. من يقول إنه يعرف يسوع لكنه لا يحفظ وصاياه هو مخدوع، وكذاب، وبعيد عن الحق، بالرغم من أنه يعترف بفمه بأنه يعرف كلمة الله. ولهذا السبب، يقول يوحنا، «**يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار**». (١ يو ٢: ١ ـ ٢).

لاحظ أنه لا يقول: «أكتب إليكم هذا حتى عندما تخطئون فلديكم شفيع». كلا، فالهدف ليس هو أن نخطئ. إن قوة نعمة الله لنا حتى يمكننا أن نثبّت نظرنا على الحياة المتشبهة بالمسيح (كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضًا) لأننا أحرار من سيطرة طبيعة العصيان. لكننا إذا استسلمنا للخطية، فلنا شفيع. إن احتفال المؤمن هو أننا الآن لنا القدرة على أن نخدم إلهنا خدمة مرضية. «**لذلك ونحن قابلون ملكوتًا لا يتزعزع ليكن عندنا شكر (نعمة) به نخدم الله خدمة مرضية**». (عب ١٢: ٢٨).

ها قد فهمت. إن النعمة تمكّننا من أن نخدم الله خدمة مرضية. لماذا لم نعلن الإنجيل الكامل، وأعلنّا نصف القصة فقط؟ أجل، الخلاص عطية – لا يمكن شراؤه،

ولا يمكن العمل لاستحقاقه. كل هذا حقيقي. لكننا ننسى أن نقول للناس إن الطريقة الوحيدة للحصول عليه هي بترك الكل، وبذل حياتنا اعترافًا بربوبيته، وفي فعل هذا، سوف تكون لنا القوة، لنحيا بما يتفق مع طبيعته. تمامًا كما كتب بطرس:

تكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا. كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة. ٢ بطرس ١: ٢ ـ ٤

لاحظ أننا قد نلنا نعمة بمعرفة يسوع المسيح، وأن هذه النعمة هي قدرته الإلهية التي تعطينا كل ما نحتاجه لنعيش بالتقوى، وهذه الحياة التقية هي بحسب طبيعته الإلهية. وهكذا قد افتُدينا من الفساد الذي دخل العالم، عن طريق آدم، وهذا الفساد قد تضاعف برغبات البشر المناقضة لله. لا تدع أي شخص، سواء بالقول أو الفعل، يعطلك عن أن تعيش في الطبيعة الإلهية، التي أُودِعت في كيانك. يقول بولس بوضوح:

لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس، معلّمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر، منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويطهر لنفسه شعبًا خاصًا غيورًا في أعمال حسنة. تكلم بهذه، وعظ، ووبّخ بكل سلطان. لا يستهن بك أحد. تيطس ٢: ١١ ـ ١٥

إن نعمة الله تعلمنا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش حياة التعقل والبر والتقوى. وظيفة المعلمين، هي أن يوجهونا ويمكّنونا، وهذا بالضبط هو ما تفعله نعمة الله في حياتنا. لاحظ أننا يجب علينا أن نعلّم الآخرين هذه الأمور. في الحقيقة يكمل بولس ليقول: «**صادقة هي الكلمة. وأريد أن تقرر (تؤكد باستمرار) هذه الأمور، لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالًا حسنة**» (تي ٣: ٨).

يجب علينا أن نمارس أعمالًا حسنة، بقوة نعمة الله في حياتنا. لم تكن لنا النعمة قبل أن نخلص، ولم تكن لقديسي العهد القديم أيضًا. إنها عطية الله لنا، بيسوع المسيح. ولهذا يقول لنا يسوع، إنك في أزمنة العهد القديم، كنت تعتبر قاتلًا، ويمكن أن يُلقى بك

في جهنم، إذا قضيت على حياة شخص ما. لكن في ظل النعمة، فإن كل ما عليك فعله، هو أن تدعو أخاك أحمق، أو تكون متحاملًا، أو ترفض أن تغفر، أو تحتفظ بأي شكل من أشكال البغضة، وعندها يمكن أن تُلقى في جهنم (انظر مت ٥: ٢١-٢٢). لماذا؟ لأننا الآن لدينا القدرة على أن نعيش بحسب طبيعة الله، من خلال قوة النعمة.

أكد باستمرار

لاحظ أنه في الجزء الكتابي السابق، تأمرنا كلمة الله أن نؤكد أو نعلم هذه الأمور باستمرار. هل سمعت هذا؟ أجد أن هذه الأمور نادرًا ما نتحدث عنها من على المنابر، أو بين المؤمنين اليوم، ناهيك عن كوننا نتحدث عنها باستمرار. ولهذا السبب فقد انحرفنا عن أهمية ممارسة الأعمال الحسنة، من خلال نعمة الله. إننا نسمح في الأساس، للقوة التي فينا، أن تظل خاملة، عن طريق نقص إيماننا واعترافنا. يجب أن يظل إيماننا، الذي له حق الوصول إلى النعمة، فعالًا من خلال النطق بما نؤمن به. يقول بولس: «لكي تكون شركة إيمانك فعّالة في معرفة كل الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع». (فل٦).

إذا لم نؤكد على هذه الأمور باستمرار، فسوف نحيد عن الحق. وهذا ما يراه بوضوح كاتب الرسالة إلى العبرانيين:

> لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته. لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة، وكل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصًا هذا مقداره؟ عبرانيين ٢: ١_٣

إننا عندما نؤكد على هذه الأشياء باستمرار، فنحن بهذا نُبقي أمامنا الأمور الملحة للأبدية، والتي تحفظنا من الانحراف. أتذكّر عندما كنت أصطاد السمك في صباي، وبينما كنت أركز على الصيد، والقارب لم يكن راسخًا، كان يمكن أن ينجرف بدون أن نلاحظه. كنا ننظر لأعلى بعد خمس وأربعين دقيقة ولا نتعرف على موقعنا. لقد حدث الانجراف، لأن عقولنا كانت مركزة على أمور أخرى، وهي الصيد. كان هذا مكلفًا بالنسبة للبعض، إذ كان هناك الكثيرون الذين كانوا يصيدون السمك في أنهار معينة، كانت تؤدي إلى شلالات مميتة. وهناك أعداد لا حصر لها ممن سقطوا من على الشلالات وماتوا، لأنهم انجرفوا عن المكان الذي كانوا فيه في البداية.

والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأمور الأبدية المهمة. إذا كان الله يقول إننا يجب أن نؤكد على هذه الأمور باستمرار، فيجب أن يكون تركيزنا على هذا. لماذا لا نلقي الضوء على قوة النعمة، التي تعطينا القدرة على أن نمارس أسلوب حياة الطاعة التقية؟ لقد وجدت أن الكنيسة الأولى كانت تفعل هذا. قمت بفحص بعض كتابات آباء الكنيسة الأولى، ووجدت أنهم كانوا يعلّمون أشياء تبدو غريبة تقريبًا على تعاليمنا اليوم، لكنهم لم يكونوا يعلّمون ما يناقض الكلمة المقدسة. كان الآباء في القرون القليلة الأولى، يؤمنون أن الأعمال تلعب دورًا مهمًا في إثبات خلاصنا. دعنا ننظر إلى بعض الأمثلة.

الرجل الأول الذي سوف أقتبس منه هو بوليكاربوس (٦٩–١٥٦ م)، وهو أسقف كنيسة سميرنا، وكان رفيقًا للرسول يوحنا. أُلقي القبض عليه في شيخوخته، ومات حرقًا وهو مثبت على عصا. وقد كتب قائلًا: « يرغب الكثيرون أن يتمتعوا بهذا الفرح (الخلاص)، عالمين أنكم بالإيمان تخلصون، لا بالأعمال».[٢] يمكن أن تكون هذه العبارة مقبولة في الدوائر الإنجيلية اليوم، إذ أصبحنا نؤكد على حقيقة أننا لا نخلص بأعمالنا الصالحة. لكنه كتب أيضًا للمؤمنين يقول: «إن من أقامه من الأموات سوف يقيمنا أيضًا – إن كنا نفعل مشيئته ونسير في وصاياه ونحب ما يحبه، ونحفظ أنفسنا من كل شر».[٣]

لن تسمع مثل هذا الكلام كثيرًا من على منابرنا اليوم. لاحظ كلمة «إن»، إنه يقول لنا إننا يجب أن نفعل مشيئة الله، ونسير في وصاياه، حتى نُقام في قيامة المؤمنين. سوف ترى بعد قليل، أن هذا بالضبط هو ما قاله يسوع أيضًا.

الرجل التالي الذي سوف أقتبس منه هو أكليمندس الروماني (٣٠–١٠٠ م)، وقد كان رفيقًا للرسولين بولس وبطرس، وكان ناظرًا في كنيسة روما. وكتب يقول: «إننا لا نتبرر بأنفسنا، ولا بصلاحنا الذاتي، ولا بأعمالنا. بل بالإيمان الذي برر الله من خلاله كل البشر».[٤] وهذه أيضًا ستكون عبارة تحظى بقبول واسع في دوائر المسيحية اليوم. ولكنه كتب أيضًا للمؤمنين يقول: «من الضروري أن نتحفز لنمارس الأعمال الصالحة. لأن الله سبق فحذرنا قائلًا: 'الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله.' (رو ٢: ٦ــ ١٠)».[٥]

هل يمكن أن تكون هذه الحقيقة هي السبب الذي جعل بولس يقول أثناء التجربة:

« من ثم أيها الملك أغريباس لم أكن معاندًا للرؤيا السماوية، بل أخبرت أولًا الذين في دمشق، وفي أورشليم حتى جميع كورة اليهودية، ثم الأمم، أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالا تليق بالتوبة». (أع ٢٦: ١٩ ـ ٢١). بما أن بولس قد أكد على هذه الأهمية، فيبدو مناسبًا أن رفيقه، أكليمندس الروماني، قد تبع مثاله، وفعل الشيء نفسه.

الشخص التالي الذي أريد أن أشير إليه هو أكليمندس الإسكندري (١٥٠–٢٠٠م). كان قائدًا في كنيسة الإسكندرية بمصر، وكان مسؤولًا عن مدرسة تعليم المؤمنين الجدد. وقد كتب عن غير المؤمنين قائلًا: «حتى إذا فعلوا أعمالًا صالحة الآن، فهي لا تفيدهم بشيء بعد الموت، إذا لم يكن لهم الإيمان».[٦]

وهذا أيضًا، كان سيبهج القلوب بين الإنجيليين اليوم. إننا نعلم، كما أوضحت سابقًا، في الفصول القليلة السابقة، أنه مهما كانت الأعمال الصالحة التي يعملها غير المؤمن، فهي لا يمكنها أن تضمن له الدخول إلى ملكوت الله الأبدي. إننا نخلص بنعمة الله. ولكن انظر إلى ما كتبه أكليمندس أيضًا إلى المؤمنين:

كل من ينال الحق، ويميز نفسه بالأعمال الصالحة، سوف ينال مكافأة الحياة الأبدية ... بعض الناس يفهمون بصورة صحيحة ومناسبة، كيف يوفر الله القوة اللازمة (للخلاص)، لكنهم بتأكيدهم القليل على الأعمال التي تؤدي إلى الخلاص، يفشلون في عمل الاستعدادات اللازمة للحصول على موضوع رجائهم.[٧]

قد يفكر بعضكم قائلين: يبدو وكأن هؤلاء الناس لم يقرأوا العهد الجديد. لكنهم قرأوه بالفعل. يوضح جوش ماكدويل في كتابه برهان يتطلب قرارًا [٨] أن أكليمندس الإسكندري أخذ ٢٤٠٠ من اقتباساته من كل أسفار العهد الجديد ماعدا ثلاثة فقط. والأمر نفسه صحيح بالنسبة للآخرين. يجب أن أقول إن الكثير من الكتب في مكتباتنا المسيحية اليوم، لا يوجد بها سوى القليل جدًا من النصوص الكتابية. هل يمكن أن نكون قد انحرفنا نتيجة حقيقة أننا لم نؤكد باستمرار على ما هو مهم؟

إنجيلنا غير الكامل

للأسف، فإننا نقتبس فقط أجزاء كتابية مثل: « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلصت». (رو ١٠: ٩). ولهذا نقول للناس إن كل ما

عليهم فعله، هو أن يقتبسوا هذه الصلاة السحرية، وينتهي الأمر. ولكن، لماذا لا نقتبس أيضًا كلمات يسوع: «**ولماذا تدعونني: يا رب، يا رب، وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟**» (لو٦: ٤٦). كما رأينا فإن كلمة «رب» تعني السيد السامي، وهي تحمل معنى الملكية. لهذا يقول يسوع: «لا تدعوني سيدًا وتظلون تمتلكون حياتكم، الأفضل أن تدعوني 'نبيًا عظيمًا' أو 'معلمًا' حتى لا تخدعوا أنفسكم».

لذا دعنا الآن نفحص مرة أخرى عبارة يسوع التي بدأنا بها هذه المناقشة بأكملها: «**ليس كل من يقول لي: يا رب، يا رب! يدخل ملكوت السموات**». (مت ٧: ٢١).

كما ذكرنا سابقًا، فليس كل من يدعو يسوع المسيح ربًا، سوف يكون في السماء. وهذا يخبرنا بكل تأكيد، أن مجرد ترديد «صلاة الخاطئ» لا يضمن لنا السماء. سؤالي إذًا هو: «يا يسوع، من الذي سيدخل ملكوت السموات؟» ويجيب يسوع قائلًا: «**بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات**». (مت ٧: ٢١).

أمر شيق. كانت هذه تقريبًا هي نفس كلمات بوليكاربوس. ما سوف يدخلنا السماء إذًا، ليس هو الاعتراف بيسوع فقط، بل الاعتراف بيسوع، وفعل مشيئة الله. والطريقة الوحيدة التي يمكننا بها أن نفعل مشيئته، هي من خلال النعمة التي يعطيها لنا، عندما نتضع من خلال إنكار ذواتنا، وقبوله كالرب. إن الأمر بسيط مثل الاعتراف، لكن الجزء الصعب يأتي في إخضاع أنفسنا بالكامل لحقيقة ربوبيته.

استمع الآن إلى السبب الذي لأجله كنت أؤكد على هذه النقطة بشدة:

> **كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: «يا رب، يا رب! أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟» فحينئذ أصرّح لهم: «إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم».** متى ٧: ٢٢ـ٢٣

في أواخر ثمانينات القرن العشرين، أعطاني الله رؤية روحية. رأيت حشدًا كبيرًا جدًا، لدرجة أنه لا يمكنك أن ترى آخره. كان بحرًا من البشر. كنت أعرف أنه لا يوجد ملحدون بين هذه المجموعة، ولا خطاة يعرفون أنهم خطاة، ولا أتباع لديانات أخرى، بل الكل كانوا مسيحيين يعترفون بربوبية يسوع. أتى هذا الحشد إلى الدينونة حيث

كانوا يتوقعون للغاية أن يسمعوا يسوع يقول: «ادخل إلى فرح سيدك، ملكوت الله». لكن بدلًا من هذا سمعوا الكلمات: «اذهبوا عني يا فاعلي الإثم». (مت ٧: ٢٣).

عاينت الصدمة والرعب الهائلين على وجوههم. هل يمكنك أن تتخيل الشعور بالأمان في خلاص أنت لا تمتلكه؟ هل يمكنك أن تتخيل أن يتم نفيك إلى لهب الجحيم إلى الأبد، في الوقت الذي كنت فيه تؤمن بالتمام أنك متجه نحو السماء؟ سيكون عليك إلى أبد الآبدين أن تتعامل مع ذكرى أنك، وربما من كرزوا لك أيضًا، استخففت بأمر مصيرك الأبدي؟ هل هناك فرصة للخدمة التي ترضي الطالبين، والتي تتجنب إنذارات يسوع؟ هل يمكنك أن تفهم السبب الذي لأجله يجب علينا أن نعلن مشورة الله الكاملة، وليس فقط الإيجابيات أو الفوائد؟ أجل، إننا نحب الفوائد، ويجب أن نعلنها ونتمتع بها، لكن ليس على حساب إهمال التحذيرات!

أتذكر في أحد المؤتمرات، أنني قلت، إن السبب الذي يجعلني أعظ بمثل هذه الحقائق هو أنني: «لا أريد أن يصرخ في وجهي أي شخص عند الدينونة قائلًا: 'لماذا لم تخبرني بالحق؟' بينما يقطر دمه من يدي!»

بعد هذه الخدمة، اقترب مني في الحال أحد الرعاة، وهو متضايق. في الحقيقة، كان غاضبًا. وقال لي: «كيف تجرؤ على أن تطبق لاهوت العهد القديم هذا، علينا نحن الخدام؟ لن تكون هناك دماء تقطر من يدي، لأنني لم أعلن الإنجيل كاملًا». واضح أنه كان يحب الجوانب الإيجابية، لكنه ابتعد عن الأجزاء المثيرة للمواجهات من كلمة الله.

عندها قلت: «سيدي، انظر إلى ما قاله بولس إلى قادة أفسس». وإذ كان كتابي المقدس في يدي، اتجهت إلى سفر أعمال الرسل وطلبت منه أن يقرأ: «لذلك أشهدكم اليوم هذا أني بريء من دم الجميع، لأني لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله». (أع ٢٠: ٢٦ ـ ٢٧).

فنظر إليّ في صدمة، وكانت عيناه وفمه مفتوحة. وقال: «كنت أقرأ العهد الجديد طوال الوقت، ولم ألاحظ هذا أبدًا؟!» بعدها تبادلنا محادثة ودية. ذكرت له أننا لكي نُحضِر كل إنسان كاملًا في المسيح، يجب ألا نعلّمهم فقط، بل أن ننذرهم أيضًا (انظر كو ١: ٢٨). ما هو الإنذار؟ ألا ينحرفوا عن الحق، ألا يميلوا بفعل الرسالة التي يروج لها المزورون الذي لا يضلون أنفسهم فقط، بل آخرين لا حصر لهم، ليبتعدوا عن التقوى.

مكث بولس مع أهل أفسس لفترة طويلة. كان يحبهم بشدة، وكان يعرف بروح الله، أنه لن يراهم مرة أخرى إلى أن يصلوا إلى السماء. فكر في مقدار العناية التي ستختار بها كلماتك، إن عرفت أنها ستكون كلماتك الأخيرة، لمن هم مثل أولادك. كانت كلمات رحيله هي:

احترزوا إذًا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه. لأني أعلم هذا: أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية. ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم. لذلك اسهروا متذكرين أني ثلاث سنين ليلًا ونهارًا، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد. أعمال ٢٠: ٢٨ ـ ٣١

كيف يمكنهم أن يشوهوا الحق؟ ربما بالكلمات، لكن الأرجح هو بالأفعال. لاحظ أن بولس كان مهتمًا للغاية بهذا الأمر، لدرجة أنه لم يكف عن إنذارهم ليلًا ونهارًا، لمدة ثلاث سنوات. هنا أيضًا نرى التأكيد على أننا يجب أن نؤكد على هذه الأشياء باستمرار.

إله المحبة والعدل

في قصتنا الرمزية، يمكنك أن تشعر بصدمة المخدوع وعذابه. لقد لهثتَ عند زنزانة العزلة المشئومة. وانكمشتَ عند التفكير في قضاء ١٢٥ سنة في ظلمة وحرارة لا تطاق، إنه صندوق ذو هواء ملوث. ولكن هذا كله لا شيء، بالمقارنة بما سوف يواجهه رجال ونساء لا حصر لهم، إذا لم نعلن كل مشورة الله.

إن كنت تذكر، فقد كان يالين محبًا وعادلًا أيضًا. وفي دينونته، أُعلنت المحبة في أنه لا يستطيع أن يسمح لشخص يمتلك طبيعة وشخصية داجون، أن يسكن مدينة أفابيل. لو فعل هذا، لكان سيشوِّه ويلوِّث المدينة بأكملها، بما في ذلك سكانها جميعهم. كانت محبته تحمي الأبرياء.

في الوقت ذاته، كان عادلاً في أنه لم يستطع أن يسمح لشخص كانت له طبيعة داجون، أن ينال عقوبة على عصيانه، أقل من داجون نفسه. ولهذا السبب، فإن كل من لم يختاروا أن يتبعوا يالين، كان عليهم أن يُنفوا إلى زنزانة العزلة نفسها.

وهكـذا فإن محبة الله لا يمكنها أن تسـمح لشـخص ما، له طبيعـة إبليس، أن يدخل المدينة الأبدية إلى الأبد. سـوف يكون ظالمًا لو حكم على إبليس وجنوده ببحيرة النار الأبديـة، واسـتثنى منها من كانوا تحت سيادته، واختاروا أن يحافظـوا على طبيعته. كل مـن لهم طبيعته، سـوف يُحكـم عليهم ببحيرة النار إلى الأبـد. إن الله رحيم وعادل، وسيظل هكذا دائمًا، وسوف يُعرف مجده في كل الأرض.

الفصل السادس

الارتداد العظيم

ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. متى ٢٤: ١٣

والآن نأتي إلى الحقائق المنعكسة في مزدوج الحياة، وضعيفة القلب. كانا سابقًا يتبعان يالين بالحق، لكنهما في النهاية تحولا عن طرقه، مما جلب عليهما نهايتهما المهلكة.

"نقرأ ما نؤمن به" أو "نؤمن بما نقرأه"

لقد اكتشفت أن بعض الحقائق التي سنناقشها في هذا الفصل، محل جدال بين البعض، في الدوائر الإنجيلية. لكن يزول الجدال بالفحص الشامل للكلمة المقدسة. ولهذا فقبل أن نبدأ في فحص ما يعلنه الكتاب المقدس بشأن مزدوج الحياة وضعيفة القلب، دعني أطلب منك أولًا أن تقرأ بقلب وذهن منفتحين.

تُعد أحد أكبر العوائق التي تعطل الناس عن أن يعرفوا مشيئة الله، هي حقيقة أنهم عندما يقرأون الكتاب المقدس، يقرأون ما يؤمنون به، بدلًا من أن يؤمنوا بما يقرأونه. إننا نقرأ ما نؤمن به، عندما نختار أن نرى الحق من خلال عدسات ملطخة. ويحدث هذا التلطيخ من المعرفة غير الصحيحة التي نكتسبها من الآخرين، أو التي نتعلمها من طائفتنا، أو من مفاهيمنا المسبقة عن من هو الله، أو عن طرقه. وهذا أمر خطير للغاية، لأنه يمكن أن يقودنا إلى الخداع.

ونرى مثالًا على هذا في سفر أيوب. أخذت كتابي المقدس مؤخرًا، وقبل أن يمكنني فتحه، سمعت روح الله يقول: «اذهب إلى سفر أيوب وابدأ القراءة من الأصحاح الثاني والثلاثين».

فتوجهت على الفور إلى ذلك الأصحاح، وأدركت أنه كان بداية رسالة أليهو. فبعد أن اختبر أيوب المأساة، تدهور إدراكه لله بسرعة، بسبب ألمه ومصيبته. وأصبح يرى الله من خلال الاختبار، بدلًا من أن يطلب الله لحكمته (انظر يعقوب ١: ٢–٨). ومع مرور الوقت، تحول هذا التفكير إلى تبرير الذات. وأصبح أصدقاء أيوب الثلاثة، الذين تكلموا في أصحاحات سابقة، أشخاصًا تائهين، عينوا أنفسهم لاهوتيين، في محاولة لتفسير مآسي أيوب. وقد زاد هذا الأمور سوءًا. فقد وجدوا أنه لا توجد طريقة لدحض منطق أيوب المعاند، وبدلًا من هذا، أدانوه.

انتظر أليهو، بوصفه الأصغر سنًا، فترة طويلة لكي يسمع حكمة الله من أصدقاء أيوب الثلاثة. لكن عندما أدرك أن الرجال الثلاثة لم يكن لديهم المزيد ليقولوه، تحدث هو أخيرًا قائلًا: «**هأنذا قد صبرت لكلامكم. أصغيت إلى حججكم حتى فحصتم الأقوال. فتأملت فيكم وإذ ليس من حجّ أيوب، ولا جواب منكم لكلامه. فلا تقولوا: قد وجدنا حكمة. الله يغلبه لا الإنسان**». (أي٣٢: ١١ ــ ١٣).

ويبدأ أليهو يوبخ الرجال كلهم. فقال: «**هل كرأيك يجازيه؟**» (أي ٣٤: ٣٣). يا لدقة ما تكلم به عن الخطأ الذي يسيطر على الكثيرين اليوم. هذا هو أحد الجذور الرئيسية للّاهوت المضلّل في الكنيسة، وهو أننا نسمح لاختبارنا أن يفسر كلمة الله، بدلًا من أن نسمح لكلمة الله أن ترسخ الحق! لم يتكلم أليهو بمنطق بشري أو لاهوت شكلته الأحداث والمفاهيم المسبقة عن من هو الله، بل تحدث بكلمة الله دون التلاعب بالحق. وبمجرد أن أنهى أقواله نقرأ:

> **فأجاب الرب أيوب من العاصفة وقال: «من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة؟ اشدد الآن حقويك كرجل. فإني أسألك فتعلمني.»** أيوب ٣٨: ١ ــ ٣

إن هذا هو ما نفعله بالضبط عندما نمرر كلمات الله من خلال مرشحات اختبارنا، أو آراء الآخرين، أو المفاهيم المسبقة عن من هو. فنحن بهذا نُظلم مشورته، ونجعلها

غير متاحة لكل من نؤثر عليهم. إننا في الواقع نخفي الحق عن من يطلبون أن يعرفوه. وهذا هو ما جعل الله يغضب كثيرًا من أيوب وأصدقائه، وما يجعله يغضب كذلك في هذه الأيام، عندما نمثل طرقه بشكل غير صحيح، لأننا بهذا نمنع الناس عن معرفة الحق! بعد هذا صرف الرب أربعة أصحاحات في إعلان كلمته لأيوب. وبمجرد أن انتهى، قال أيوب نادمًا:

> **قد علمت أنك تستطيع كل شيء، ولا يعسر عليك أمر. فمن ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة؟ ولكني قد نطقت بما لم أفهم. بعجائب فوقي لم أعرفها. اسمع الآن وأنا أتكلم. أسألك فتعلمني. بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيني. لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد.** أيوب ٤٢: ٢ ـ ٦

لاحظ أن أيوب يقول: «بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيني». توجد حقيقة قوية في هذه العبارة. تخبرنا الكلمة المقدسة، أننا نتغير من مجد إلى مجد، عندما ننظره (انظر ٢كو ٣: ١٨)، وليس عندما نسمع عنه. إنه كلمة الله الحي، وعندما نراه فهذا يعني أن نعرف طرقه. وهذا ما يفعله الحق المعلن للشخص. فنحن نسمع كلمة الله، لكن لا يحدث تغيير حتى نستنير. عندما يدخل فهم كلمة الله إلى قلوبنا، نصرخ قائلين: «إنني أرى، إنني أرى» في اللحظة التي نستنير فيها ونتغير أكثر لنشبهه.

هذه هي الحقيقة الروحية التي حفزت الرسول بولس أن يصلي قائلًا: «**لذلك أنا... لا أزال شاكرًا لأجلكم ذاكرًا إياكم في صلواتي كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته مستنيرة عيون أذهانكم**». (أف ١: ١٥ ـ ١٨) لقد استنار أيوب الآن كما لم يحدث معه من قبل، بالرغم من أنه كان يحيا حياة تقية للغاية قبل مأساته. لكنه الآن أصبح يعرف الله على مستوى أعلى.

بعد أن انتهى الله من الحديث مع أيوب، التفت إلى أليفاز، أحد الأصدقاء وقال: «**قد احتمى غضبي عليك وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب**». (أيوب ٤٢: ٧).

إن الرب لا يستهين بالأمر عندما نقدمه، أو نقدم طرقه بطريقة غير صحيحة. فإن هذا يُظلم المشورة ويشوه عدله. ولهذا السبب أجده أمرًا غريبًا أن يسرع الناس في

الحديث بمعتقدات لاهوتية لا تدعمها المشورة العامة للكلمة المقدسة. يا له من أمر مرعب! كيف يمكننا أن نعرف الحق إذا لم نكن مستعدين أن نتعلم منه أو ندعه يقوّمنا؟

بعد أن انتهيت من قراءة سفر أيوب، كلمني الرب بعدها بشيء أجاب على الكثير من الأسئلة. قال: «يا ابني، هل لاحظت أنني لم آتِ إلى المشهد عندما كان أيوب أو أصدقاؤه يتكلمون عني بصورة غير صحيحة؟ إن حضوري لم يُستَعلن إلا عندما وقف شخص ما وتكلم بالحق!» شعرت بالرهبة مما تكلم به الله إلى قلبي، وبدأت أتأمل في هذا. ثم سمعته يقول مرة أخرى: «لهذا يوجد الكثيرون جدًا من الأفراد أو الكنائس أو الطوائف الذين لا يختبرون حضوري وقوتي المغيرة للحياة. إنهم لا يعلنون كلمتي النقية، بل يعلنون تأويلاتهم أو أفكارهم المنتقاة، تمامًا مثل أيوب أو أصدقائه. إنهم يُظلمون مشورتي بكلامهم دون معرفة».

إذا كنا قد عرفنا حقيقة حضور الله وقوته، فيجب أن نطلب أن نعرف الحق، دون العبث به. ولهذا ففي أثناء مواصلتنا لفحص ما تكشفه الكلمة المقدسة عن دينونات الله، لا تدع المفاهيم المسبقة عن الله، أو اللاهوت المنحرف، أو الاختبارات، أو الظروف، أن تغير ما قد أوضحه الله. بل اطلبه هو في كلمة الله المعلنة، حتى تستنير، لتتبع طرقه.

التبعية لأجل المكسب

دعنا أولًا نعود إلى كلمات يسوع التي ناقشناها في الفصل السابق:

> كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: «يا رب، يا رب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟» فحينئذ أصرّح لهم: «إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم». متى ٧: ٢٢_٢٣

بعض الترجمات تقول: «إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا أشرار». لكن «فاعلي الإثم» هي الأقرب للغة الأصلية. والكلمة اليونانية المستخدمة بمعنى الإثم (anomia) تعني التصرف بما يناقض ناموس (أو مشيئة) الله. كما أن يسوع يُسبق كلمة الإثم بلفظ فاعلي، مما يعني أن هؤلاء ليسوا أشخاصًا يتعثرون من وقت لآخر، أو حتى أطفالًا في المسيح يجاهدون لكي يتحرروا، ويبغضون عصيانهم. بل أن هؤلاء هم من يحيون حياة مناقضة لما يرضي الله، لكنهم يتغاضون عن هذا، أو يبررونه، أو لا

يبالـون بـه. وينطبق هذا على المضلَّلين مثل شخصية المخدوع، أو علـى غير الأمناء مثل شخصية مزدوج الحياة. سوف يسمع جموع الذين يخاطبهم يسوع، إعلانات الدينونة التي ستدوي في نفوسهم طوال الأبدية في منطقة الهلاك الأبدي. مهم للغاية ألا نتغاضى عن تحذير السيد هذا، أو نستخف به.

دعنا ننظر عن قرب إلى من كان يسوع يحدثهم في النص الكتابي السابق. كان قسم ممن سوف يُستبعدون من ملكوت الله، هم الذين أخرجوا الشياطين باسم يسوع. من هم هؤلاء الناس؟ هل يمكن أن يكونوا رجالًا ونساء يستخدمون اسم يسوع فقط ليخرجوا الشياطين دون أي ارتباط آخر بالرب يسوع؟ لكي نعثر على الإجابة يجب أن ننظر في سفر أعمال الرسل.

> فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزّمين أن يسمّوا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين: «نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس» وكان سبعة بنين لسكاوا رجل يهودي رئيس كهنة الذين فعلوا هذا. فأجاب الروح الشرير وقال: «أما يسوع فأنا أعرفه، وبولس أنا أعلمه، وأما أنتم فمن أنتم؟» فوثب عليهم الإنسان الذي كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقوي عليهم حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجرحين. أعمال ١٩: ١٣ــ١٦

كان مستحيلاً بالنسبة لهؤلاء الذين يطردون الأرواح الشريرة أن يخرجوا شيطانًا باسم يسوع! وهناك حقيقة راسخة في هذه الحادثة، وهي أنه لكي تخرج شيطانًا، لا يكفي أن يكون لك الاسم فقط. بل يجب أن تكون لك علاقة مع الشخص الذي يحمل هذا الاسم. يجب أن تكون تابعًا وخادمًا ليسوع، تختلف عن الذين ناقشناهم في الفصل السابق.

قد تفكر الآن قائلًا: ولكن يسوع قال إنه لم يعرفهم قط، إذًا، كيف يمكن أن يكونوا قد طردوا شياطين وأجروا معجزات باسمه؟ كيف يمكن أن يكون هذا؟ هناك من انضموا إلى يسوع في الأصل لأجل فوائد الخلاص، ولكن هذا لأجل دافع المكسب الشخصي الخالص. لم يعرفوا أبدًا قلب الله، بل أرادوا فقط قوته وبركاته. يحذرنا بولس من هؤلاء الأشخاص «فاسدي الذهن وعادمي الحق يظنون أن التقوى تجارة. تجنب مثل هؤلاء». (١تي٦: ٥). لقد طلبوا يسوع لأجل فائدتهم الخاصة، ولهذا فإن خدمتهم له كانت بدافع

المكسب، وليست بدافع المحبة. لن يعرفهم يسوع، لأن الكتاب المقدس يقول: «ولكن إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده». (١ كورنثوس ٨: ٣).

إنــه معروف عنـد الله، أو الله يعرفه. كلمة معروف لا تعني مجرد أن تعرف شخصًـا ما، لأن الله يعرف كل شيء عن كل واحد، فهو كلي المعرفة! لكنها تحمل معنى المعرفة الحميمة. تقول الترجمة المنقحة الإنجليزية: «ولكن إن كان أحد يحب الله حقًا [باحترام المحبـة، والطاعـة الفورية، واعتراف الامتنـان لبركته]، فهـو معروف لدى الله [يتعرف الله عليه أنه جدير بعلاقته الحميمة ومحبته، وهو مِلك لله]».

يقـول يسـوع للجموع في يـوم الدينونـة: «لم أعرفكم قـط.» فالأشـخـاص الذين لا يحبون الله إذًا (وهو ما يتضح من أنهم لا يقدمون له الطاعة الفورية، واحترام المحبة، والامتنــان) ليسـوا معروفيـن بشـكل حميم لـدى الآب أو يسـوع – حتـى وإن كانوا قد اعتمدوا عليه في أمر خلاصهم. إن المحبة ليسوع تعني أن تبذل نفسك لأجله. ولا تعيش حياتك لنفسك فيما بعد، بل له.

ويعتبـر يهوذا مثالًا. فقد انضـم إلى يسـوع. وبدا أنه يحب الله من خلال التضـحية الكبيـرة التـي قدمهـا لكي يتبعه. لقـد ترك يهوذا الكل، لكي ينضـم إلـى فريق الخدمة، ويرتحل مع المعلم. بل إن يهوذا احتمل حرارة الاضـطهاد، وحتى عندما رحل أعضـاء من فريق العمل (يوحنا ٦: ٦٦)، لم يرحل هو. لقد أخرج شياطين، وشفى مرضى، وكرز بالإنجيل (انظر لوقا ٩: ١).

لكـن نوايا يهـوذا لم تكن صـحيحة منذ البداية. فهـو لم يتب أبدًا عـن دوافعه التي تطلب إرضاء ذاته. وقد انكشفت شخصيته بعبارات مثل: «ماذا تريدون أن تعطوني وأنا...» (مت٢٦: ١٤). لقد كذب وتملق لكي يحصـل على الامتيازات (مـت ٢٦: ٢٥)، وأخذ مالًا من خزانة خدمة يسـوع، للاسـتخدام الشخصـي (يو ١٢: ٤–٦)، وهذا ليس كل شـيء. إنه لم يعرف الرب بصـورة حميمة قط، بالرغم من أنه قضـى ثلاث سـنوات ونصف في محضـره كتلميذ. ولهذا السبب قال يسـوع عنه: «أليس أني أنا اخترتكم الاثني عشر؟ وواحد منكم شيطان. قال عن يهوذا سمعان الإسخريوطي». (يو ٦: ٧٠ ـ ٧١).

هنـاك من لا يختلفون كثيرًا عن يهوذا، فهم يقدمون التضـحيات لأجل الخدمة، بل

إنهم أيضًا يخرجون الشياطين، ويشفون المرضى، ويكرزون بالإنجيل، ويثقون في الله في أمر خلاصهم، لكنهم لم يعرفوا يسوع قط بصورة حميمة، لأن كل هذا حدث بدافع المكسب الشخصي، وليس بدافع المحبة لله. وهذا يصف بالتمام شخصية مزدوج الحياة في قصتنا الرمزية. فقد اتبع يالين لأنه أحب النفوذ والقوة اللتين منحتهما هذه التبعية له. لم تكن دوافعه ناتجة عن المحبة ليالين منذ البداية.

سوف تُحفَظ أعظم دينونة لمثل هؤلاء. قال يسوع عن يهوذا: «.. **كان خيرًا لذلك الرجل لو لم يولد**». (مت ٢٦: ٢٤). وقال للقادة الدينيين الذين يخدمون الله بدافع المكسب ويستغلون الناس باسم الرب: «...**لذلك تأخذون دينونة أعظم**». (مت ٢٣: ١٤). سوف يجد هؤلاء الرجال والنساء، مثل مزدوج الحياة، أنفسهم في أظلم مواضع الجحيم، وأكثرها تعذيبًا.

التخلي عن الخلاص

يصف ما سبق بالتمام شخصية مزدوج الحياة في قصتنا الرمزية. لكن، ماذا عن ضعيفة القلب؟ لقد كانت لها حقًا علاقة مع يالين، ولكنها لم تصبر إلى المنتهى. هل تعلن الكلمة المقدسة هذا أيضًا؟ دعنا نبدأ بالنبي حزقيال:

> **وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير أفيحيا؟ كل بره الذي عمله لا يُذكر. في خيانته التي خانها وفي خطيته التي أخطأ بها يموت.** حزقيال ١٨: ٢٤

أولًا، وقبل كل شيء، يخاطب الله البار، وليس الذي كان يظن أنه بار، لكنه لم يكن هكذا أبدًا. لا يوجد شك في أن هذا الشخص ليس مثل المخدوع أو المزوِّر الذي ناقشناه من قبل.

يقول الله إنه لن يذكر أيًا من بر هذا الشخص. عندما ينسى الله شيئًا، فيكون وكأنه لم يحدث أبدًا. إننا نتحدث عن أن الله ينسى خطايانا ويبعدها مثل بعد المشرق عن المغرب، ويدفنها في بحر النسيان، وهو ما يفعله بكل تأكيد. لأنه يقول: «...**لا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد**». (عب ٨: ١٢). فالله ينسى خطايانا بمجرد أن نقبل يسوع ربًا. يحاول الشيطان أن يشتكي علينا، لكن الله قال إنه لن يذكرها فيما بعد. لهذا

فإنه يفكر فينا وكأننا لم نخطئ أبدًا. حسنًا، العكس صحيح أيضًا. عندما يقول الله إن بر إنسان ما لن يُذكر، فهو يعني أنه سينسى أنه كان يعرفه ذات مرة، لأن العلاقة قد انتهت.

دعونا نفحص عن قرب ما تقوله الكلمة المقدسة عن المؤمن الذي يبتعد باستمرار عن خلاصه. يقول الرسول يعقوب:

> **أيها الإخوة إن ضل أحد بينكم عن الحق فردّه أحد، فليعلم أن من رد خاطئًا عن ضلال طريقه يخلّص نفسًا من الموت ويستر كثرة من الخطايا.** يعقوب ٥: ١٩ ـ ٢٠

النقطة الأولى التي نلاحظها توجد في عبارة « أيها الإخوة إن ضل أحد بينكم». لا يتحدث يعقوب عن أشخاص ظنوا فقط أنهم مسيحيون. بل إنه يتحدث عن مؤمن ضل عن طريق الحق. في هذا الجزء، يسمى الأخ الذي ضل عن الحق خاطئًا. هذا لا يعني أنه لم يعد مولودًا ثانية، بل أنه معتاد الخطية ويحتاج إلى أن يرجع إلى التوبة. لكن، إذا أصر على طرقه الضالة، يوضح يعقوب أن النتيجة ستكون في النهاية هي موت النفس (نفس ضالة)، إذا لم يحدث الرجوع إلى الله (التوبة). ويؤكد سفر الأمثال هذا بقوله: «**الرجل الضال عن طريق المعرفة يسكن بين جماعة الأخيلة (أرواح الموتى)**». (أم ٢١: ١٦).

يؤكد سفر الأمثال كلمات يعقوب بأن يوضح أن المقر الأخير للشخص الذي ضل عن طرق الله بدون الرجوع مرة أخرى إلى البر، هو بين جماعة الموتى، التي هي الهاوية، وفي النهاية بحيرة النار.

سفر الحياة

يُذكر سفر الحياة ثماني مرات في العهد الجديد. يبين لنا بولس ويوحنا، أن كل من سيقضون الأبدية مع يسوع مسجلون في هذا السفر. وتُكتب أسماؤنا في اللحظة التي فيها نولد ثانية. هل تذكر اختبار إيفروسيني في الفصل الرابع؟ بمجرد أن سلمت هذه الفتاة اليونانية حياتها ليسوع، كتب الله الآب اسمها في سفر الحياة، وقال لها في الرؤية «مرحبًا بك في العائلة!» يكتب بولس لرفيق مؤمن قائلًا: « **نعم أسألك أنت أيضًا يا شريكي المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع أكليمندس أيضًا وباقي العاملين معي الذين أسماؤهم في سفر الحياة**». (في ٤: ٣).

والعكس صحيح، فكل من هم ليسوا مسجلين في سفر الحياة هالكون. اسمع ما يقوله سفر الرؤيا: «وكل من لم يوجد مكتوبًا في سفر الحياة طرح في بحيرة النار». (رؤ ٢٠: ١٥).

يؤكد لنا يوحنا على أن من سوف يدخلون إلى مدينة الله الأبدية هم فقط «المكتوبين في سفر حياة الخروف» (رؤ ٢١: ٢٧)، أما الباقون فسيجدون أنفسهم في جماعة الأموات.

في رؤيا ٣، يتكلم يسوع إلى كنيسة – وليس إلى مدينة أو مجموعة من الهالكين أو من يعبدون الآلهة الزائفة. كلا، إنه يتكلم إلى من هم له حقًا، ويحذر قائلًا: «من يغلب فذلك سيلبس ثيابًا بيضًا، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة». (رؤ ٣: ٥). هل لاحظت كلمة أمحو؟ الطريقة الوحيدة التي تجعل اسمك قابلاً للمحو من سفر الحياة، هي أن يكون هناك في الأصل. إن من وُلدوا ثانية حقًا بالإيمان بيسوع المسيح، هم فقط الذين يسجَّلون في سفر الحياة. أما غير المؤمنين، بل والمخدوعون أيضًا، الذين لم يسيروا مع يسوع قط، فلم يُكتبوا أبدًا في هذا السفر، ولذلك لا يمكن أن تُمحى أسماؤهم. وهكذا فإنه يتكلم عن هؤلاء الذين «في العائلة».

رؤيا واقعية

شُفي كينيث إي هيجن بطريقة معجزية من مرض قاتل، في سن السادسة عشرة، وبعدها خدم بأمانة لما يقرب من سبعين عامًا قبل رحيله في عام ٢٠٠٣. كان تأثيره في جسد المسيح بارزًا، وقد بلغت نسخ كتبه أكثر من ٦٥ مليون نسخة، وقامت مدرسته، معهد ريما للكتاب المقدس، بتخريج أكثر من ٢٤ ألف شخص حتى اليوم. وقد كتب عن هذا الموضوع في كتابه أؤمن بالرؤى. وحكى أنه في عام ١٩٥٢ ظهر له يسوع لكي يعلن حقائق كلمته المقدسة. في الرؤيا، أراه الرب زوجة راعٍ كان يعرفها. كانت قد صدقت أكذوبة تقول إنها قد أهدرت قدراتها وجمالها في الخدمة. ومع الوقت، أصبحت أفكار الشهرة والصيت الذائع والثروة التي كان يمكنها الحصول عليها في العالم تغذي فكرها. وفي النهاية، استسلمت لهذه الأفكار وتركت زوجها وخرجت تبحث عن النجاح الذي كانت ترغب فيه.

وقال الرب بكل تحديد للأخ هيجن: «لقد كانت هذه المرأة بنتًا لي»، ثم قال لهيجن ألا يصلي لأجلها. والعبارات التالية مأخوذة مباشرة من كتابه:

فسألت قائلًا: «يا رب، ماذا سيحدث لها؟»

فأجابني: «سوف تقضي الأبدية في مواضع الملعونين، حيث البكاء وصرير الأسنان». وفي الرؤيا رأيتها تنزل إلى حفرة الجحيم. وسمعت صرخاتها المروعة.

«لقد كانت هذه المرأة ابنتك يا رب. كانت مملوءة بروحك وكان لها دور في الخدمة. لكنك قلت لي ألا أصلي لأجلها. لا يمكنني أن أفهم هذا!»

فذكّرني الرب بالنص الكتابي التالي: « **إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت، يطلب، فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت. ليس لأجل هذه أقول أن يُطلب** ». (١ يوحنا ٥: ١٦).

فقلت: «لكنني كنت أؤمن دائمًا يا رب أن الخطية المشار إليها في هذه الآية هي للموت الجسدي، وأن ذلك الشخص يخلص بالرغم من أنه أخطأ».

فأوضح لي الرب قائلًا: «لكن الآية لا تقول الموت الجسدي. إنك تزيد على الآية. إذا قرأت الأصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأول كله، فسوف ترى أنه يتحدث عن الحياة والموت – الحياة الروحية والموت الروحي – وهذا هو الموت الروحي. إنها تشير إلى مؤمن يمكنه أن يخطئ خطية للموت، وبالتالي فإنني أقول إنك يجب ألا تصلي لأجل هذا. لقد قلت لك ألا تصلي لأجل هذه المرأة، لأنها أخطأت خطية للموت».

فسألته قائلًا: «إن هذا يربك معتقداتي اللاهوتية حقًا يا رب. هل يمكن أن تفسر لي أكثر؟» (أحيانًا نحتاج إلى أن ترتبك معتقداتنا اللاهوتية إذا لم تكن متفقة مع كلمة الله).

فذكّرني يسوع بالنص الكتابي التالي: عبرانيين ٦: ٤–٦

٤ لأن الذين استنيروا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس،
٥ وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي،
٦ وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضًا للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهّرونه.[١]

توجد بالتأكيد صفات معينة في النص السابق يجب ملاحظتها. أولًا، يجب أن يكون الشخص قد استنير وذاق الموهبة السماوية. وهذا ينطبق على من قبلوا يسوع، إذ إنه هو العطية السماوية. ثانيًا، هذا الشخص مملوء بالروح القدس. ثالثًا، قد ذاق كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي. وهذا يشمل مواهب الروح، ومسحة الله، إلخ. ومن هذه القائمة يمكن أن نرى أن هذا لا يشمل الأطفال في الإيمان، بل المؤمنين المخضرمين.

قابلت العديد من الأشخاص الذين كانوا يأتون إليّ في الماضي بالدموع، ويقولون إنهم قالوا للرب ذات مرة إنهم لم يعودوا يريدون أن يخدموه. وبعد هذا شعروا بالندم وتابوا. وقد خافوا خوفًا عظيمًا عندما قرأوا هذا النص الكتابي، ونصوصًا أخرى قليلة في الكتاب المقدس. لكن الأطفال، أحيانًا ما يفعلون أشياء حمقاء في جهل، والرب يعلم هذا. لم يكن كاتب رسالة العبرانيين يتحدث عن طفل في المسيح، بل عن الشخص الناضج.

ولكي أستمر أخدم هذه النفوس المضطربة، أقول لهم إنهم لو كانوا قد ارتكبوا خطية للموت (كما هو واضح من النص السابق)، لما كانت لهم الرغبة في أن يرجعوا إلى الشركة الحلوة مع يسوع. فإن حقيقة أنهم جائعون له في حد ذاتها وأنهم قد تابوا، وما صاحب هذا من ثمار التقوى، تعني أن الروح القدس كان يجتذبهم ليعودوا إلى الشركة. لن تكون هناك رغبة في العلاقة الحميمة مع يسوع، أو في الحياة المقدسة، لو كانوا قد ابتعدوا بصورة دائمة، مثل تلك المرأة في رؤيا الأخ هيجن.

قال يسوع إن هذه المرأة كانت فعلًا ابنة لله. تربى الأخ هيجن في صباه في طائفة لا يؤمن فيها الكثيرون أن الشخص يمكن أن يبتعد عن خلاصه. كانوا يؤمنون بالضمان الأبدي غير المشروط. ولهذا قال: «إن هذا يربك معتقداتي اللاهوتية حقًا». فبصفتها ابنة لله، كان اسمها مكتوبًا في سفر الحياة. لكنها لم تصبر، بل عادت بصورة نهائية إلى العالم، ولذلك مُحي اسمها. لقد اختارت أن تبعد عن الخير. ولهذا السبب، يخبرنا كاتب رسالة العبرانيين، أنه كان من المستحيل استرداد شخص كهذا. لقد أصبحت الآن ميتة مضاعفًا. كانت قبلًا ميتة بالخطايا، ثم ورثت الحياة الأبدية، لكنها ماتت في الخطية مرة أخرى عندما ابتعدت إلى الأبد. (انظر يهوذا ١٢).

بعد أن يصل الإنسان إلى هذه الحالة، لا يمكنه مرة أخرى أن يولد ثانية.

ولهذا السبب يقول كاتب العبرانيين: «لا يمكن تجديدهم أيضًا للتوبة». ولهذا فإنه من الخطأ أن نظن، أنه يمكن أن تحدث مواقف يولد فيها المولودون ثانية مرة أخرى.

دعني أكرر مرة أخرى، أنه إذا ارتكب شخص ما هذه الخطية، فلن تكون له الرغبة في التوبة والحياة لأجل يسوع مرة أخرى. لأنه لا يمكن أن يجذبنا أحد إلى يسوع إلا الروح القدس، وبمجرد أن يفارق الروح القدس مؤمنًا حقيقيًا نتيجة لارتداده، مثل المرأة التي وصفها الأخ هيجن، لن يرجع مرة أخرى. ولهذا السبب فإن الروح القدس طويل الأناة، ولن ييأس بسهولة.

قتام الظلام

يعطينا الرسول بطرس نورًا آخر: «**لأنه إذا كانوا، بعدما هربوا من نجاسات العالم، بمعرفة الرب والمخلّص يسوع المسيح ...**» (٢بط ٢: ٢٠).

أولًا دعنا نفحص من الذين يخاطبهم بطرس. إذا كان هناك شخص قد هرب من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح، فهذا يجعله بدون شك مسيحيًا مؤمنًا. لن يندرج تحت تصنيف المزوِّرين الذي ناقشناه في الفصل السابق – من يقولون إنهم يعرفون الله لكنهم في الحقيقة لا يعرفونه – بل قد هرب بالفعل من نجاسات هذا العالم من خلال نعمة الرب يسوع المخلِّصة. لا يوجد شك في أنه يخاطب أناس وُلدوا ثانية بالفعل.

لنواصل القراءة:

> **... يرتبكون أيضًا فيها، فينغلبون، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل. لأنه كان خيرًا لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعدما عرفوا، يرتدّون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق: ‹كلب قد عاد إلى قيئه›، و‹خنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة›.**
> **٢بطرس ٢: ٢٠ ـ ٢٢**

يخاطب بطرس المسيحيين الذين يرجعون إلى طرق العالم، لكن لاحظ أنه يضيف أنهم ينغلبون بنجاساته. والانغلاب يعني أنهم لم يرجعوا، لم يتوبوا قط عن إثمهم

المتعمد. يقول بطرس إنه كان الأفضل لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعدما عرفوه، يرتدون عن طريق الرب. أي أن الله يقول إن عدم الخلاص أفضل من قبول عطية الحياة الأبدية، ثم الارتداد عنها إلى الأبد. وهذا يتفق تمامًا مع ما قاله حزقيال: «كل بره الذي عمله لا يُذكر».

لماذا يكون الأفضل لو لم يعرف طريق البر أبدًا؟ يجيب يهوذا على هذا. كان يهوذا، مثل بطرس، يخاطب من يبتعدون عن خلاصهم. فقال: «ويل لهم! لأنهم سلكوا طريق قايين وانصبّوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة، وهلكوا في مشاجرة قورح». (يهوذا ١١). كان لقايين وبلعام وقورح جميعهم في وقت ما، علاقة بالرب، واثنان منهما كانا خادمين. كان خطأ قايين هو عصيان الله، وخطأ بلعام هو محبة المال، وخطأ قورح هو التمرد على السلطان المفوَّض.

يكمل يهوذا فيقول:

> هؤلاء صخور في ولائمكم المحبّية، صانعين ولائم معًا بلا خوف، راعين أنفسهم. غيوم بلا ماء تحملها الرياح، أشجار خريفية بلا ثمر ميتة مضاعفًا، مقتلعة. أمواج بحر هائجة مزبدة بخزيهم. نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد.
> يهوذا ١٢ ــ ١٣

كانت الولائم المحبّية هي وجبات مسائية في الكنيسة الأولى، وخلالها كان الأعضاء يجتمعون تعبيرًا عن علاقتهم القريبة بالله وببعضهم البعض. وعادة ما كانت الولائم المحبّية تنتهي بسر المائدة المقدسة.[٢] الآن نحن نعرف حقيقة واقعية: ليس كل من يبتعدون عن الخلاص يتركون الكنيسة المنظمة، كما كان الحال مع المرأة في رؤيا الأخ هيجن. وهذا يجعلهم بالغي الخطورة، لأن تأثيرهم يمكن أن يكون قاتلًا على الأطفال في الإيمان، والضعفاء في الضمير، والمجروحين.

كان قورح مثالًا على هذا النوع من الأشخاص. فقد كان خادمًا مع هارون، لكنه قال لموسى وهارون: «كفاكما! إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب. فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب؟» (عد ١٦ : ٣). لقد تسبب تأثيره في إصدار حكم الموت على ٢٥٠ قائدًا وعلى ١٤٧٠٠ من أعضاء الجماعة!

يقول يهوذا إن هؤلاء المرتدين، المشار إليهم على أنهم صخور، يبقون في كنائسنا بإحساس زائف بالأمان في نعمة كانوا يسلكون فيها قبلًا، لكنهم شوهوها الآن بحياتهم، لخدمة أنفسهم، وفقدوا خوف الله. (لاحظ أن قورح قد قال إن الله كان في وسط الجماعة كلها. فقد كان هو أيضًا يسلك بإحساس زائف من الأمان، لأنه في اليوم التالي فتحت الأرض فمها وابتلعته حيًا إلى الجحيم.) وبالتالي، فإن هؤلاء المرتدين سوف يظلون يعرفون لغة المسيحي المؤمن، ويرافقون المؤمنين، لكنك لن تجدهم بين الغالبين الذين سيرجع يسوع إليهم. فسوف يأتي يسوع إلى كنيسة بلا غضن (انظر أف ٥: ٢٧).

يوضح يهوذا أن هؤلاء الناس أموات مرتين. كيف يمكنك أن تموت مرتين؟ هل يمكن أن يعني هذا، أنك كنت ميتًا مرة بالخطية، ثم قبلت الحياة الأبدية من خلال الولادة الجديدة، لكنك للأسف مت مرة أخرى، من خلال الخطية المستمرة، التي لا تتوب عنها؟ تذكر أن يعقوب يقول: إن المسيحي الذي يضل عن الحق ويبقى في هذه الحالة، سوف تموت نفسه. يقول يوحنا إن هناك خطية للموت بالنسبة للمؤمنين. والاثنان يشيران إلى الشخص الميت مضاعفًا.

لاحظ أن يهوذا يقول: «محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد». وعبارة قتام الظلام، تعني أسوأ عقاب أبدي. ونرى هذا بوضوح في كلمات يسوع عن مجيئه والدينونة، إذ يقول:

> طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين ... ولكن إن قال ذلك العبد في قلبه: سيدي يبطئ قدومه، فيبتدئ يضرب الغلمان والجواري، ويأكل ويشرب ويسكر، يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها، فيقطعه ويجعل نصيبه مع الخائنين. وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته، فيضرب كثيرًا. ولكن الذي لا يعلم، ويفعل ما يستحق ضربات يُضرب قليلًا.
> لوقا ١٢: ٣٧، ٤٥ ـ ٤٨

هناك الكثير في هذه الآيات. دعني أوضح فقط القليل من النقاط المهمة. أولًا، لاحظ أنه عبد، وليس وثنيًا أو خاطئًا. لقد كان يعلم إرادة سيده، ومع هذا فعل العكس. لا يتحدث هذا عن شخصية المستقل، فهو يندرج تحت تصنيف من لا يعلم

ويُضرب قليلًا. ولا يمكن أن ينطبق على المخدوع أيضًا، لأن المخدوع كان يظن أنه عبد، لكن طبقًا ليالين، لم يكن أبدًا عبدًا حقيقيًا. لكن هذا الشخص الذي يشير إليه يسوع، يسميه سيده عبدًا، وهو يفهم بالتمام إرادة سيده. إنه هو الشخص الذي ابتعد عن خلاصه.

لاحظ أنه كان يضرب العبيد رفقاءه. وهنا يتحدث عن أسلوب حياة الذي يستغل الآخرين لأجل منفعته أو متعته. لقد أصبح الآن يعيش ليومه. فهو يأكل ويشرب ويسكر، إنه يعيش ليخدم ذاته. تذكر أن يهوذا يقول: إن هؤلاء المرتدين يحضرون الولائم مع المؤمنين الآخرين دون خوف الله، ويخدمون أنفسهم فقط. كل قراراتهم، حتى التي تبدو نبيلة، هي لمنفعتهم.

وبالنسبة لدينونة ذلك العبد، لاحظ أنه قد تحدد إرساله إلى المكان الذي كان فيه غير المؤمنين (الذين لم يخلصوا قط)، وكان غير المؤمنين يتلقون ضربات قليلة، بينما العبد الذي كان يعلم إرادة سيده، كان يُضرب كثيرًا. وهذا يُظهِر أنه سوف ينال أعظم دينونة في بحيرة النار أو قتام الظلام إلى الأبد!

مرارة عدم الغفران

ينطبق هذا بالتأكيد على ضعيفة القلب (مع مزدوج الحياة). فقد كانت ضعيفة القلب تعرف أن إرادة يالين كانت هي أن تغفر، لكنها رفضت. لقد اختارت أن تتمسك بإساءة افتراء. وفتحت مرارتها الباب لنجاستها. ولهذا السبب نقرأ: «**ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله. لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجًا، فيتنجس به كثيرون**». (عب ١٢: ١٥). لقد تعلمت، من البحث في أسفار العهد الجديد، ومن سنوات الخبرة في الخدمة، أن أعظم فخ يجذب الناس بعيدًا عن سيرهم مع الله، هو عدم الغفران. وكما حدث مع ضعيفة القلب، فإنه يفتح الباب لكل أنواع المعتقدات والسلوكيات المنحرفة الأخرى.

في متى ١٨، يخبرنا يسوع مثل الملك العظيم الذي كان يسوي حساباته. أحضروا إليه واحدًا عليه عشرة آلاف وزنة. ولم تكن الوزنة معيار أموال، بل معيار أوزان. وكانت تستخدم لوزن الذهب (٢صم ١٢: ٣٠)، والفضة (١مل ٢٠: ٣٩)، والمعادن والسلع الأخرى. في هذا المثل، تمثل الوزنة دينًا، لذا يمكننا أن نفترض أنه كان يشير إلى وحدة مقايضة مثل الذهب أو الفضة. دعونا نفترض أنها من الذهب.

كانت الوزنة الشائعة مساوية لما يقرب من ٧٥ رطلًا. كانت هي الوزن الكامل الذي يمكن أن يحمله الإنسان (٢مل ٥: ٢٣). وتساوي عشرة آلاف وزنة ٧٥٠ ألف رطل تقريبًا، أو ٣٧٥ طنًا. أي أن ذلك العبد كان مدينًا لسيده بمقدار ٣٧٥ طنًا من الذهب. في وقت كتابة هذا الكتاب، يبلغ ثمن الذهب حوالي ٤٢٠ دولارًا للأونس. لذا دعنا نجري بعض الحسابات. في سوق اليوم، يمكن أن تساوي عشرة آلاف وزنة من الذهب ٥ مليارات دولار! هذا هو مقدار الدين الذي كان على ذلك العبد للملك! النقطة التي يؤكد عليها يسوع هنا، هي أن ذلك العبد كان مدينًا بدين هائل، لا يمكنه أبدًا أن يسدده.

أمر الملك أن يباع العبد وأسرته، ويوضع الثمن في مقابل الدين. فوقع الرجل عند قدمي الملك ملتمسًا الرحمة، وقد منحه الملك إياها، فسامحه بالدين كله. عندما يحدث أذى، يكون هناك دين. لقد سمعت الناس يقولون: «سوف يدفع ثمن هذا». أما الغفران فهو إلغاء الدين. نال ذلك الرجل المسامحة على دينه الذي لا يمكن سداده. وهكذا يمكنك أن ترى في هذه القصة الرمزية، أن الملك يمثل الله الآب، وأن الرجل الذي نال المسامحة على الدين يمثل شخصًا نال غفرانه بيسوع المسيح.

ولكننا نجد في الكتاب المقدس أنه: **«لما خرج ذلك العبد وجد واحدًا من العبيد رفقائه كان مديونا له بمئة دينار. فأمسكه وأخذ بعنقه قائلًا: 'أوفني ما لي عليك.'» (مت ١٨: ٢٨).**

كان الدينار هو الأجرة المتعارف عليها ليوم العمل. دعنا نفترض أنها ٧٥ دولارًا بنقود اليوم. وهكذا يكون الإجمالي هو ٧٥٠٠ دولار. وهكذا يمكنك أن ترى أنها ليست إساءة صغيرة.

والآن لنكمل القراءة: **«فخرّ العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلًا: تمهل عليّ فأوفيك الجميع. فلم يُرد بل مضى وألقاه في سجن حتى يوفي الدين». (مت ١٨: ٢٩ ـ ٣٠).**

عبد رفيقه مدين له بمبلغ ٧٥٠٠ دولار. لكن هذا الرجل الذي سامحه سيده بخمسة مليارات دولار، لم يرد أن يطلق العبد رفيقه. بل صمم على أن يجعله يسدد الدين. أمر مهم أن نرى أن الإساءة التي نحتفظ بها ضد أحدنا الآخر، بالمقارنة بجريمتنا الأصلية تجاه الله، تشبه دينًا مقداره ٧٥٠٠ دولار، في مقابل دين مقداره خمسة مليارات دولار! مهما كانت درجة السوء التي عاملك بها شخص آخر، فهي لا تقارن

بتعدياتنا تجاه الله. قد تشعر أنه لا يوجد من عومل بطريقة سيئة مثلك. إلا أنك لا تدرك مدى السوء الذي عومل به يسوع. لقد كان بريئًا، حملًا بلا عيب، وذُبح، ودفع ديننا البالغ خمسة مليارات دولار!

إن الشخص الذي لا يستطيع أن يغفر، قد نسي مقدار الدين الذي غُفر له! عندما تدرك الموت العظيم والعذاب الأبدي الذي خلصك يسوع منه، سوف تطلق الآخرين بحرية. لا يوجد ما هو أسوأ من الأبدية في بحيرة النار. لا توجد هناك راحة، الدود لا يموت، والنار لا تُطفأ. كان هذا هو مصيرنا حتى سامحنا الله، بموت ابنه يسوع المسيح! إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يغفر، فهو إذًا لا يعي حقيقة الجحيم، ولم يفهم محبة الله.

لنواصل قراءة المثل:

> **فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان، حزنوا جدًا. وأتوا وقصّوا على سيدهم كل ما جرى. فدعاه حينئذ سيده وقال له: «أيها العبد الشرير، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليّ. أفما كان ينبغي أنك أنت أيضًا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا؟»**
> متى ١٨: ٣١ـ٣٣

أريد أن أؤكد على أن يسوع لا يشير إلى غير المؤمنين في هذا المثل. إنه يتحدث عن عبيد الملك، أو المؤمنين المولودين ثانية. لقد نال ذلك الرجل بالفعل مسامحة لدينه العظيم (الخلاص) ويسمى عبد الملك. والشخص الذي لم يستطع أن يسامحه، كان عبدًا رفيقه. يمكننا إذًا أن نستنتج أن مصيره هو مصير «المؤمن» الذي يرفض أن يغفر.

أجد هنا حقيقة مذهلة. في كل الأمثال الأخرى في الأناجيل، كان على الناس أن يسألوا عن المعنى. لكن يسوع يقدم تفسير هذا المثل دون أن يطلب أحد منه هذا. أرى أن هذا ناتج عن أن ما يوصله المثل غريب جدًا عن ما اعتادوه، لدرجة أنه كان حريصًا على أن يفهموه. وهذا هو التفسير:

> **وغضب سيده وسلمه إلى المعذِّبين حتى يوفي كل ما كان له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته.**
> متى ١٨: ٣٤ـ٣٥

هنـاك ثـلاث نقـاط أريد أن أوضـحـهـا في هـاتين الآيتين. أولًا، تم تسـليم العبد الذي لم يسـامح رفيقه إلى العذاب. ثـانيًا، أصـبـح عليه الآن أن يسـدد الدين الأصـلي، وهو ٣٧٥ طنًا من الذهب. ثـالثًـا، هذا هـو مـا سـيفعلـه الله الآب بـأي «مؤمن» لا يـغفر إسـاءة أخيه.

دعنـا نـنـاقش بـاختصـار كل نقطة. أولًا، تعني كلمـة العذاب، عملية إحداث ألم شـديد، عذاب الذهن والجسـد، والثني عن الوضـع الأساسي. والمعذِّب هو الشـخص الذي يُحدث العذاب. إن المؤمن الذي يرفض أن يسـامح، سـوف تعذبـه أرواح شيطـانيـة. سوف يُعطَى المعذِّبـون الإذن بـإحـداث الألم وعذاب الذهـن والجسـد كيفمـا شـاءوا. كثيرًا مـا صـليت لأجل أشخـاص في خدمـات لم يكن بـاستطـاعتهم قبول الشفـاء أو التعزيـة أو التحرير، كل هـذا، لأنـهـم لم يطلقوا آخرين، ويغفروا من قلبهم. يـؤدي هذا تقريبًا فـي جميع الحـالات إلى الغضـب والإسـاءة تجـاه الله. ثـم يتنجس إيمـانهـم، وتكون نـهـايـتـهـم مـهلكة، مـا لم تحدث التوبـة والغفران.

النقطـة الثـانيـة هــي أن هذا العبد غير المسـامِح، أصـبـح عليه الآن أن يسـدد الدين الأصلي، الذي لا يمكن سداده. لقد أصبح مطالبًا الآن أن يفعل مـا هـو مستحيل! إنـه الدين الذي سـدده يسـوع فـي الجلجثـة. قد تـخـاف من هذه الفكرة، لكن اسمع كلمـات يسوع في حـادثـة أخرى: «ومتى وقفتم تصلّون، فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء، لكي يغفر لكم أيضًا أبوكم الذي في السموات زلاتكم». (مر ١١: ٢٥).

لاحظ من الذين يخـاطبهم يسوع هنـا. لاحظ كلمـاتـه «أبوكم الذي فـي السموات». ليس الله أبًا للخـاطئ، إنـه إلـه الخـاطئ وأبو المؤمن. كمـا أن الخطـاة لا يصلّون. فواضـح إذًا أنـه يخـاطب أولاد الله.

دعنــا نكمــل. «وإن لم تغفروا أنتــم لا يغفر أبوكم الذي في السـموات أيضًــا زلاتكم». (مر ١١: ٢٦).

هذا الأمر واضـح للغـايـة. وهـذا يـأتي بنـا إلى النقطـة الثـالثـة، وهـي أنك سـوف يـتحتم عليك أن تسـدد دينًـا لا يمكن سـداده، إذا رفضـت أن تغفر. يقول يسوع: إن أبـاك لن يغفر لك تعديـاتك، وسوف يسلمك إلى المعذِّبين الأبديين. هـل الأمر يستحق هذا؟

إننا لا نتحدث عن شخص يعالج الإساءة ويصلي لأجل الغفران، بل عن شخص مثل ضعيفة القلب، التي رفضت بإصرار أن تغفر. لاحظ أنه في القصة الرمزية، كان عدم غفرانها هو الذي فتح الباب لكل أشكال الشر الأخرى، وبدأت تنزلق تدريجيًا بعيدًا عن تكريسها ليالين. هل كان الأمر يستحق نهايتها المهلكة؟ أكرر أن هذا هو السبب الذي جعل كاتب رسالة العبرانيين يطلب منا بكل تأكيد، أن نمتحن أنفسنا جيدًا، ونتخلى عن أي شكل للمرارة، لأن الكثيرين يتنجسون بها.

والآن يمكننا أن نفهم كلمات يسوع بخصوص الأيام الأخيرة للكنيسة، فهو يقول: «وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضًا ويبغضون بعضهم بعضًا .. ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص». (مت ٢٤: ١٠، ١٢ـ ١٣).

لاحظ أن من سيعثرون في الأيام التي نعيش فيها ليسوا قليلين ولا حتى البعض، بل الكثيرين. وكلمة كثيرين تعني عددًا كبيرًا أو كبيرًا جدًا أو عظيمًا. سوف تؤدي العثرة أو عدم الغفران إلى الإثم، وسوف تبرد محبة عدد كبير من الناس. كانت الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى محبة هي أغابي، والتي تصف محبة الله المسكوبة في قلب المؤمن المسيحي في اللحظة التي يخلص فيها. لا يتحدث المسيح عن المزوَّرين، لأنهم لم ينالوا حقيقة محبة الله على الإطلاق. كلا، إنه يتحدث إلى المؤمنين الحقيقيين، لأنه يقول: «ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص». لا يمكنك أن تقول لخاطئ، أو محتال، إذا صبرت إلى المنتهى فسوف تخلص. فهم لم يبدأوا السباق بعد!

الارتداد عن الإيمان

تحذرنا الكلمة المقدسة من الارتداد الذي سوف يحدث بين المؤمنين في الأيام التي نعيش فيها. يقول بولس: «لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي [يوم مجيء الرب] إن لم يأتِ الارتداد أولًا، ويستعلن إنسان الخطية، ابن الهلاك». (٢تس ٢: ٣). وينبئ مرة أخرى قائلًا: «ولكن الروح يقول صريحًا: إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان». (١تي ٤: ١).

لماذا؟ «لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلّمين مستحكة مسامعهم، فيصرفون مسامعهم عن الحق». (٢تي ٤: ٣ ـ ٤). في النص السابق، لاحظ أن بولس يقول إنهم سوف «يرتدون عن الإيمان». والإيمان الذي

يتكلم عنه ليس إيمانًا تخيليًا، بل إنه إيمان حقيقي بيسوع المسيح. ومعنى أن يرتد هؤلاء هو أنهم كان لابد أن يكونوا واقعيًا في الإيمان في وقت ما.

لقد شاركت بحقائق كل كاتب تقريبًا من كتّاب العهد الجديد، فيما يختص بابتعاد المؤمنين عن خلاصهم. دعني الآن أشاركك ببعض كتابات آباء الكنيسة الأولى المعتبرين، والذين كان بعضهم رفقاء للرسل الذين كتبوا العهد الجديد. وأنا أجد أن كتاباتهم ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالكلمات التي رأيناها في الكلمة المقدسة.

لنمارس إذًا البر حتى نخلص في النهاية.
أكليمندس الروماني[٣]

حتى في حالة الإنسان الذي فعل أعظم الأعمال الحسنة في حياته، لكن في النهاية انغمس في الشر، فكل آلامه السابقة لا تنفعه. لأنه في ذروة الدراما، تخلى عن دوره.
أكليمندس الإسكندري[٤]

البعض يعتقدون أن الله ملزَم بمنح ما وعد به حتى لغير المستحقين. وهكذا يحولون تسامحه إلى عبوديته ... لأنه ألا يرتد الكثيرون بعد هذا عن [النعمة]؟ ألا تؤخذ هذه العطية من الكثيرين؟
ترتليان[٥]

قد يمتلك الإنسان برًا مكتسَبًا، ويمكن أن يرتد عنه.
أوريجانوس[٦]

من لا يطيعونه، لا يعودون يكونون أولاده، لأنهم يُحرَمون من ميراثه.
إيرانيوس[٧]

عندما سمع البعض رأيي بخصوص هذه الحقائق من الكلمة المقدسة، قالوا لي بطريق الخطأ: «يا جون، هل أنت أرميني؟» وهذا مصطلح في القاموس يصف ما يلي: «منسوب إلى جاكوبس أرمينيوس وأتباعه، والذي رفض تعاليم كالفن عن القضاء والقدر وعن الاختيار، وكان يؤمن بأن الإرادة الإنسانية الحرة تتفق مع سيادة الله».[٨]

ولمثل هؤلاء الناس أقول ببساطة: «كلا، أنا لست كالفينيًا ولا أرمينيًا، بل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس، أنه هو كلمة الله المعصومة». عاش جاكوبس أرمينيوس بعد كتاب الكلمة المقدسة بوقت طويل، وحتى بعد القادة الأوائل الذين اقتبست منهم سابقًا. هل يمكنك إذًا أن تسمي هؤلاء الكتّاب أرمينيين؟ بالتأكيد لا، إذ أنهم عاشوا وكتبوا قبل أن يولد أرمينيوس. ما أكتبه ليس فكرة شخصية أو مفهومًا أو معتقدًا شخصيًا، بل إنه الحق. وقد أوضح الله رسالة إنذاره كثيرًا لمن يؤمنون منا. يجب أن نكون حذرين في ألا نتعلق بمدارس الفكر، بل أن نكون منفتحين لسياق الكلمة المقدسة الموحى بها من الروح القدس، لأن:

> **كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملا متأهبًا لكل عمل صالح.** ٢ تيموثاوس ٣: ١٦ ــ ١٧

أمر شيق أن نلاحظ أن من كانوا قادة كاذبين، الذين حذرهم يسوع ووبخهم بشدة، هم من كانوا يتجمعون حول المدارس الفكرية، وعلّموا بطريقة تشبهها. لكن، إذا نظرت إلى ما كان يقال عن يوحنا المعمدان أو يسوع أو الآخرين الذين تكلموا بالحق، فقد كان الناس يقولون عنهم كثيرًا «**كان يعلّمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة**». (**مت ٧: ٢٩**). ولهذا السبب، قال بولس لتيطس: «**تكلم بهذه، وعظ، ووبّخ بكل سلطان. لا يستهن بك أحد**». (**تي ٢: ١٥**). وكتب إلى تيموثاوس يقول: «**كما طلبت إليك أن تمكث في أفسس، إذ كنت أنا ذاهبًا إلى مكدونية، لكي توصي قومًا أن لا يعلّموا تعليمًا آخر**». (**١ تي ١: ٣**). كما أوصى بولس تيموثاوس أيضًا قائلًا:

> **اكرز بالكلمة. اعكف على ذلك** [ليكن لك الإحساس بالإلحاح والاستعداد] **في وقت مناسب وغير مناسب.** [سواء كان هذا مناسبًا أو غير مناسب، سواء كنت موضع ترحيب أو غير ذلك، يجب عليك كواعظ بالكلمة أن تُظهر للناس الجوانب التي تعتبر حياتهم خطأ فيها]. **وبّخ، انتهر، عظ بكل أناة وتعليم.** ٢ تيموثاوس ٤: ٢

وقد كتب بولس عن نفسه قائلًا: «**لكي أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم**». (**أف ٦: ٢٠**). يمكنك أن ترى أنها صفة مشتركة بين المتكلمين الحقيقيين باسم الله. فسلطانهم مثبت في كلمة الله. لن يلتفوا حول المشاعر الشخصية أو المدارس الفكرية أو إجماع الأغلبية. يمكن أن تكون الغالبية خطأ أحيانًا. يجب أن نعلم أن الله يعني ما يقوله ويقول ما يعنيه!

الحفظ من العثرة

اهتز البعض من رسالة الارتداد عن النعمة، الواضحة للغاية في الكتاب المقدس. فأتوا إليّ في حالة ذعر قائلين: «كنت أظن أن لنا ضمانًا أبديًا».

وكنت أجيب قائلًا: «هذا صحيح بكل تأكيد! إن لنا ضمانًا أبديًا! لقد قال يسوع إنه لن يفقد أي واحد أعطاه له الآب (يوحنا ١٨: ٩) لأنه لن يتركنا أو يهملنا أبدًا. لكنه لم يقل إننا لا يمكننا أن نتركه أو نضل عنه وغالبًا ما تُقابل هذه الكلمات بنظرات القلق. فأقول بعدها: «إذا كنت تحب يسوع المسيح حقًا، فلماذا تريد الابتعاد عنه! إن كنت تحبه فلن تنكره أبدًا!»

إذا كنت تحب الله فلن تواجه مشكلة في حفظ وصاياه! إذا كانت خدمة الله إلزامًا، فستكون قد دخلت في علاقة ناموسية، وسيكون صعبًا عليك أن تحفظ وصاياه. يجب ألا نخدم الله لكي نستحق رضاه، بل يجب أن نخدمه لأننا نحبه!

يواصل يهوذا كلامه فيخبرنا كيف يمكن أن نحافظ على هذه المحبة متجددة، حتى إذا كانت هناك خميرة رديئة في الكنيسة. يقول: « واحفظوا أنفسكم في محبة الله، منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية». (يهوذا ٢١). يجب أن ننتظر الرب في أية لحظة من اليوم (هل تذكر أن العبد الذي ارتد كان هو الذي لم يتوقع مجيء سيده؟). يجب أن نشتاق إليه، ونطلبه باستمرار، حتى يعلن نفسه لنا بطريقة أعظم، لأن « كل من عنده هذا الرجاء به، [رجاء أن يعلن يسوع ذاته] يطهر نفسه كما هو طاهر». (١ يو٣: ٣).

عندما تنتظره، وتكون لك شركة مع روحه، لن تريد الابتعاد عنه أبدًا. إذًا ألا يوجد شيء يزعزعك؟ في ختام رسالة يهوذا، يوجد أحد مواعيدي المفضلة في الكتاب المقدس. إنه يقول لكل من يحفظون أنفسهم في محبة الله من خلال انتظار إعلان يسوع:

> والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مخلّصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان، الآن وإلى كل الدهور. آمين.
> يهوذا ٢٤ـ٢٥

هذه هي صلاتي الحارة ورغبتي لأجلك!

الفصل السابع

الأساس

أمـا الصـدِّيق [الـذي لا يسـاوم] فأسـاس مؤبَّـد. أمثـال ١٠: ٢٥

قبـل أن نعـود إلى قصـتنا الرمزية عن أفابيل، لكي نرى دينونـة ومكافآت الأنـاني وصـانعة المعروف، سـوف نحدد ما ناقشـناه في الفصـول الثلاثة السـابقة. تذكر هذا النص الكتابي من الفصل الرابع:

> لذلـك، ونحن تاركون كلام بداءة المسـيح، (المسـيا) لنتقـدم إلى الكمال، غير واضـعين أيضًا أساس... الدينونة الأبدية. عبرانييـن ٦: ١ ـ ٢

إن عدم امتلاكنا لأساس راسخ في حقائق الدينونة الأبدية والعقاب الأبدي، يمنعنا من بناء حياة صحيحة وسليمة في المسيح. يشبه هذا محاولتك أن تتقدم في تعليمك، دون الأدوات الأساسية التي تحصل عليها في التعليم الابتدائي، مثل القدرة على القراءة.

لماذا هذا الأمر هكذا؟ عندما تدرس الأنـاجيل بعناية، سـتلاحظ أن يسـوع تكلم عن الجحيم، ووصـفه أكثر مما تكلم عن السـماء ووصفها. وقد فعل هذا، لكي يغرس أساسًا في داخلنا، هو خوف الله. وهذا واحد من الأمثلة:

لذلـك كل مـا قلتمـوه فـي الظلمة يُسـمع فـي النـور، وما كلمتـم بـه الأذن فـي المخادع يُنـادى بـه علـى السـطوح. ولكـن أقول لكـم يـا أحبائـي: لا تخافـوا مـن الذيـن يقتلون الجسـد، وبعـد ذلـك ليس لهم مـا يفعلـون أكثـر. بـل أريكم ممـن تخافـون: خافـوا من [الله] الـذي بعدمـا يقتـل، لـه سـلطان أن يلقـي فـي جهنـم. نعـم، أقـول لكـم: مـن هذا خافوا. لوقـا ١٢: ٣ ـ ٥

إن كلماته قوية ومحددة. فالوصـول والمحافظة على فهم جيد للدينونة والعقاب الأبدييـن، والحفـاظ عليه يزرع خوف الرب في قلوبنـا، ويحفظه بثبات. اسـمح لي أن أشرح الأمر. الله وحده هو الذي يستطيع أن يصدر الحكم الأبدي بالجحيم. ما تكلمنا به في السـر، سـوف يسـتعلن بنور مجده عند الدينونة. لن تسـتعلن كلماتنا فقط، بل ودوافعنـا وتوجهاتنـا وأعمالنا أيضًـا. إن خوف الله يبقينا واعين باسـتمرار بأنه لا يوجـد شـيء مخفي عنه، حتى أكثر الأشـياء سرية، ونعلـم أنه لا يفلت أي شـيء من دينونتـه – ودينونتـه عادلة. إذا كنا نفتقـر إلى هذا الفهم، يمكـن أن ننخدع، فنؤمن أن الله يتغاضـى عن آثامنا، أو حتى لا يراها، ونسـتريح في رحمة غير كتابية ليسـت موجـودة، مثل شخصـية المخدوع وضـعيفة القلب ومـزدوج الحياة. يمكن بسـهولة أن نصـير من بين الكثيريـن في هذه الأيام الأخيرة، الذين سـينحرفون عن التكريس الثابت، وينجرفون إلى الإثم.

من ينقصـهم هذا الأسـاس، سـوف ينزلقـون بالتأكيـد إلى خوف البشـر، وفي النهايـة، فإننـا نخـدم من نخافـه. إن كنا نخاف الله، فسـوف نطيعـه حتى عندما نتعرض للضـغوط. وإن كنا نخاف البشر، فسوف نستسـلم للبشر، خصوصًا عندما نتعرض للضـغوط، وسـوف ننجرف إلى ما يفيد ملذاتنا أو رغباتنا الجسـدية. هذا الاستسلام للجسد يؤدي في النهاية إلى عواقب خطيرة. لذا، فإذا كان ينقصنا الفهم الواعي للدينونة والعقاب الأبديين، فسـوف ينقصـنـا معيار معين من خوف الرب، لأن دينونة المسـيح هي في حقيقتها جانب من جوانب خوف الرب. يصـوغ بولس الأمر هكذا:

لأنـه لا بـد أننـا جميعًـا نظهـر أمـام كرسـي المسـيح، لينـال كل واحـد مـا كان بالجسـد بحسـب مـا صـنع خيـرًا كان أم شـرًا. فـإذ نحـن عالمـون مخافـة الـرب نُقنـع الناس. ٢ كورنثوس ٥: ١٠ ـ ١١

لم يكن بولس يشير إلى دينونة العرش العظيم الأبيض التي أشار إليها يسوع في النص السابق (التي سوف يُحكم فيها على الناس بالجحيم)، بل إلى دينونة المؤمن، التي سوف نبدأ في مناقشتها في الفصل التالي. لكن لاحظ أن بولس يساوي ما بين كرسي المسيح ومخافة الرب (إلا أنه يمكن أن يشير أيضًا إلى العرش الأبيض). في الحقيقة، في هذه الآية يسمي بولس كرسي المسيح فعليًا «مخافة الرب». والفكرة هنا هي أنه لا يمكنك أن تفصل مخافة الرب عن الدينونة، ومخافة الرب هي المفتاح للحياة السليمة.

اسمع كلمات إشعياء النبي: «فيكون أمان أوقاتك وفرة خلاص وحكمة ومعرفة. مخافة الرب هي كنزه». (إش ٣٣: ٦) وقد جاءت في ترجمة NIV الإنجليزية: «سوف يكون أساسًا أكيدًا لأوقاتك، مخزونًا غنيًا للخلاص والحكمة والمعرفة، مخافة الرب هي المفتاح لهذا الكنز».

إن الخوف المقدس، هو المفتاح لأساس الله الأكيد. تذكر أنه في الفصول السابقة، كان يسوع ينبئ بالجموع الذين سوف يجرون معجزات باسمه، لكنهم سوف يُرسلون إلى العقاب الأبدي. ليس غريبًا أنه تبع هذا مباشرة، بأن أوضح سبب سقوطهم، وهو أساسهم. لقد بنوا حياتهم على عقلية واعتقاد قلبي لم يستطع الصمود أمام عواصف الحياة.

> «فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط. لأنه كان مؤسسًا على الصخر». [أساس الله الراسخ ... مخافة الرب]. «وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط. وكان سقوطه عظيمًا.» متى ٧: ٢٤ــ٢٧

إن من صبروا إلى النهاية، استطاعوا الصمود أمام العواصف، بسبب أساسهم الراسخ. ومخافة الرب هي الأساس، فهي توفر لنا الثبات. إنها مخزن ثروات الله؛ فخلاصه وحكمته ومعرفته كلها مخبأة فيها.

مخافة الرب

ما هي مخافة الرب؟ هل هي الشعور بالارتعاب منه؟ بالتأكيد لا، لأنه كيف يمكن أن تكون لنا علاقة حميمة مع الرب (وهذه هي أشد رغباته)، إذا كنا نخاف منه؟ لقد جاء الله كي يعلن نفسه لشعب إسرائيل، لكي تكون له شركة معهم كما كانت له شركة مع موسى، لكنهم كلهم رجعوا ورفضوا أن يقتربوا. قال موسى للشعب:

> لا تخافوا. لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا. خروج ٢٠: ٢٠

لاحظ أن كلماته تبدو وكأنها مناقضة بعضها للبعض. لكن موسى يفرّق بين الخوف من الله ومخافة الرب. هناك اختلاف. فالشخص الذي يخاف من الله لديه شيء يريد أن يخفيه (اذكر ما فعله آدم عندما عصى الله في الجنة، فقد اختبأ من محضر الرب). من الناحية الأخرى، فإن الشخص الذي يخاف الله يخشى أن يبتعد عنه (يهرب من العصيان).

إن مخافة الرب معناها إكرامه، وتقديره، واحترامه، وتوقيره أكثر من أي شيء أو أي شخص آخر. إنها تعني أن نحب ما يحبه، ونبغض ما يبغضه. ما هو هام بالنسبة له يكون هامًا بالنسبة لنا، وما ليس هامًا بالنسبة له يكون غير هام بالنسبة لنا. عندما نخاف الرب، سوف نرتعد من كلامه، أي سوف نطيعه على الفور – عندما لا يبدو كلامه منطقيًا، وعندما يكون مؤلمًا، وعندما لا نرى الفائدة من ورائه – وسوف نحرص على إتمامه. أجل، إذًا، تُستعلن مخافة الرب في طاعة كلمته، أو طرقه، أو نواميسه.

تخبرنا الكلمة المقدسة، أن مخافة الرب هي رأس الحكمة، أو يمكننا أن نقولها هكذا: إنها أساس الحكمة. والحكمة، التي سوف نناقشها بصورة أعمق في فصول قادمة، هي المعرفة والقدرة على اختيار الاختيارات الصحيحة، في الوقت المناسب. من يختارون اختيارات خاطئة، عند تعرضهم للضغوط، ليست لديهم حكمة، ومصدر الحكمة هو مخافة الرب.

يخبرنا الكتاب المقدس، أن حياتنا يمكن تشبيهها ببناء البيوت. أولًا، يأتي الأساس،

ثـم بعد هـذا، نبني البنـاء. يقـول الكتـاب المقـدس: «بالحكمة يُبنى البيت». (أم٢٤: ٣). إذا كنا نبني حياتنا بالقدرة على اختيار الاختيارات الصحيحة، فسوف نبني حياة سليمة يكون باستطاعتها أن تقف بثقة أمام كرسي الدينونة. وبداية هذه الحكمة أو أساسها هو مخافة الرب.

تحفظنا من الحيدان

لـن يرتد المؤمنون إذا كانت مخافة الرب مزروعة وثابتة في قلوبهم. لن ننزلق أو ننجرف عن تكريسنا الراسخ ليسوع. لن نستخف بكلمته أو نتعامل معها باستهانة. لن نعبث مع الخطية، الأمر الذي يجعل قلوب المؤمنين تتقسى وترتد في النهاية (انظر عب٣: ١٢–١٣). سوف نعرف دائمًا، أن ما يُعمل ويقال في السر، سوف يُعلن على الملأ عند كرسي الدينونة. اسمع ما قاله الله لإرميا عن شعب العهد الجديد:

> **ويكونون لي شعبًا وأنا أكون لهم إلهًا. وأعطيهم قلبًا واحدًا وطريقًا واحدًا ليخافوني كل الأيام لخيرهم وخير أولادهم بعدهم. وأقطع لهم عهدًا أبديًا أني لا أرجع عنهم لأحسن إليهم وأجعل مخافتي في قلوبهم فلا يحيدون عني.**
> إرميا ٣٢: ٣٨ــ٤٠

لاحظ أن الله يقول: «ليخافوني كل الأيام ... فلا يحيدون عني». أتذكّر اجتماعًا في ماليزيا استُعلن فيه روح مخافة الرب بقوة. كان الحاضرون من كل أنحاء نصف الكرة الأرضية الشرقي، كان طلاب مدارس الكتاب المقدس، والرعاة، وكثيرون آخرون، يزحمون القاعة التي كنت أتحدث فيها. وقرابة نهاية الخدمة، كان الكثيرون يبكون ولا يستطيعون السيطرة على أنفسهم، وهم مستلقون على الأرض في المقدمة بالقرب من المنبر. كان رعب الرب رهيباً في ذلك المناخ. وفكرت في نفسي قائلًا: يا جون بيفير، إذا قمت بحركة واحدة خطأ، أو قلت شيئًا واحدًا خطأ، فسوف تموت! هل كان هذا سيحدث؟ لا أعلم. لكنني أستطيع أن أقول إن رجلًا وامرأة قاما بخطوة خطأ في مناخ مشابه لهذا في العهد الجديد وماتا. وكانت نتيجة دينونتهما اللحظية هي: «**فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك**». (أع ٥: ١١).

بعد الاجتماع اقترب إليّ زوجان من الهند وقالا: «يا جون، إننا نشعر بالنقاء الشديد من الداخل».

فأجبت قائلًا: «أجل، وأنا أيضًا».

بعد أيام قليلة كنت في غرفتي في الفندق، ووجدت هذه الآية: «خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد». (مز ١٩: ٩). وعلى الفور تكلم الروح القدس إلى قلبي قائلًا: «كان زهرة بنت الصبح هو الملاك الذي يقود العبادة في السماء، كان ممسوحًا، وجميلًا، ومباركًا. لكنه لم يكن يخافني، فلم يثبت إلى الأبد». وتأملت في هذا الأمر، ثم سمعته يقول أيضًا: «ثلث الملائكة الذين كانوا يحيطون بعرشي ويرون مجدي لم يخافوني، فلم يثبتوا إلى الأبد». وأدهشني ما أعلنه الله وسمعته مرة أخرى يقول: «سار آدم وحواء في حضور مجدي، وكانت لهما شركة معي، لكنهما لم يخافاني، فلم يثبتا في محضري إلى الأبد».

إن مخافة الرب تمنحنا قوة ثابتة. فهي تُبقينا باستمرار طائعين لكلمة الله. هناك تحذير للمؤمنين يقول: «فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه». (عب ٤: ١). أمر مثير للانتباه أنه يقول «لنخف» وليس «لنحب». إن مخافة الرب هي التي تحفظنا من الانجراف مرة أخرى في الخطية، وليس محبة الله.

كارز شهير

لن أنسى أبدًا المرة التي زرت فيها كارزًا شهيرًا كان يقضي السنة الأخيرة من عقوبة السجن لمدة خمس سنوات. اشتهرت قضيته على مستوى العالم، وجلبت الكثير من التوبيخ على الملكوت. لكنه في عامه الأول في السجن، تقابل مع الله مقابلة صادقة. وعندما دخلت إلى السجن بعد ذلك بأربع سنوات، ومن أوائل الأشياء التي قالها لي: «جون، إن هذا السجن ليس دينونة الله على حياتي، بل رحمته. لو كنت قد استمريت بالطريقة التي كنت أحيا بها، لكنت قد انتهيت في الجحيم».

وعندها أعرته اهتمامي، أدركت أنني كنت أتحدث إلى رجل الله المكسور والخادم الحقيقي للمسيح. كنت أعلم أنه بدأ خدمته بمحبة كبيرة للمسيح. وكان شغفه واضحًا. وتساءلت يا ترى كيف انتهى به الحال بعيدًا هكذا عن الرب في الوقت الذي كان فيه في أوج خدمته؟

لذلك سألته: «متى حدت عن محبة يسوع؟»

فنظر إلي وأجابني دون تردد: «لم يحدث هذا.»

فشعرت بحيرة شديدة، وأجبته قائلاً: «ولكن ماذا عن احتيال البريد والزنا الذي ارتكبته في السنوات السبع الماضية، وهو ما تقضي عقوبة السجن عليه الآن؟»

فقال لي: «جون، لقد ظللت أحب يسوع طوال الوقت، لكنه لم يكن هو السلطان الأعلى في حياتي». (لم يكن يخاف الله.) ثم قال شيئًا جذب انتباهي بشدة: «جون، هناك الملايين من المسيحيين الأمريكيين مثلي تمامًا. إنهم يدعون يسوع مخلصهم ويحبونه، لكنهم لا يخافونه بوصفه ربهم الأسمى».

وعند هذه النقطة، اخترق نور إلى داخلي. أدركت أنه يمكننا أن نحب يسوع، لكن هذا وحده لن يحفظنا من الارتداد. يجب أيضًا أن نخاف الله. تذكر كلمات موسى: «لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا». (خر ٢٠: ٢٠). إن مخافة الرب هي التي تعطينا القوة الباقية التي تجعلنا لا ننحرف عن طاعتنا لله، كما فعل زهرة بنت الصبح، وثلث الملائكة، وآدم، والكثيرون في الكنيسة الذين سوف يرتدون في هذه الأيام الأخيرة.

تمموا خلاصكم

ولهذا السبب يقول لنا بولس:

> «تمموا (نموا، نفذوا حتى تصلوا للهدف، أكملوا بالتمام) خلاصكم بخوف ورعدة (عدم ثقة في الذات، بحرص شديد، بضمير حساس، بحذر من الإغراء، بالانكماش الخائف مما قد يسيء إلى الله ويهين اسم المسيح)». (فيلبي ٢: ١٢)

يجب أن ننفّذ ونكمل خلاصنا بخوف ورعدة وهذا يبقينا مدركين أن كل فكرة، وكلمة، وفعل، سوف تُستعلن عند الدينونة. هذا الإدراك يبقينا متضعين وحريصين ويقظي الذهن وحساسين وواعين بالإغراءات التي تريدنا أن نعصى الله، كما يبعدنا دائمًا عمّا يغضب الله.

لاحظ أن بولس لا يقول إننا يجب أن نكمل خلاصنا أو نتممه «بالمحبة واللطف». فإن خوف الله هو الذي يمنحنا القوة لكي لا نرتد عن نعمته ونرجع إلى حياة الإثم. فكر في كلمات بولس إلى أهل رومية. كان يناقش كيف أدى ارتداد إسرائيل إلى خلاص الأمم. وقد سمى إسرائيل الأغصان الطبيعية، ومؤمني العهد الجديد من الأمم الأغصان البرية. اسمع ما يقوله الله من خلال هذا الرسول: «حسنًا. من أجل عدم الإيمان قُطِعَتْ وأنت بالإيمان ثبتّ. لا تستكبر بل خَف». (رو ١١: ٢٠).

لاحظ أنه لا يقول: «لا تستكبر بل أحب.» كلا، إنه يشير إلى مخافة الله. لماذا؟ سوف ترى مرة أخرى في الآيتين التاليتين إنها هي التي تمنحنا القوة أن نستمر في محبته:

> لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضًا. فهوذا لطف الله وصرامته. أما الصرامة فعلى الذين سقطوا. وأما اللطف فلك إن ثبتّ في اللطف وإلا فأنت أيضًا ستُقطع. رومية ١١: ٢١ـ٢٢

يجب علينا كمؤمنين أن نفكر في لطف (محبة) الله وصرامته (الدينونة). إذا لم نكن نخاف الله، فسوف لن نستمر في لطفه ويمكن أن نُقطع. أؤكد مرة أخرى على تحذير الله لنا: «فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه». (عب ٤: ١).

إن مخافة الله تحفظنا من أن نخيب بالارتداد. أما محبة الله من الجانب الآخر، فتحفظنا من الناموسية، التي تدمر أيضًا علاقتنا الحميمة مع الله. كما أن محبتنا لله تدعم دوافعنا ونوايانا، وتبقيها في حالة شغف ودقة. يجب أن تكون لنا قوة المحبة والخوف في حياتنا، حتى تكون لنا علاقة سليمة. ولهذا السبب، يسمي بولس الله: «أبّا الآب» (أي بابا)، لكنه يقول أيضًا إن إلهنا «نار آكلة». إنه محبة، لكنه أيضًا ديان عادل وقدوس. وعدم مخافته، يعني نقصان الثبات، وقال يسوع أكثر من مرة: «ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص». (مت ١٠: ٢٢)

تأثيرنا

السبب الحيوي الآخر الذي لأجله يجب أن يكون لنا فهم راسخ للتعاليم البدائية للدينونة والعقاب الأبديين، هو تأثيرنا على الآخرين. إذا كانت تنقصنا مخافة الرب،

فسـوف نوصِل بـالأقوال أو الأفعال إنجيلًا غير متوازن، وسوف يؤدي هذا إلى أن يكون من نؤثر عليهم، عرضة للارتداد، أو حتى للسقوط إلى الأبد.

بـدون هـذا الأسـاس، إن كنـا معلمين للإنجيـل أو واعظيـن أو رعاة، فسـوف نقدم المبـادئ الموجودة في الكتاب المقدس، والمختصـة فقط بكيـف تعيش حياة مباركة، وناجحة وسعيدة. وهذه المبادئ الموجودة في الكتاب المقدس سوف تجدي نفعًا، كما هو المقصـود منها، فتؤدي إلى الصـحة والنجاح المالي والسـلام والعلاقات الأفضل، إلخ. لكن دون أساس الدينونات الأبدية، سوف نحجم عن الوعظ بالصليب، وثمن تبعية يسوع. سوف نعظ فقط بالرسائل التي ترضي المستمعين، ونستبعد النقطة المهمة التي تقول إننا يجب أن نبذل حياتنا، مهما كانت التكلفة.

هنـاك مثـال ممتاز على هذا في الأناجيل. في أحد الأيام أتى شـاب لديه ممتلكات عظيمة إلى يسوع في وسط تلاميذه وسأله: «ماذا أصنع لأرث الحياة الأبدية؟»

كان لـدي في الماضـي تصـور منطقي عن هذه المقابلة بين يسـوع وذلك الشـاب الغنـي. كنت أتصـور رجلًا ينزل من عربته الفارهة من أحـدث موديل، محاطًا بـالخدم، ولابسًا ثيابًا غالية من أحدث طراز، مصنوعة خصيصًا له. يأتي إلى يسوع، ويقف على بعد معين منه، ويضع يديه على خصره ويسأل بنبرة فيها بعض التعالي، عما يحتاج أن يفعلـه لكـي يرث الحياة الأبدية. لكن في أحد الأيام، فتح الله عيني وقرأت: « وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له». (مر ١٠: ١٧).

شـعرت بالصـدمة. ثم تغير تصـوري. فأصبحت أرى يسـوع في وسط عدد كبير من أعضاء فريقه، وجاء واحد، ربما كان من أغنى الرجال في المجتمع راكضًا وسقط عند قدمي يسوع لاهثًا وصارخًا: «ماذا يجب أن أفعل لكي أخلص؟» رأيت الحدة والإخلاص في ذلك الرجل.

بعـد هذا أعطاه يسـوع بعض النقـاط المهمة عن التمسك بكلمـة الله فيما يختص بمعاملـة الآخريـن. قال له: «أنت تعرف الوصـايا. لا تزن. لا تقتل. لا تسـرق. لا تشـهد بالزور. لا تسـلب. أكرم أباك وأمك». (مر ١٠: ١٩). أعطاه السـيد من الوصـية الخامسة وحتى العاشـرة من الوصايا العشر، وهي الوصايا المتعلقة بعلاقة الإنسان بالإنسان،

وحذف الأربعة الأولى، التي تتعلق بعدم وضعنا لأي شيء قبل الله، وتسليم نفوسنا لربوبيته.

وعلى هذا أجاب الشاب الغني قائلًا: «هذه كلها حفظتها منذ حداثتي. فماذا يعوزني بعد؟» (مت١٩: ٢٠). لقد حفظ بالفعل كل مبادئ ووصايا كلمة الله. وأعتقد أن هذا كان هو سبب نجاحه. فإن تطبيق مبادئ كلمة الله سوف تكون له نتائج (انظر يش١: ٨). وهذا صحيح ليس فقط بالنسبة لمن يرتادون الكنائس، بل لمن هم خارج الكنيسة أيضًا. لقد كان هناك الكثير من الأشخاص غير المخلَّصين الذين جنوا فوائد قوانين ومبادئ الله. أتذكر أحد الأشخاص كان مريضًا بمرض قاتل. تقول كلمة الله «القلب الفرحان يطيّب الجسم». (أم١٧: ٢٢). عندما عرف ذلك الشخص هذا، بدأ في اتباع نظام ثابت من مشاهدة فرقة المضحكين الثلاثة. وأضحك نفسه حتى استرد صحته. لقد كان الأمر مجديًا بالنسبة له، مع أنه ربما لم يكن مسيحيًا مؤمنًا. أعرف أشخاصًا غير مسيحيين، يتمتعون بنجاح كبير في أعمالهم، لأنهم يقدمون صدقات كثيرة. إنهم يجنون فوائد قوانين الزرع والحصاد الواضحة جدًا في الكلمة المقدسة.

أطاع ذلك الشاب في الأناجيل مبادئ الكتاب المقدس وكان ناجحًا. إلا أنه من المثير للانتباه أن نلاحظ أنه كان لازال لديه الوعي بأن شيئًا ما ينقصه في حياته. أنا شخصيًا أؤمن أن هذا كان نتيجة استقامته، فهو لم يخدع نفسه. دعا يسوع «المعلم الصالح» وليس «الرب». وأنا أحترمه كثيرًا لأجل هذا، لأن كثيرين اليوم يدعونه ربًا (السيد الأسمى) لكنهم لا يفعلون ما يقوله. تذكر هذه العبارة: «ولماذا تدعونني يا رب يا رب وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟» (لو٦: ٤٦).

الكثيرون ينقصهم هذا الوعي، باحتياجهم للحياة الأبدية اليوم في الكنيسة، لأنهم يخدعون أنفسهم. إنهم يدعون يسوع «ربًا» بينما هم في الحقيقة لازالوا يمتلكون حياتهم. ويوضح الرسول يعقوب هذا قائلًا: «إن كان أحد فيكم يظن أنه ديّن وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه» (يع١: ٢٦). الشخص مخدوع القلب يكون غير متصل بالواقع الروحي.

لكن ذلك الرجل بسبب أمانته، ظل متصلاً بالواقع. ولهذا عرف أنه كانت تنقصه الحياة الأبدية، مع أنه تربى في المجمع، وتعلم مبادئ الله في التعامل

مع الآخرين وأطاعها، وكانت مبادئ كلمة الله مجدية بالنسبة له. والآن اسمع رد يسوع عليه:

> فنظر إليه يسوع وأحبه وقال له: «يعوزك شيء واحد. اذهب بع كل مالك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني حاملًا الصليب.» مرقس ١٠: ٢١

أول نقطة نلاحظها هنا هي أن يسوع أحبه. إذا كنت تحب شخصًا سوف تخبره الحقيقة، ولن تتملقه. الكثيرون من مسئولي المبيعات غير الأتقياء قد يتملقون الناس لكي يعموا بصيرتهم. قد تظن أنهم يحبونك أكثر من أفراد أسرتك، لأنهم يقولون لك ما تريد أن تسمعه، بينما هم في الحقيقة، يحاولون فقط أن يأخذوا منك شيئًا. عندما تحب الآخرين، سوف تطلب منفعتهم، حتى إذا كان هذا مؤلمًا.

هاجم يسوع، بدافع محبته، تلك المنطقة في حياة ذلك الشخص التي كانت تمنعه عن الطاعة غير المشروطة لله، والتي هي ثروته. إن حَمل الصليب لا يتحدث عن التضحية، ولا حتى عن الألم. بل إنه يتحدث عن الطاعة. إذا متنا عن شهواتنا وخططنا وطموحاتنا، فسوف لا نواجه أبدًا صراعًا في طاعة الله. إذا لم نفعل هذا، ففي النهاية سوف نصل إلى الموضع الذي يريد فيه أصدقاؤنا أو جسدنا الذهاب في طريق، بينما يكون توجيه الله هو الذهاب في طريق آخر. إذا لم نكن قد حملنا صليبنا بالفعل، فسوف نذهب في طريقنا ونظل ندعو يسوع ربًا، وهكذا نخدع أنفسنا. كانت المشكلة لدى هذا الرجل هي ثروته، لكنها مع آخرين قد تكون الرياضة، الطعام، الأمان، الموسيقى، إلخ.

لاحظ ما حدث:

> فاغتم على القول ومضى حزينًا لأنه كان ذا أموال كثيرة. مرقس ١٠: ٢٢

يا له من أمر مذهل! هل رأيت هذا؟ لقد أتى ذلك الرجل إلى يسوع راكضًا، وجثا له، وسأله بحرارة عن كيف يرث الحياة الأبدية. كم من المرات رأيت هذا في خدمة ما؟ يا لها من رغبة! يا له من شغف! يا له من حماس! لكن رد يسوع على هذا الطالب جعله يمضي مغتمًا وحزينًا.

هل يمكنك أن تتخيل يسوع وهو يفعل هذا في ثقافة كنائسنا الحالية «التي ترضي المستمعين؟» لقد ظل رجال أعمال مركز العبادة يستهدفون أكثر شخص ثري في المجتمع. فقدموا له كتابًا مقدسًا محفورًا عليه اسمه بالذهب. ووافق على أن يأتي إلى الخدمة. ثم ينهض يسوع ويعلّم ما يتفق مع مخافة الرب، كما فعل في النص السابق. لكن يمضي الرجل مغتمًا وآسفًا على أنه قد جاء، ويقول للرجال في مركز العبادة: «لن أذهب للكنيسة مرة أخرى. لقد عملت جاهدًا لكي أصل إلى ما وصلت إليه. إن لي صيتًا جيدًا في المجتمع، وكنت أمينًا. ماذا يعني بقوله أن أترك الكل وأحمل الصليب؟ هذا أمر متطرف للغاية».

هل يمكنك أن ترى رد فعل رجال الأعمال؟ سوف يعقدون اجتماعًا طارئًا لمجلس الإدارة ويقولون: «يا يسوع، إنك متطرف للغاية! ألا تدرك أننا ظللنا نعمل مع هذا الرجل لمدة ستة شهور؟ لقد كان متحمسًا للمجيء إلى اجتماعنا. كان يريد أن يحصل على الحياة الأبدية، لكن بعدما انتهيتَ من التعليم أصبح لا يريد العودة مرة أخرى! ألم يمكنك فقط أن تؤجل له رسالة الصليب لمدة سنوات قليلة بعد أن يكون قد خلص؟ كل ما كان عليك فعله هو أن تجعله يؤمن بك ويعترف مرددًا صلاة الخلاص، وكان سيصبح مسيحيًا مؤمنًا! إذا ظللت تعظ هكذا، فلن يتبقى لنا أحد في الكنيسة!»

تعتبر الطريقة التي خاطب بها يسوع ذلك الطالب، مناقضة لما أصبحت عليه المسيحية الإنجيلية المعتادة في القرن الحادي والعشرين. هل نحن أفضل من يسوع؟ هل توصلنا إلى خطط لربح النفوس أفضل من السيد نفسه؟ هل فاق إعلاننا إعلانه هو؟ إنني أتكلم بجهل لكي أوضح نقطة مهمة. هل يمكن أن يكون الأمر أننا قد حذفنا جانبًا رئيسيًا من الإنجيل، وبالتالي انزلقنا إلى إنجيل غير متوازن؟ لقد انتزعنا الصليب من الخلاص ولم نقدم سوى فوائده. لاحظ أن يسوع لم يقل للمواطن الواقف أمامه: «كل ما عليك أن تفعله هو أن تؤمن بي، تؤمن أنني المخلص، وسوف تنال ما تطلبه- أي الحياة الأبدية». كلا، إنه لم يفعل ما أصبح شائعًا للغاية اليوم، لأن يسوع كان مطلعًا على الدينونة والعقاب الأبديين: «لذته تكون في مخافة الرب». (إش ١١: ٣).

المنظور الأبدي

إن لم نكن منقادين بالأبدية، فسوف نعيش ونتواصل بالأكثر لكي ننتفع من هذه الحياة، بدلًا من أن نرى الحياة من منظور أبدي. سوف نعلّم الناس أن يعيشوا ليومهم

بدلًا من أن يعيشوا مثلما عاش الآباء الذين كانوا ينتظرون « المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله » (عب ١١: ١٠). أجل، هناك مكافآت في هذه الحياة على طاعة مبادئ الله، وقد علّمناها جيدًا، لكن ليتنا لا ننسى أننا سكان مؤقتون على هذه الأرض. يجب أن ننجح في هذه الحياة، لكن بمقاييس السماء، وليس بمقاييس ثقافتنا. إن بيتنا الحقيقي ليس هنا. اقرأ بعناية دوافع هؤلاء القديسين الذين تخلوا عن هذا العالم لكي يتبعوا الله:

> في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض. فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطنًا. فلو ذكروا ذلك الذي خرجوا منه لكان لهم فرصة للرجوع. ولكن الآن يبتغون وطنًا أفضل أي سماويًا. لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم لأنه أعدّ لهم مدينة.
>
> عبرانيين ١١: ١٣ـ١٦

إن الوطن الذي كان هؤلاء القديسون يبحثون عنه هو مدينة الله، أورشليم الجديدة، التي سوف نوجه انتباهنا إليها في بقية هذا الكتاب. من يعيشون في هذه المدينة يسمون الغالبين. ومكافأتهم سوف تكون بكل تأكيد أفضل من أفضل شيء يمكن أن تقدمه هذه الحياة هنا على الأرض.

الفصل الثامن

مملكة أفابيل - يوم الدينونة ؟

أنا هو الفاحص الكلى (الأفكار والمشاعر والمقاصد) والقلوب (من الداخل) وسأعطي كل واحد منكم [مجازاة ما فعلتموه] بحسب أعماله. رؤيا ٢: ٢٣

هيا نعود إلى قصتنا الرمزية عن مملكة أفابيل لنكتشف ما حل بالأناني وصانعة المعروف. سوف نتعلم جوانب مهمة من دينونة المؤمن، وأحدها هو أنه لن يجازى جميع المؤمنين بالتساوي.

دينونة المؤمن

حدثت هذه الدينونة في الصباح بعد وصول أهل إنديل إلى القاعة العظيمة بوقت قليل. كان هناك حوالي خمسمائة من الإنديليين ينتظرون في قاعة الحياة، يتوقعون بتلهف لقاءهم الأول مع الملك يالين. وجد الأناني وصانعة المعروف أصدقاء قدامى وجددًا، وأثناء عملية التعارف، دخل الحراس الملكيون فجأة إلى القاعة. ثم توقفت كل المحادثات عندما خاطب كبير الحراس المجموعة قائلًا:

«بعد وقت قصير سوف تواجهون الملك. لقد أحبكم دائمًا، واشتاق لهذا اليوم الذي ستتحدون فيه. ومع أنكم لم تقابلوه من قبل، إلا أنه هو قد رآكم. لقد عاين قلوبكم، وميّز ثماركم. وهو يعرف قلوبكم، ودوافعكم، وأفكاركم، ومشاعركم، وأعمالكم أيضًا.

لـم يختفِ عنه أي شـيء أبدًا. اعلمـوا أن دينونته عـادلة. لن يتعرض أحد على الإطلاق للازدراء أو التشويه».

وأكمل كبير الحراس مقدمًا لهم التوجيهات بشـأن الكيفية التي سيتم بها إدخالهم إلـى القاعة العظيمة، وأيضًـا البروتوكول اللازم بمجرد دخولهـم. وبانتهاء تقديم هذه الفكرة العامة، أعلن قائلاً: «أول من سيقف أمام الملك يالين هو الأناني. تقدم للأمام حتى ندخلك إلى القاعة العظيمة».

الأناني ودينونته

فكـر الأناني أنه استُدعي أولًا بسبب موقعه كعمـدة إنديل. وكان واثقًا أنه سـوف يجـازى كثيرًا على قيادته في المنطقة الخارجية للملـك والتي هي إنديل. وتذكر كيف تحدثت تعاليم الكتابات القديمة عن مكافآت من كانوا أمناء في إنديل، ومواقع الحكم التي سيشغلونها في أفابيل. لقد رأى المجتمع وهو يزدهر في فترة حكمه كعمدة والتي استمرت عامين. لذا كان واثقًا أثناء ذهابه لمواجهة الملك.

انفتحت أبواب القاعة العظيمة، وأُدخل الأناني إلى محضـر الملك. غمره الفرح من عظمة هذه القاعة الفخمة. ولاحظ أنها ممتلئة تقريبًا بالتمام. كان كل الحضور واقفين. وتسـاءل الأناني لماذا كانت هناك بعض المقاعد العشـوائية الخالية، لكنه سرعان ما تخلص من هذه الحيرة باستنتاج أن هذا نتيجة أن المواطنين اختاروا أماكنهم بشكل عشوائي.

هنـاك، علـى مسـافة كبيرة، كان عرش يالين. كما لاحظ أيضًـا عروشًـا صـغيرة، افترض أنهـا كانت تخص الحكام الوكلاء ليالين، وكان على حق. خفق قلبه بشـدة، كانت هناك بضـعة مقاعد لا تزال غير مشـغولة. وشـعر بيقين أنه سـوف يُعطى عرشًا خاليًا.

صديق قديم

أثنـاء تقـدم الأناني في السـير، اندهش من التحـول المجيد في مظهـر الإنديليين السـابقين الذين أصـبحوا الآن مواطنين فـي أفابيل. وبعد أن خطا خطـوات قليلة فقط نحـو العرش، تعرف على صـديق قديم في آخـر القاعة. كان اسـمه الاجتماعي. وكان

يمتلك مطعمًا كان الأناني يرتاده. فنظر إلى كبير الحراس وكأنه يسأله إن كان لا بأس من التحدث، فأومأ الحارس بالموافقة.

اقترب الأناني، وتعانق الاثنان. وسأله الأناني: «كيف حالك أيها الاجتماعي؟»

فأجاب الصديق القديم «أنا في خير حال، لكن اسمي لم يعد الاجتماعي، إنه الآن القانع. لقد أعطاني السيد يالين هذا الاسم الجديد تمامًا كما يفعل مع كل خدامه عندما يظهرون أمام عرشه.

«إن أفابيل أروع مما حلمنا به على الإطلاق. هذه القاعة العظيمة ليست سوى مدخل لمناطق الجمال والروعة والفخامة لهذه المدينة المهيبة. ويعتبر الملك أكثر جاذبية ومحبة وجلالًا من أي شخص قابلته أو عرفته من قبل. إنني ممتن للغاية أنني أعرفه وأخدمه. إنه شرف لي أن أكون في مملكته. هذا أفضل من أي شيء عرفناه من قبل. لو كنت أعرف في إنديل ما أعرفه الآن، لكنت عشت حياتي بطريقة مختلفة. كنت سأركز أكثر على إرضاء الملك. كنت سأعيش كمواطن أفضل أثناء إقامتي القصيرة في إنديل. لو كنت فعلت هذا، لكان موضعي الآن أكثر قربًا منه».

فاحتج الأناني قائلًا: «ماذا تعني؟ لقد كنت مواطنًا عظيمًا في إنديل! كنت تدير واحدًا من أفضل المطاعم، وكنت ترعى العديد من مناسبات المجتمع. كنت تساهم كثيرًا بالمال وبالوجبات المجانية في حملات جمع التبرعات. بل إنك كنت تضحي أيضًا بعائد بعض الليالي لأجل هذا!»

فهز القانع رأسه بعدم الموافقة وقال: «لقد كنت أفعل هذه الأشياء لكي أنال التقدير والقبول. كما أنني كنت أعرف أن هذا سيجذب المزيد من الزبائن الدائمين. لم يكن دافعي هو تقديم البركة، بل تأمين نجاحي. كان يجب أن أستمع لكلمات يالين عندما قال: 'إذا صنعت غذاء أو عشاء فلا تدعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضًا فتكون لك مكافأة. بل إذا صنعت ضيافة فادعُ المساكين: الجدع العرج العمي. فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك. لأنك تكافى في قيامة الأبرار.'[١٠] لقد كنت أتبرع بهذه الوجبات لأجل فائدتي، وليس لخير المجتمع. كنت أريد أن أتحرك بين ذوي النفوذ في إنديل».

فتحقق الأناني بصورة أعمق، «لكنك كنت كثيرًا ما تساهم في مدرسة إنديل. ألم يكسبك هذا نعمة في عين يالين؟»

فاعترض القانع قائلاً: «كنت بالفعل أساهم في مدرسة إنديل، لكن ليس بما يتناسب مع نجاح عملي. في الحقيقة كنت أعطي نسبة مئوية ضئيلة فقط. كنت أدخر معظم أرباح المطعم لأنني كنت أخشى السقوط. وصاحب هذا الرغبة في أن أعيش 'حياة جيدة'. كانت نواياي الحقيقية هي أن أحمي نفسي. والقليل الذي كنت أقدمه كان لكي يريح ضميري. كنت ملزمًا أن أفعل هذا، لأن معلمينا كثيرًا ما تحدثوا عن أهمية العطاء للمملكة وللمحتاجين. وانتهى بي الأمر وأنا أعطي بدافع الذنب والإجبار بدلًا من أن أعطي بدافع التحنن والمحبة».

واصل القانع كلامه فقال: «لقد نسيت تعليم يالين عن الأرملة التي أحبت مملكة أفابيل. لقد قال عنها 'أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة. لأن الجميع من فضلتهم ألقوا. وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها'».[٢]

تأمل الأناني في الحفلات ومآدب العشاء التي كان يقيمها الاجتماعي في بيته. لم يكن فيها فقراء ولا حتى من هم أقل حظًا. ثم تذكر الخمسة آلاف دولار التي قدمها لكي يهدئ من خاب أملهم، نتيجة اختياره أن يخصص الأرض للمتجر بدلًا من المدرسة. في ذلك الوقت كان يظنها مبلغًا جيدًا، لكنه الآن يشعر بالحرج من القليل جدًا الذي قدمه. كيف سيكون هذا أمام يالين؟

قاطع القانع أفكاره بتعليق آخر قائلًا: «لو كنت شغوفًا حقًا بيالين وبشعبه، كنت قد أعطيت وقتي، وخدمته في المدرسة. لو يؤدي كل واحد دوره، سوف يخف الحمل، لكن إذا لم يحدث هذا سوف يحمل القليلون هذا الحمل. لو تم تنفيذ تصميم يالين، ما كان أحد سيشعر بزيادة الحمل عليه. القليلون الذي حملوا أحمالًا ثقيلة نالوا مكافآت عظيمة. خلاصة القول هي أن القليل الذي قدمته كان لكي أريح ضميري بسبب نقص التزامي من نحو مملكة يالين.

«عندما تمت مراجعة حياتي، كان واضحًا للجميع أنني عشت لراحتي

وأماني وسمعتي أكثر مما عشت لمجده. والآن أنا واحد من أقل المواطنين في هذه المدينة. وحتى مع هذا فإنني مغمور بصلاحه ومقدار محبته الكبيرة لي. لم أكن أستحق حقًا أي شيء نلته منه، لكن كما ستكتشف بعد قليل، فإن محبته وسخاءه أبعد بكثير من إدراكنا. سأظل مدينًا لمحبته الشديدة طوال حياتي».

شعر الأناني بالصدمة، فصرخ قائلًا: «أقل المواطنين؟ هل تعني أنه يوجد نظام طبقي هنا؟»

فابتسم القانع وقال: «أجل، هناك تقسيمات. وقد تعلمنا هذا في إنديل، مع أن الكثيرين منا لم يفكروا في الأمر بجدية على الإطلاق. لكننا في أعماقنا كنا نعلم هذا. في الحقيقة، لقد فكرت أنت نفسك في هذه الحقيقة عندما دخلت إلى هذه القاعة. لقد سمعت أفكارك. كنت تتوقع أن يخصص لك عرش. لقد كنت تعرف هذا من الكتابات القديمة التي تعلمتها في الفصل الدراسي. مع أنني أشك أنك قد اعترفت بأنك كنت تؤمن بهذا وأنت في إنديل.

«من كانوا أمناء ليالين أثناء إقامتنا القصيرة في إنديل هم القادة والمواطنون الذين يشغلون أكثر المناصب الشيقة في هذا المجتمع. فهم يعيشون في أجمل قسم من المدينة ولهم امتياز التعامل كثيرًا مع الملك. ومن عاشوا منا لأنفسهم أثناء وجودهم في إنديل عُيِّنوا في مناصب في المناطق الخارجية من المدينة. ويظهر هذا في القاعة أيضًا. فمن هم في مؤخرة القاعة هم من يعيشون في الأراضي المسطحة. لقد خصصت لهم الوظائف مكثفة الجهد. لكن على الأقل نحن في المملكة. من يشغلون الأقسام المتوسطة هم الذين بيوتهم في الجبال ولديهم مناصب أكثر إبداعًا، بينما الموجودون في المقدمة وعلى العروش يعيشون في المركز الملكي. وهذا هو المكان الذي يعيش فيه الملك، ولهم امتياز أن يعيشوا ويعملوا بجانبه. هؤلاء هم الأعظم في المملكة».

وختم القانع كلامه قائلاً: «صديقي الأناني، اعلم أن يالين قائد عادل ومحب. أي شيء سيقدمه لك سيكون مكافأة. ما كان لأحد منا أن يعيش حياة كالموجودة حتى في أقل المواضع في هذه المدينة لولاه».

وبعد أن قال القانع هذا، رجع إلى مكانه. ثم أومأ كبير الحراس إلى الأناني أن يواصل تقدمه نحو العرش.

معلم شهير

خطا الأناني خطوات قليلة أخرى ثم لاحظ شخصًا آخر كان يعرفه ويعجب به، وكان اسمه المحفز. كان سابقًا مدرسًا في مدرسة إنديل، وكان الأناني يعتبره رائعًا. كان مثقفًا وفصيحًا وكان دائمًا يلهم الأناني عندما يتكلم. كان هذا الموجِّه المدهش يعلّم بطريقة كان الطلاب يشعرون معها بالرفعة والرضا عن أنفسهم. كان المدرسون الآخرون يجعلونهم يشعرون بالرفعة أيضًا لكنهم كانوا أحيانًا صارمين بعض الشيء وكانت كلماتهم تجلب التبكيت المؤلم. لكن المحفز لم يكن هكذا. فقد كان الطلاب دائمًا يشعرون شعورًا رائعًا عند خروجهم من فصله. في الحقيقة، كان هو المعلم المفضل لدى الأناني.

نظر الأناني مرة أخرى إلى كبير الحراس، طالبًا الإذن بأن يتحدث إلى مدرسه السابق. ومرة أخرى أومأ الحارس بالموافقة. فاقترب الأناني من المحفز وحيا كل منهما الآخر تحية دافئة.

لم يستطع الأناني ألا يسأله: «لماذا أنت موجود هنا في الصفوف الخلفية؟»

«هذا هو موقعي ومكاني. إنني واحد من أقل المواطنين في أفابيل. إنني أعيش في الأراضي المسطحة وأعمل سباكًا».

فصرخ الأناني: «ماذا؟ لقد كنت واحدًا من أروع معلمي يالين! كيف يمكن أن تكون واحدًا من أقل المواطنين؟ كان يجب أن تكون على أحد العروش».

«هناك أسباب عديدة جعلتني لا أتقدم في مستويات هذا الجمع العظيم أو أحكم مع يالين! واختصارًا للوقت، سوف أشاركك فقط بأصل خطئي. هل تذكر كيف يشبِّه كل من سلموا حياتهم ليالين بالبنّائين؟ لقد تعلمنا هذا كله في المدرسة. وأحد أكبر مسئولياتنا في إنديل كانت هي أن نبني حياة الآخرين. وكان هذا يتم من خلال الرسائل التي نوصلها، سواء بالكلام أو بالسلوك أو بأعمالنا. لكنني بصفتي معلمًا،

فقد نلت امتيازًا عظيمًا ومسئولية عظيمة في الوقت ذاته. كنت أعلّم الطلاب مبادئ يالين وطرقه».

«لكنني فشلت كمعلم في جوانب عديدة. أولًا، كانت تعاليمي غير متوازنة. كنت أؤكد على الجوانب الإيجابية فقط لخدمة يالين. كنت أحفز الكثيرين من طلابي أن يسعوا فقط وراء النجاح دون التفكير في الآثار طويلة المدى. لم أكن أعلّمهم أن أصدق هدف في الحياة هو إرضاء يالين. كنت أعلمهم كيف يستخدمون طرقه لكي ينجحوا في الحياة. وبالتالي، فإنني لم أحذرهم قط من مزالق وفخاخ مجتمعنا. لقد قالت الكتابات القديمة بوضوح إنني كان يجب أن أعظ بكل مشورة يالين. وهذا يشمل: 'منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة لكي نحضر كل إنسان كاملًا في يالين.'[٣] كنت أقدم التعليم لكنني أهملت الإنذار. ولأنني كنت معلمًا إيجابيًا فقط، ولم أقدم إنذارات صحية قط، فقد بنيت حياة أشخاص عديدين لم تجلب فرحًا كبيرًا ليالين». وهنا أخفض رأسه. «عدد كبير منهم الآن في الهلاك».

عندما رأى المدرس الصدمة على وجه الأناني، أعاد التأكيد على فكرته قائلًا: «أجل، لقد سقطوا في الهلاك. الكثيرون الآن يسكنون أرض العزلة المهجورة ويرجع هذا جزئيًا إلى تعليمي غير المتوازن. لم أقدم للطلاب ما كانوا يحتاجونه– بل قدمت لهم ما كانوا يريدونه. لم أكن أريد أن أفقد قبولهم أو شعبيتي. وجعلني هذا أبني بشكل غير صحيح. لم أقتلع المناطق الضعيفة والمغلوطة في حياتهم. كنت أغطيها بأفكار لا تفعل شيئًا سوى تحفيز رغباتهم لإرضاء أنفسهم. تذكر التحذير المقدم للمعلمين في الكتابات القديمة: 'من أجل أنهم أضلوا شعبي قائلين «سلام» وليس سلام، وواحد منهم يبني حائطًا وها هم يملطونه بالطفال. فقل للذين يملطونه بالطفال إنه يسقط.'[٤] كثيرون من الطلاب شيدوا حياتهم وحموها بأشياء وقتية، وكنت أعرف في أعماق ضميري أنها حوائط مهلهلة، لكنني لم أحذرهم. كنت أقول إن كل شيء على ما يرام، ولم يكن كذلك. كنت أشجع سلوكهم وأرسخ خداعهم. ومع أن بعضهم وصلوا إلى أفابيل، إلا أنني أحزن على من هم في العزلة. أما بالنسبة لمن وصلوا إلى أفابيل وكانوا يعتنقون فقط التعاليم الإيجابية» – وتلفت وراءه وخفض صوته هامسًا – «فالكثيرون موجودون في هذه الصفوف الخلفية. لقد أهدروا حياتهم والتهمت النار مجهوداتهم أمام كرسي الدينونة هذا».

فتساءل الأناني قائلًا: «احترقت أمام كرسي الدينونة هذا؟» فأجاب المعلم: «أجل. ألا تتذكر الكتابات القديمة؟ 'ولكن إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهبًا فضة حجارة كريمة خشبًا عشبًا قشًا، فعمل كل واحد سيصير ظاهرًا لأن اليوم سيبيّنه. لأنه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. إن بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار.'[٥]

وواصل المعلم الشهير كلامه قائلًا: «إن الأساس الذي تحدث عنه الرسول القديم هو ربوبية يالين، التي نعرف نحن الاثنين أنها هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها لأي شخص أن يدخل إلى هذه المملكة. لكن، بمجرد أن ننتمي إليه حقًا، يكون علينا أن نبني على هذا الأساس. عندما قيست حياتي بمقياس الكتابات القديمة، كانت أقل من توقعاته وفشلت في منطقة تأثيري على من كنت أعلّمهم. لم أستخدم سلطاني للتأثير على هؤلاء الطلاب لأجل أفابيل ولهذا فقدت مكافأتي. تذكر ما قاله المعلم العظيم القديم بولس عن من دُعوا لكي يؤثروا على الآخرين: 'لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا؟ أم لستم أنتم أيضًا أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه؟ لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا'.[٦]

«كنت أعرف جيدًا حقائق يالين عندما بدأت أعلّم، لكنني سمحت لعدم الأمان والرغبة في استحسان الآخرين، وأخيرًا الكبرياء أن تتسلط عليّ. ولم يمضِ وقت طويل حتى شردت عن ما كنت أعرفه. وفي النهاية بدأت أعيش ما كنت أعظ به. وفي انحرافي، أصبحت لا أرى إنذارات يالين في حياتي الشخصية. فانخدعت ولم أكن أعلم. إن النظرة إلى الشعبية والاستحسان هنا مختلفة تمامًا عنها في إنديل. الكثير مما كنا نعتبره عظيمًا هناك يعتبر الأقل هنا».

فسأل الأناني في هدوء: «أيها المحفز، لقد أخبرني صديقي أن يالين يغير أسماءنا. ما هو اسمك الجديد؟»

فابتسم المعلم وقال: «اسمي الخاضع». وبهذا حول رأسه ورجع إلى مكانه. والتفت الأناني إلى كبير الحراس الذي أومأ بالموافقة على أن كل شيء سمعه من الخاضع كان حقيقيًا.

تقدم الأناني نحو العرش. لم يعد واثقًا كما كان عندما استدعوه في البداية. تأمل في حياته. ماذا كانت دوافعه؟ هل كان يحكم لمجد يالين أم بدافع طموحه الأناني؟ كيف كان سلوكه في حياته؟ هل كان متفقًا مع كلمات يالين أم انخدع هو أيضًا؟ هل بنى الآخرين، أم استعملهم لكي يبني نجاحه الخاص؟

أحد الحكام

مر الأناني بالقسم الأوسط من القاعة العظيمة. ولاحظ أن المواطنين كان منظرهم أكثر ملكية، إذا جاز التعبير. كان كل واحد منهم ينظر إليه بمحبة وقبول. وقد استمد الراحة من عيونهم وتعبيرات وجوههم. وقد ساعده هذا كثيرًا لأنه كان يشعر بعدم يقين تجاه نفسه وما كان عتيدًا أن يواجهه.

بدا أن وصول الأناني إلى العرش يستغرق دهرًا. ومع كل خطوة كان يراجع جوانب كثيرة جدًا من سنواته في إنديل. لكنه كان لازال يتحلى بالرجاء أنه ربما يعين حاكمًا مع يالين بسبب نجاحه في منصب العمدة.

تقدم حتى أصبح في وسط الحكام الوكلاء ليالين. لاحظ الثياب الملكية والأكاليل على رؤوسهم. كان كل واحد يمسك صولجانًا. كانوا بحق أكثر المواطنين ملكية في هذه المدينة العظيمة. اندهش من كيف يمكن لأي إنسان أن يبدو مجيدًا هكذا.

لاحظ سكرتيرة سابقة لأحد أعضاء مجلس المدينة. وتسائل الأناني لماذا تجلس على أحد العروش؟ إنها لم تكن ظاهرة أبدًا. كانت قد تخرجت قبله بعام واحد. وهو في الحقيقة لم يعرفها شخصيًا، لأنها كانت ذات طبيعة متحفظة، وكانت من النوع الهادئ بكل تأكيد.

تقدمت للأمام، وتوقف كبير الحراس وانحنى لها. فوجهت تحية للأناني بعناق وابتسامة دافئة وقالت له: «مرحبًا بك في أفابيل أيها الأناني. أنا الصبورة. طلب مني يالين أن أتحدث إليك قبل أن تأتي أمامه. أنا واحدة من الحكام في أفابيل».

فتكلم الأناني بدون تفكير وقال: «حاكمة؟ كيف يمكن أن تكوني حاكمة؟ إنك لم تفعلي أي شيء في إنديل». واحمر خجلًا عندما أدرك كم كانت عبارته غير لائقة وغير حساسة.

فأومأت الصبورة برأسها على أنها تفهم. «لا تشعر بالحرج من عبارتك. لا يمكن أن يختبئ الخداع داخل هذه القاعة أو داخل هذه المدينة العظيمة. أنت فقط صادق. في إنديل، كنت مهتمًا بالصورة والسمعة. وهذا يجعل الكثيرين يتكلمون بالخداع، بينما لا يعون خطأهم. أما هنا، فالكلمات مهمة جدًا، لكن الأهم منها أيضًا، هي الدوافع والنوايا، كما يظهر دائمًا هنا. سوف تتعلم هذا سريعًا، عندما يُحكم عليك في كل كلمة تكلمت بها في إنديل».

فصاح الأناني: «كل كلمة؟ هل تعنين كل كلمة في كل محادثة؟»

فأجابت الصبورة: «أجل، كل كلمة. تذكر عبارة السيد يالين في الكتابات القديمة: 'إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان.'[٧] الكلمات البطالة هي الكلمات الفارغة أو الباطلة أو غير المبالية، وكلها تناقض طبيعة يالين».

فتساءل الأناني قائلًا: «كنت دائمًا أعتقد أننا سوف نعطي حسابًا عن الأكاذيب الكبيرة أو الحقائق العظيمة التي تكلمنا بها، مع الأعمال الحسنة والإنجازات الكبرى التي حققناها». وتأمل للحظة ثم أكمل كلامه: «ما الذي سوف أواجهه؟»

فأجابت الصبورة قائلة: «تقول الكتابات القديمة بوضوح: 'مكافأة يدي الإنسان تُرد له».[٨] لهذا، أجل، لن تُدان فقط على ما فعلته، أو على أعمالك، بل على كل كلمة أيضًا. وهذا يشمل الكلام الشرير والصالح، وحتى الكلام البطّال الذي خرج من فمك. لكن لن تُمتحن أقوالك وأعمالك فقط، بل الدوافع الكامنة وراءها أيضًا. كما سوف تدينك الأفكار التي كنت تعتنقها. لا تنس أن دينونة يالين عادلة، فهو 'فاحص الكلى والقلب'[٩] وهو نفسه قال: 'أنا يالين فاحص القلب مختبر الكلى [الدوافع الخفية] لأعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله.'[١٠] لن يُمتحن كل فعل وكلمة فقط، بل النوايا الكامنة وراءها أيضًا».

وواصلت الصبورة كلامها فقالت: «وهذا هو ما صدمك عندما رأيتني على عرش. فإن حكمك عليّ كان بحسب إنجازاتي في ضوء إنديل. أما حكم يالين فقد كان بشكل مختلف. وهو ما بدأت تراه الآن وسوف تراه بقوة بعد قليل. أخي العزيز، سوف تنال مجازاة عادلة على حياتك في إنديل».

لم يختبر الأناني من قبل مثل هذا النوع من الحقيقة القاسية، ومع هذا فقد غمرته بمحبة لم يعرفها من قبل. الآن أصبح يعلم أن يالين لابد أن يكون حاكمًا محبًا وحنونًا. لقد اختبر للتو مقدارًا من هذا من أحد الحكام الوكلاء. لقد كان تقويمًا مغلفًا بالمحبة. وأدرك أن المحبة لا تتعلق بإسعاد الأخرين – بل إنها الحق.

أدارت الصبورة رأسها وقالت: «ملكك بانتظارك». وبهذه العبارة رجعت إلى عرشها وأومأ كبير الحراس إلى الأناني أن يسير بمفرده إلى العرش. سوف ينتظرون هم في الصفوف المنخفضة، حيث كانت العروش والحكام الوكلاء.

الأناني أمام يالين

صعد الأناني بحرص، كما قيل له، درجات المستوى الذي يسبق العرش المجيد مباشرة. ثم نظر لأعلى وعاين الملك نفسه. لم يكن هناك بين هذه الجماعة بأكملها من يماثل يالين في الوسامة والملكية والجلال. كانت روعته آسرة ومرهبة في الوقت نفسه. لم ير الأناني من قبل أي شخص مثل هذا الرجل. وعرف على الفور أنه لا يوجد من يستطيع أن يقاوم حكمته وقوته.

حدق الأناني في عيني يالين لأول مرة، وأدرك أن الملك كان رقيقًا ومخيفًا أكثر مما تخيل. كانت عيناه تخترقان الأناني وشعر أنه عريان، وكان واضحًا أنه لا يوجد شيء مخفي. فقد الأناني كل ثقة كانت له في الحصول على حكم يرضيه، لكنه لم يعد يهتم. فقد أصبح الآن يرغب في الحقيقة أكثر من أي شيء آخر.

قال يالين: «مرحبًا بك في مملكتي أيها الأناني. لقد اشتقت لهذه اللحظة. أنت حاكم شعبي في إنديل، هل أنت جدير بأن تحكم وتجلس على واحد من هذه العروش في أفابيل؟»

هذا الرجل الذي كان في العادة واثقًا، والذي لم يشعر أبدًا أنه لا يجد كلماته، أصبح الآن لا يقوى على الكلام. لقد كان يشعر قبلًا أنه يستطيع أن يقوم بدور عظيم في القيادة، لكن بعد كل هذه المحادثات، تخيل أن أفكاره كانت غالبًا مضللة.

سأل يالين أحد الحكام الوكلاء الذين كانوا قريبين نسبيًا «كم مواطنًا أثر عليهم الأناني لأجل المملكة؟»

وذُكرت أسماء قليلة. صُدم الأناني ولم ينطق بكلمة على هذا الإعلان.

ثم سأل الملك ذلك الحاكم نفسه: «ما هو عدد المواطنين الذين أثرت عليهم الصبورة لأجل هذه المملكة؟»

فرد الحاكم: «أكثر من خمسة آلاف بقليل يا سيدي».

فانفجر الأناني قائلًا: «كيف يمكن أن يكون هذا؟ كانت مجرد سكرتيرة، وكنت أنا العمدة. كيف يكون عددي قليلًا هكذا ويكون عددها هائلًا هكذا؟»

فأجاب يالين بحزم: «لم أسأل عن عدد الذين أثرت عليهم، بل عن عدد الذين أثرت عليهم لأجل المملكة!»

ثم هدأت نبرته لكنه ظل حاسمًا. «كان لمدرسك السابق، المحفز، الذي أصبح الآن الخاضع، تأثير على حياة الناس أكثر منك. ومع هذا فقد وصل إلى هنا منهم القليلون. ولهذا هو ليس حاكمًا في المدينة. إن التأثير الذي يحتمل كرسي الدينونة هذا هو ما يتفق مع طرقي ومملكتي».

فواصل يالين كلامه قائلًا: «اسمح لي أن أشاركك ببعض الطرق التي أثرت بها الصبورة على أكثر من خمسة آلاف شخص. كانت تعطي المدرسة بسرور، ماليًا ومن خلال الخدمات. ولهذا، فإن كل من انتفعوا من خدمة المدرسة نُسبوا لها».

فاعترض الأناني قائلًا: «لكنني أنا ايضًا أعطيت للمدرسة».

فرد يالين قائلًا: «كانت إسهاماتك دافعها هو إسكات ضميرك أو الحفاظ على سمعتك أو إصلاحها. ولهذا نلت مكافأتك الكاملة في إنديل. أما الصبورة، فقد أعطت بدافع المحبة للمملكة والمحبة للشعب. لقد قادت الصبورة رجلًا اسمه الوحشي إلى

خدمتي، وهو الآن في قاعة الحياة ينتظر دينونته. سوف يعطى اسمًا جديدًا هو الكارز لأنه أصبح موصلًا عظيمًا لطرقي. وهو نفسه أثر على حياة أكثر من ألف شخص لأجل المملكة. كل هؤلاء الناس الذين بنى حياتهم نُسبوا إلى حساب الصبورة لأنها قادته إلى خدمتي ودعمت المدرسة التي دربته».

تذكر الأناني الوحشي من إنديل، والذي بعد تغييره، كان الأناني يرى أنه غيور جدًا في معتقداته. كان كاتبًا مساهمًا في صحيفة الحي، وكثيرًا ما شارك في أعمدته بنقص التزام المواطنين من نحو المملكة. كما أنه كان يحشد الكثير من الإنديليين لكي يتصلوا بأعضاء المجلس ويرسلوا لهم رسائل طالبين دعمهم للتوسعات في المدرسة. وقد أظهر أمام الجميع عدم سعادته عندما رجح الأناني كفة التصويت وأنكر على المدرسة الأرض. ولهذه الأسباب كان الأناني لا يحب الوحشي. والآن يشعر بالحرج إذ أدرك أن كل ما دافع عنه الوحشي كان متفقًا مع تقدم المملكة. كيف كان الأناني أعمى هكذا؟

استمر يالين يبين الطرق الأخرى التي أثرت بها الصبورة على حياة الإنديليين لأجل المملكة. كان هناك الكثير من الأمور الصغيرة التي عندما تجمعت معًا أصبحت شيئًا كبيرًا. كانت تعامل الجميع بلطف من قلب محب ونقي. كانت سخية مع المحتاجين. كانت صارمة في دفاعها الحازم عن الحق. عندما انتهى الملك من الحديث عن الصبورة، راجع حياة الأناني على نطاق واسع. وكما سبقت الصبورة فقالت، فقد تم تقييم كل دافع وكلمة وفعل.

رأى الأناني الخير الذي فعله باسم الملك، لكنه دُهش من مقدار أفعال حياته التي كانت مدفوعة بحماية ذاته وسمعته ودوافعه الأنانية. وعندما اكتملت المراجعة، شعر الأناني عن يقين أنه هالك.

فصرخ أمام الملك قائلًا: «أنا أستحق العقاب لبقية حياتي. أنا أستحق أرض العزلة. لقد أضعت الكثير وأنتجت القليل جدًا في مقابل الوزنات والمسؤوليات التي كانت لدي». كان الألم الذي شعر به الأناني لا يوصف، كانت الدموع تنهمر على وجهه. ذلك الرجل، الذي كان في غاية الثقة قبل أن يدخل القاعة العظيمة، أصبح الآن يتعلق بخيط رفيع. كل ما تبقى لديه هو رجاء الرحمة. لكن حتى هذا لم يكن يعتقد

حقًا أنه يستحقه. فهيأ نفسه متوقعًا أن يسمع الملك وهو ينطق بالحكم عليه بالذهاب إلى أرض العزلة.

وبعد لحظات من الصمت الثقيل، تكلم الملك أخيرًا: «أيها الأناني، إنك خادمي. لقد آمنت بي وخضعت لربوبيتي، حتى وإن كنت قد أضعت الكثير. إنني أحبك وأرحب بك في مملكتي لبقية حياتك».

ذُهل الأناني. فنظر إلى أعلى ثم انفجر في البكاء، ليس من الحزن، وإنما من الفرح الهائل. لقد غمرته رحمة هذا الملك العظيم وصلاحه. وفي جزء من الثانية، اتضح له الكثير مما سمعه عن شخصية يالين. منذ ثوانٍ قليلة فقط، كان يشعر بهلاك وألم لم يكن يتخيل أنه موجود. لم يكن يستحق أي شيء، إلا أن يُطرد - كان يستحق الدينونة، فقد أظهر امتحان حياته ذلك. والآن بأرق وألطف الكلمات التي يمكن تخيلها، سمع هذا الملك المرهب يرحب به في هذه المدينة الجليلة. يا لها من رحمة! يا لها من محبة! يا لها من محبة عجيبة!

شاهد الأناني كل شيء تقريبًا عمله في إنديل يحترق، لكنه مع هذا سمع هذه الكلمات: «أحبك وأرحب بك في مملكتي». فهم أن ما قاله صديقه القانع صحيح. أي شيء سيناله هو أكثر بكثير مما يستحقه.

ثم تكلم الملك مرة أخرى وقال: «أيها الأناني، لن تُعرَف فيما بعد باسمك السابق. ها أنا أعطيك اسمًا جديدًا. في مملكتي سوف تُعرَف باسم البسيط. لقد أعددت لك مكان سكنى في الأراضي المسطحة، وسوف تكون مهنتك هي منسق الحدائق. ومع أنك لن تكون حاكمًا في هذه المدينة، إلا أنك سوف تساعدني في حكم المناطق الخارجية».

فتساءل الأناني: «أحكم معك في المناطق الخارجية؟»

فأجاب يالين: «كل من يعيشون في هذه المدينة هم حكام. فنطاقي يمتد إلى أبعد أركان الكوكب. هناك مدن كثيرة أخرى في مملكتي. ومواطنو هذه المدن الخارجية لم يتدربوا في إنديل كمواطنين لأفابيل، ولم يواجهوا الدينونة. وبالتالي، فهم ليست لهم القدرات السامية التي لمواطني هذه المدينة. ومع أنك لن تكون قائدًا في مدينة أفابيل

نفسـها، إلا أنك سـوف تسـاعدني في إدارة حكمي بوجه عام. وتكليفك المحدد سيكون هـو القيـادة من خلال خدمة وتدريـب كل منسـقي الحدائق في العشـرين مدينة لقارة بينجيلا».

أحنى الأناني رأسه وبكى. لقد كان لطف الملك غامرًا.

سـار الملك نحو مائدة والتقط شـيئًا من عليها، ثم التفت واتجه نحو البسـيط. سـار نزولًا على السهل وقال: «الآن، خذ هذه القطعة من الثمرة وكُلْها».

أخذ البسـيط الثمرة من يد يالين واشـترك فيها. كانت أشـهى ثمـرة تذوقها على الإطـلاق. بدت أنها تجلب الوضـوح إلى ذهنه وقلبه. فاضـت أفـكاره بمحبة عظيمة ورغبة في الخدمة. وبينما كان يأكل، كان يتطهر من ألمه السابق وأفكاره المظلمة. شـعر أنه نشـيط وسـعيد ومملوء بالرجـاء والإيمان. لم يسـتغرق الأمـر طويلًا حتى اسـتنتج أن هذه الثمرة كانت من شـجرة الحياة الشـهيرة، التي تكلم عنها المعلمون في الفصـل. وارتسـمت على وجه البسيط ابتسامة عريضـة، بينما كان يالين يشاهد في استمتاع.

ثم قال يالين: «استدر وواجه عائلتك».

فاسـتدار البسيط بحرص. كان لازال يشـعر بقدر ضئيل من الخزي لأنه كان يعرف أن الجميع قد سـمعوا ورأوا تفاصـيل حياته. عندما اسـتدار بالكامل، ضج الحاضرون بالتصفيق وهتافات الفرح، وعزفت الموسيقى، بل ورقص المواطنون أيضًا. لم يستطع البسـيط أن يصـدق المحبة والقبول اللذين كان يشعر بهما من جانب هؤلاء المواطنين الملكييـن. لقد كان هذا هو الدواء الذي حقق الشـفاء الكامل مـن كل أخطائه في إنديل. الآن أصبح نقيًا بالتمام.

ثم التفت ورأى أكثر ابتسـامة مجيدة وفرحة على وجه يالين، وعندها لاحظ عينيه. كانتا تنظران إلى البسـيط بمحبة ودفء لم يرهما من قبل. والآن أصـبح باسـتطاعته أن يسـمع أفكار يالين، مثلما كانت الصـبورة والآخرين يسـمعون أفكاره. كانت أفكار القبول والمسرّة وتوقع سنوات آتية من النعيم لهذا المواطن الذي أحبه كثيرًا جدًا. سقط

البسيط على ركبتيه وشكر الملك. فأقامه الملك على قدميه وعانقه عناقًا كبيرًا وابتسم مرة أخرى وقال: «مرحبًا يا صديقي».

ثم أوصلوه إلى مكان قرب آخر القاعة لكي ينتظر دينونة رفاقه. كل دمعة مُسحت الآن. لم يعد هناك حزن ولا ألم ولا صراخ. الأشياء العتيقة قد مضت.

صانعة المعروف ودينونتها

مر الصباح وتم استدعاء كل المواطنين من قاعة الحياة باستثناء صانعة المعروف. بقيت وحدها. لم يكن هذا عبئًا، لأن القاعة كانت مليئة بالعديد من الكتب الجميلة التي كتبها مؤلفون من المدينة. كانت تقرأ أخبار الأيام الثانية لأفابيل، ثم أتى كبير الحراس ليناديها. وقال كبير الحراس: «يا صانعة المعروف، إن ملكك بانتظارك».

تسارعت نبضات قلبها من الفرح. الآن سيكون لها امتياز رؤية الشخص الذي اشتاقت أن تراه وتحبه. لقد انتظرت سنوات لأجل هذه اللحظة، والآن جاءتها. ابتسم الحارس مع اقترابها، وساروا كلهم نحو القاعة العظيمة.

بمجرد أن انفتحت أبواب القاعة العظيمة، غمرتها روعة ما رأته. ولكن تركيزها كان على عرش يالين الذي على بعد. عند هذه النقطة كان كل ما استطاعت أن تراه هو حدوده. مرت عيناها على جمهور المواطنين الملكيين لأفابيل. وفكرت في نفسها قائلة: يا لهم من شعب غير عادي. كيف يمكنني أن أدعو هؤلاء معاصرين لي؟

لاحظت أنهم كلهم كانوا ينحنون أثناء مرورها. لماذا ينحني هؤلاء الرجال والنساء الأجلّاء لها؟ كانوا ذوي وسامة وجمال بثياب المجد المتزايد كلما اقتربت من العرش. كانوا وكأنهم أناس فائقون. كيف يمكن لمثل هؤلاء أن ينحنوا، خصوصًا لها؟

تعرفت على العديد من الذين كانت تعرفهم في إنديل. كانت ابتساماتهم مليئة بالحماسة والمحبة لها. كانت تريد أن تتوقف وتعانق كلًا منهم، لكنها شعرت أن الوقت ليس مناسبًا. ولاحظت متحجر القلب ولم تستطع أن تمنع نفسها. فركضت نحوه وعانقته عناقًا كبيرًا. وابتهج الاثنان معًا.

بعد هذا العناق، انحنى متحجر القلب لها وقال: «مرحبًا بك في بيتك الجديد».

فقالت صانعة المعروف: «لماذا تنحني لي يا متحجر القلب؟ أنا لست إلهًا تعبده».

فأجاب المواطن الملكي قائلًا: «هناك فرق بين العبادة والإكرام. السيد وحده هو الذي له العبادة، لكن في هذه المملكة، نحن نكرم من خدمونا حسنًا في إنديل. ونكرم أيضًا من يحكمون بيننا. لم نكن نفهم أهمية الإكرام في إنديل. يا صانعة المعروف، لقد قدمت لي الخدمة في إنديل. ولولا طاعتك للملك، لما كنت هنا أبدًا. كنت سأسكن أرض العزلة المهجورة. إنني أولًا وقبل كل شيء مدين وممتن للملك، لكنني أيضًا ممتن ومدين لك. سوف يسرني أن أخدمك وأكرمك بقية حياتي».

وواصل كلامه قائلًا: «يا صانعة المعروف. لم يعد اسمي متحجر القلب. فقد غير السيد يالين اسمي عند كرسي الدينونة هذا، إلى المُصالَح. أنا الشخص الذي أُظهرت له ما يعتبر أعظم رحمة أمام ملكنا».

فأجابت صانعة المعروف: «المُصالَح، يا له من اسم رائع. صديقي العزيز، أنا لم أساعدك في إنديل حتى تخدمني في المقابل. لقد فعلت هذا لأنني أحببتك، وكنت أهتم بأمر حياتك ومصيرك».

«إن دوافعك هي نفسها السبب الذي يجعلني أكرمك وأخدمك. سوف يكافئك الملك كثيرًا. لقد عملت بدافع المحبة ليالين. لم تساعدي الناس قط لأجل الحصول على تقدير التابعين رفاقك، أو لكي تنالي مكافأة. إن يالين يسر بمن يساعدون الآخرين بمحبته. كان مهمًا جدًا أن نعرف قلبه في إنديل، وليس فقط رؤيته. وقد فعلت الاثنين أيتها الأخت العزيزة، وقد انتقلت دوافع قلبك إليّ. ولهذا مددت يدي بالمساعدة بحماس للكثيرين في أسبوعي الأخير في إنديل. والآن نلت مكافأة كبيرة على عملي، مع أنه كان قصيرًا».

فابتسمت صانعة المعروف. «أيها المُصالَح، أنا سعيدة للغاية لأجلك. سوف أخدمك بقية حياتي».

فأجاب المُصالِح قائلًا: «يا صانعة المعروف، إنك تتكلمين بالفعل مثل شخص عاش في أفابيل لسنوات. إننا نعيش لنخدم بعضنا بعضًا في هذه المدينة العظيمة. في الحقيقة، القادة منا هم أعظم الخدام هنا. لدينا أثقل المسؤوليات، وهذا يسعدنا. إن الأمر يختلف عن إنديل. فالقادة هنا لا يطلبون أن يُخدَموا، بل يفرحون بأن لديهم أعظم الفرص للخدمة. وأعظم فرح لأي مواطن هنا هو أن يخدم أولًا ملكنا، وثانيًا رفاقنا المواطنين، خصوصًا من لمسونا في إنديل، وأخيرًا مواطني المناطق الخارجية الذين سوف تعرفين عنهم سريعًا».

وختم المصالِح كلامه قائلًا: «أختي العزيزة، إنني فخور بك، اذهبي لملكك. إنه يشتاق أن يراك ويكافئك على خدمتك له».

وبهذا، تعانق الاثنان، وانضمت صانعة المعروف مرة أخرى إلى الحراس، وتقدموا نحو العرش.

صانعة المعروف أمام يالين

استطاعت صانعة المعروف الآن أن ترى ملامح يالين بوضوح، إذ كانت على بعد ما يقرب من عشرين مترًا عن العرش. وأثناء مرورها بالحكام، لم تلحظ حتى أنهم ينحنون لها. فقد كانت عينها مثبتة على يالين. كانت مأخوذة بروعته المهيبة.

تسلقت درجات السلم وعند وصولها إلى السهل سقطت ساجدة أمام ملكها. نزل يالين وأقامها على قدميها. وتكلم بمحبة قائلًا: «يا صانعة المعروف، يا خادمتي الغالية، مرحبًا بك في مملكتي. كم اشتقت لهذه اللحظة، أن نتقابل شخصيًا».

فردت صانعة المعروف وقالت: «سيدي، إنني أنا التي اشتقت كثيرًا لهذه اللحظة. أنت ملكي. والآن أتمنى أن أكون في محضرك لبقية حياتي حتى أخدمك بصورة أكمل».

ثم قال الملك: «تعالي رثي الملكوت المعد لك منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتيني. عطشت فسقيتيني. كنت غريبًا فآويتيني. عريانًا فكسيتيني. مريضًا فزرتيني. محبوسًا فأتيت إليّ».

فأجابت صانعة المعروف في اندهاش قائلة: «يا رب متى رأيتك جائعًا فأطعمتك؟ أو عطشانًا فسقيتك؟ ومتى رأيتك غريبًا فآويتك؟ أو عريانًا فكسوتك؟ ومتى رأيتك مريضًا أو محبوسًا فأتيت إليك؟»

فأجاب الملك قائلا: «الحق أقول لكِ بما أنكِ فعلتيه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتِ».[١١]

ثم أظهر يالين لصانعة المعروف أنها قد خدمته بصورة عظيمة من خلال خدمتها لشعبه وطاعتها لقوانينه. تمت مراجعة حياتها في كل كلمة وفعل وفكرة ودافع في قلبها. استُعلن كل شيء: خدمتها، عطاؤها للمدرسة، المحبة التي أظهرتها نحو المواطنين رفاقها، رفضها للاشتراك في الأنشطة والمناقشات الطائشة أو غير اللائقة، الاضطهادات التي واجهتها لأجل محبتها ليالين، تعبها في خدمة الآخرين من خلال المطعم، بحثها عن النفوس الضالة، ساعات الأنين والبكاء على الهالكين، المواقف التي اتخذتها في الالتزام الشديد بقوانين يالين، استبعادها من المناسبات الاجتماعية بسبب غيرتها ليالين، رفضها أن تتكلم على المواطنين الآخرين أو أن تشترك في النميمة، وغير ذلك الكثير.

ذهلت صانعة المعروف من كل الطرق التي أثرت بها على الآخرين. فهي لم تخطط للكثير مما فعلته أو تفكر فيه عن وعي لتمجد يالين. بل كانت فقط تتبع طريقة الحياة التي تعلمتها من الكتابات القديمة.

كانت هناك بعض الأشياء التي عملتها واحترقت. وقد جلبت هذه الأشياء لصانعة المعروف حزنًا وندمًا شديدين على الفرص الضائعة، أو الأخطاء التي ارتكبتها. لكن ما ضاع من عمل حياتها كان نسبة ضئيلة فقط.

مجازاة صانعة المعروف

بعد مراجعة أفكارها وكلماتها وأعمالها النهائية، نظر الملك إلى أحد الحكام الوكلاء وكان يجلس بالقرب منه وسأله: «كم عدد الناس الذين أثرت صانعة المعروف عليهم لأجل مملكتي؟»

فأجاب الحاكم: «٥١٨٣ شخص يا سيدي – أكثر بقليل من سدس تعداد المدينة».

تفاجأت صانعة المعروف بهذا. «كيف يكون العدد كبيرًا هكذا؟»

فرد يالين قائلا: «تذكري أنني وعدت في الكتابات القديمة قائلا: 'يكثر بذاركم وينمي غلات بركم.'[١٢٤] يا صانعة المعروف، إن مملكتي تعمل بمبدأ المضاعفة».

ثم أراها الملك بتفصيل كبير كيف تضاعفت مجهودات طاعتها للتأثير على الجموع، مع أنها لم تكن قائدة في المجتمع. كانت هذه الآثار التي تشبه امتداد الأمواج مذهلة. ثم أضاف يالين قائلا: «'كما هو مكتوب، [من يعمل الخير] فرّق. أعطى المساكين. بره يبقى إلى الأبد.'[١٢٥] إن الحياة الخاضعة لي سوف تنتج تأثيرًا متناثرًا لا يعيه أي مواطن بالكامل، حتى يقف أمام كرسي الدينونة هذا. ولهذا السبب، لم يطع الكثيرون في الأمور الصغيرة، لأنهم رأوها غير مهمة، إلا أنه كثيرًا جدًا ما تكون هذه الأمور التي تبدو غير هامة، هي التي تنتج أعظم حصاد في هذه المملكة. كان المفتاح هو طاعتك، مهما كانت الظروف».

ثم قال يالين: «يا صانعة المعروف، هل ترين العرش الخالي على يسارك، بالقرب مني؟»

فأجابت: «أجل يا سيدي.»

«سوف يكون هذا هو عرشك الذي تجلسين عليه، وسوف تحكمين معي لبقية حياتك».

شعرت صانعة المعروف بذهول تام. «يا رب، أنا لا أستحق أن أحكم. لقد كنت مجرد صاحبة مطعم. هناك الكثيرون جدًا الذين لهم مواهب أكثر مني. كيف يمكنني أن أحكم معك في مثل هذه المملكة الرائعة؟ كان الأناني قائدًا عظيمًا في مجتمعنا. ماذا عنه؟ أرجوك أعطني وظيفة تخدمك أو تخدم شعبك فقط».

فأجاب يالين قائلًا: «إن الأناني في مؤخرة القاعة العظيمة وسوف يكون منسق

حدائق في أقسام مدينتنا المسماة الأراضي المسطحة. كما أنه سوف يخدم منسقي الحدائق في مدن خارجية معينة. لكنك سوف تكونين حاكمة بسبب المحبة التي أظهرتيها لي ولشعبي. لقد ضمن لك صبرك وولاؤك واتضاعك هذا الشرف. ألا تذكرين كلماتي في الكتابات القديمة؟ 'لأن كل من يرفع نفسه يتضع (يأخذ مكانة أقل من الآخرين الذين يُكرَمون أو يكافأون) ومن يضع نفسه (ينظر إلى نفسه نظرة متواضعة ويتصرف بناء على هذا) يرتفع (تعلو مكانته).'[١٤] لن تحكمي معي فقط، بل إنني أعددت لك بيتًا مجيدًا على شاطئ البحر العظيم بالقرب من بيتي في المركز الملكي. أعلم كم تحبين المياه وصوت الأمواج، ولذلك أعطيتك هذه الرغبة وهذه المتعة. إنني أتمم رغبات قلوب كل الخدام الأمناء».

لم تستطع صانعة المعروف أن تنطق ولا بكلمة.

واصل الملك كلامه قائلًا: «سوف تكونين محافظة على عشر مناطق في المدينة. هناك أحد عشر محافظًا آخرون معك يشرفون على إجمالي مائة وعشرين منطقة في مدينة أفابيل. سوف تعملين معي عن قرب مع السبعة والسبعين حاكمًا الآخرين في مدينتنا والذين يجلسون على هذه العروش. يتمتع الحكام الآخرون بسلطانِ حكمي على مجالات مثل التعليم والتصنيع والترفيه والفنون والمجالات الأخرى العديدة. السبعة والسبعون حاكمًا وأبي وأنا هم الذين يخططون الحياة في أفابيل ويتنبأون بها ويشرفون عليها. سوف تكونين واحدة من مستشاريّ الموثوق فيهم وأحد الروابط بين مواطنيّ وبيني.

«لن تحكمي معي في هذه المدينة فقط، بل كما هو الحال مع السبعة والسبعين الآخرين، فسوف تكون لك أيضًا القيادة في مدن النطاق الخارجي. أعطيك مسؤولية عشرين مدينة من قارة بينجيلا. سوف تكونين رئيسة وزراء هذه القارة. كل من يعيشون هناك، ومن يحتلون مواقع قيادية أيضًا، سيخضعون لقيادتك. وأنت لن تخضعي سوى لقيادتي».

وبينما كان يالين يتكلم بهذه الكلمات إلى صاحبة المعروف، وقف البسيط في المؤخرة، مليئًا بالفرح من أجل زميلته في الدراسة. إلا أن هذا كان مختلطًا بشائبة ندم إذ كان يفكر في كيف كانت له الفرصة أن يؤثر على حياة الآلاف لأجل المملكة

لكنـه لـم يفعل هـذا. كان يمكـن أن يكون واحدًا من هـؤلاء الحكام الـوكلاء الذين لهم امتيـاز العمل مع يالين مباشـرة. كان ممتنًا لقبوله في مملكـة أفابيل، لكنه أدرك أنه أهـدر الوقت في فترة إقامته القصـيرة في إنديل، وسـيؤثر هذا علـى بقية حياته التي تستمر لمدة ١٢٥ عامًا.

ثم قال الملك لكبير الحراس: «أحضر لي إكليل الغالبين وصولجان الحكم».

وعندما أخذ يالين الإكليل والصولجان، وضع الإكليل على رأس صانعة المعروف. وقال الملك «أحسـنتِ! إنـك خادمة محل ثقة. لقد كنت أمينة فـي القليل الذي عهدت به إليك، ولذلك سيكون لك سلطان على عشر مناطق وعشرين مدينة مكافأة لك».[١٥]

ثم سلمها الملك الصـولجان وقال: «لن يكون اسمك فيما بعد صـانعة المعروف، لأنني سأعطيك اسمًا جديدًا. سوف تدعين الغالبة العزيزة. لأنني سبق وأخبرت مواطني إنديل قائلًا: 'ومن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسـأعطيه سلطانًا على المناطق والأمم – «فيرعاهم بقضيب من حديد» ... كما أخذت أنا أيضًا من عند أبي».[١٦]

سـار يالين إلى المائدة التي كانت تحوي آخر قطعة من الثمرة. وأحضـرها للغالبة العزيزة وقال: «يا صـديقتي العزيزة، ورفيقتي الحاكمة، يمكنك أن تشـتركي في ثمرة شجرة الحياة».

وإذ أكلـت الغالبـة العزيـزة الثمرة، اختبـرت تطهيرًا قويًا وتنقيـة، تمامًا كما حدث مع الآخرين عندما أكلوا من هذا الطعام الشـهي. فاضت أفكارها بمحبة أعظم، وامتدت رغبتها في الخدمة بمقدار هائل لم تعرفه من قبل. لقد تطهرت من أي ألم سابق، وأفكار مظلمة كانت في إنديل. الكل قد صـار جديدًا. شـعرت بأنها نشيطة وسـعيدة بالتمام، ومملوءة بالرجاء والإيمان. نظرت لأعلى إلى يالين وابتسمت. ثم دون أن تعرف السبب، ضحكا بفرح سويًا. كانت هذه هي بداية حياة عشرة طويلة.

رفعها يالين إلى عرشـه وقال: «أيتها الغالبة العزيزة، اسـتديري وواجهي عائلتك». فاستدارت ولاقت تصفيقًا مثل الرعد في شدته. سادت على الحضور أصوات فرح هائلة ورقص. كان هذا أكثر مما شـهده أي احتفال بدينونة أية شـخص آخر. كان الجو مليئًا

بالابتهاج والاحتفال الحماسي. كانت هناك ابتسامة مشرقة على وجه الغالية العزيزة، وأذهلها انسكاب مثل هذه المحبة. وضع ملكها ذراعه حولها، وأعلن بفرح كبير قائلًا: «نعمًا أيها العبدة الصالحة والأمينة ... ادخلي إلى فرح سيدك».[١٧]

وبهذا تنتهي قصتنا عن الملك العظيم وخدامه ومملكة أفابيل الشهيرة.

كلمة توجيه وتحذير

في هذا الفصل نلنا لمحة عن ما ستبدو عليه دينونة القديسين. لا يمكنني أن أوفي حقيقة أن مجد كرسي المسيح سيكون أعظم بكثير من أي مجد ظهر في هذه القصة حق قدرها. ولكن هذه القصة الرمزية تشرح الكثير من الحقائق التي تنعكس في ملكوت الله. لم يُقصد من تفاصيل هذه القصة أن ترسخ حقائق، بل فقط أن توضح الحق وتوصله. عندما كان يسوع يحكي الأمثال، كنت ترى الأفكار التي يريد أن يوصلها من خلال القصص، ولم تكن تتعثر في التفاصيل الدقيقة التي ليس لها ارتباط حقيقي بالحق الذي كان يوصله. وهكذا، فقد حاولت أن أؤكد بعناية على النقاط المهمة في القصة والتي ترتبط بملكوت المسيح الأبدي. عندما تنتهي من هذا الكتاب، سوف يكون بإمكانك أن تعيد قراءة القصة الرمزية، والأرجح أنك سوف تدرك أعماقًا أعظم من تعاليم الكلمة المقدسة في الفصول السابقة والقادمة.

الفصل التاسع

السماء

أمـا أنـا فبالبـر أنظـر وجهـك. أشـبع إذا اسـتيقظت بشـبهك.　　　　مزمـور ١٧: ١٥

لنناقش الآن مـوت البـار. مثلما يوجد مسكن مؤقت لغير المؤمن، يسمى الهاوية، وبيت أخيـر، يدعـى بحيرة النـار، هكذا يوجد مسكن للمؤمنيـن الذين رحلـوا، والذين سيغيرون مكانهم هم أيضًـا في يوم من الأيام. يشير معظم الناس إلى البيت الحالي بكلمة السـماء، لكنه يشـار إليه روحيًا على أنه أورشليم السماوية. وسوف يُدعى البيت الأخير للأبرار أورشـليم، لكنه سيكون على الأرض. هذه هي المدينة التي سوف تنزل من السماء بعد الدينونة الأخيرة. وتسمى أورشليم الجديدة (رؤ ٢١: ٢).

أورشليم العليا

بـل قـد أتيتـم إلـى جبل صـهيـون وإلـى مـدينـة الله الحـي، أورشـليم السـماوية، وإلـى ربـوات هـم محـفـل مـلائكة، وكنيسـة أبـكار مكتـوبـين فـي السـمـوات، وإلى الله ديـان الجمـيـع، وإلـى أرواح أبـرار مكمّليـن وإلـى وسـيـط العـهـد الجـديـد يسوع.　　　　عبرانيين ١٢: ٢٢ـ٢٤

إن أورشليم السماوية أو أورشـليم العليا (غل ٤: ٢٦) هي مدينة، كما هو مصـور فـي أفـابيل في قصـتنا الرمزية. وهي مبنية علـى جبل يدعى صهيون. يعيش هنـاك الآب والابن، وعدد لا يحصـى من الملائكة. كما تسكن فيها أيضًـا كنيسة البكر، وهو ما يشير بشكل متتالٍ إلى قديسـي العهد القديم ومن رقدوا في المسيح. يسمى يسوع

البكر بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩). ولهذا فإن كنيسة البكر يمكن أن تسمى كنيسة المسيح يسوع.

لاحظ أيضًا أن «أرواح أبرار مكمّلين» موجودة في المدينة أيضًا. من هم هؤلاء الناس بما أنه ذكر بالفعل قديسي العهد القديم والجديد الذين ذهبوا لينالوا مجازاتهم؟ تذكر أننا عندما نولد ثانية بروح الله، نصبح خلائق جديدة، وتصبح أرواحنا مكمّلة على شبه المسيح ونوجد فيه. في هذه الآية لا يشير الكاتب إلى نفوسهم أو أجسادهم، بل إلى أرواحهم فقط. أنا شخصيًا أؤمن أن هذا يشير إلى القديسين الذين هنا على الأرض يخدمون يسوع. فكر في الأمر: يحرضنا كاتب رسالة العبرانيين قائلًا: «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة». (عب ٤: ١٦). يقع عرش النعمة في وسط مدينة الله، وهذه الدعوة مقدمة لنا نحن الذين على الأرض. هل يمكن أن يكون الكثيرون ممن لازالوا يعيشون هنا على الأرض معروفون جيدًا في قاعة العرش، لأنهم يأتون كثيرًا من خلال الصلاة؟

إننا أرواح، لها نفوس (التي هي تفكيرنا وإرادتنا ومشاعرنا)، وتحيا الآن في جسد مادي. قال يسوع إن الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها أن نعبد الله حقًا هي «بالروح والحق» (يو ٤: ٢٤). وأكد بولس على هذا أيضًا عندما قال: «فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي». (رو ١: ٩). وبما أن أرواحنا قد خُلقت على صورة الله ونحن مولودون ثانية، فقد أصبح لنا الآن بدم المسيح وقوة الروح القدس إمكانية الدخول إلى عرش الله في أي وقت يكون لنا فيه احتياج أو رغبة في العبادة.

زيارات إلى السماء

تقع أورشليم العليا حاليًا في مكان يسمى السماء الثالثة. وهو مكان حقيقي، زاره الرسول بولس قبل موته. وكتب يقول:

> إنه لا يوافقني أن أفتخر. فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. أعرف إنسانًا في المسيح قبل أربع عشرة سنة. أفي الجسد لست أعلم، أم خارج الجسد لست أعلم. الله يعلم. اختُطف هذا إلى السماء الثالثة. وأعرف هذا الإنسان، أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم. الله يعلم. أنه اختُطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها.
> ٢ كورنثوس ١٢: ١ ـ ٤

يتفق مفسرو الكتاب المقدس على أن بولس كان يتكلم عن نفسه. في الحقيقة، في ترجمة الحياة الجديدة الإنجليزية، ترد الكلمات هكذا: «اختُطفتُ إلى السماء الثالثة قبل أربع عشرة سنة». لاحظ أن بولس لم يكن يعلم ما إذا كان في جسده أم خارجه. ولا يمكن تفسير هذا سوى بأن السماء مكان حقيقي وواقعي. وأجد أن هناك الكثيرين الذين يظنون أنه منطقة غير مرئية يطفو فيها الناس في الجو مثل الأشباح. كلا، إنها مكان واقعي، وبه شوارع وأشجار وحيوانات وبنايات ومياه، إلخ.

أعرف العديد من الناس الذين ذهبوا إلى السماء ورجعوا مثل بولس، لكن دعني أشاركك بواحد من المفضلين عندي. لدي راعٍ صديق وعظت لديه ثلاث مرات. في أكتوبر عام ١٩٧٩، في أول مساء له في الخدمة، رجع البيت من الاجتماع ووجد زوجته جاثية على سلم بيتهم وتبكي بكاء حارًا. فعرف على الفور أن هناك شيئًا ما خطيرًا. وسرعان ما علم أن ابنه البالغ من العمر عشر سنوات، أخذ جهاز تليفزيون صغير معه إلى دورة المياه ليشاهد مباراة كرة قدم، أثناء الاستحمام. فجذب عن غير قصد، جهاز التليفزيون إلى حوض الاستحمام، وتعرض للصعق بالكهرباء.

عندما وجد صديقي ابنه، لم يكن فيه نبض، وكان جسده باردًا وأزرق، وكانت عيناه متسعتين على آخرهما، مما يشير إلى انعدام النشاط المخي. كان صديقي قد تلقى تدريبات على الإسعاف والإسعافات الأولية أثناء عمله كنائب عمدة في إدارة عمدة مقاطعة لوس أنجيلوس، وشهد العديد من حالات الوفاة. ولو كان قد دخل إلى موقف مشابه لهذا بصفته رجل شرطة، لكان قد أعلن أن الضحية ميت واستدعى المحقق في أسباب الوفاة.

لكنه بعد أن أصبح مؤمنًا، كان يعلم قوة الصلاة. فبدأ يصلي ويقوم بإسعافات إنعاش القلب والرئتين لابنه. وبعد دقائق قليلة وصل رجال الإسعاف، فترك العمل الطبي للخبراء واستمر يصلي. ظلوا هناك لمدة خمس وأربعين دقيقة دون أي نجاح في إعادة ابنه. كانت ماكينة رسم القلب يظهر عليها خط مستوٍ لوقت طويل. ونفذ صبر رجال الإسعاف وهم ينتظرون أن يستسلم هذا الشخص الذي كان في نظرهم متعصبًا.

وأخيرًا صلى صديقي قائلا: «أبي السماوي، لم يتبق لي أي إيمان أكثر من هذا. لقد

نفذ إيماني، لكنني أعلم أنك في كلمتك تتحدث عن إيمان آخر». (كان يشير إلى موهبة الإيمان المذكورة في ١كورنثوس ١٢: ٩).

وقال إنه شعر بشيء مثل يد على رأسه. وبمجرد شعوره بهذا، أحس بقوة وسلطان كبيرين جدًا ينهضان من داخل روحه، وصاح في ابنه قائلًا: «سوف تحيا ولن تموت في اسم يسوع!»

وفجأة بدأ جهاز رسم القلب يصدر أصوات نبضات، وظهرت حركة النبض على الشاشة. قفز المسعفون من الإثارة. وفي الوقت الذي أنزلوا فيه ابن صديقي من أعلى إلى أسفل، كان قد تحول من اللون الأزرق إلى اللون الوردي، وعادت عيناه إلى طبيعتهما بالتمام، وأصبح جسده الآن دافئًا.

شعر صديقي بالفرح الشديد. لقد أصبح ابنه الآن حيًا وسليمًا. كما أصبحت له قصة معجزة عظيمة يحكيها لكل أصدقائه، عن ما فعله الله. لكن ما لم يدركه كان هو أن الحرب على حياة ابنه قد بدأت. قال الأطباء إن الصبي قد دخل في غيبوبة. وبعد الفحص، وجدوا نسيج الكلية خارجًا من القسطرة، مما يعني بلغة العامة أن جسده كان يذوب. أخبروه أن ابنه إذا عاش فسوف يكون بليدًا، وقرروا بعد هذا، أن عمره من حيث الوظائف الاجتماعية، سيكون عمر طفل يبلغ من العمر ثلاثة أشهر، ويكون معدل ذكاؤه هو ١٠٠

واختصارًا للقصة الطويلة، فبعد سبعة شهور من الصلاة ورفض الاستسلام، فجأة خرج الصبي من الغيبوبة. كان والده بجانبه عندما حدث هذا، وراح ينهال بالأسئلة على ابنه، وتلقى إجابات فورية عليها. وعاش ابن صديقي وتخرج من المدرسة الثانوية، ومن جامعة كاليفورنيا، ومن كلية الكتاب المقدس، كل هذا بمرتبة الشرف. بل إنه أصبح أيضًا رئيس اتحاد الطلبة في مدرسته الثانوية. وهو متزوج اليوم ولديه طفلان ويعيش حياة سعيدة.

"بابا، لقد كنت مع يسوع"

بعد خروج الصبي من المستشفى بثلاثة أيام، لاحظ صديقي الراعي أن وجه ابنه كان يلمع. فسأله: «ما الذي يحدث؟»

فأجـاب ابنـه قائـلاً: «بـابا، لقـد كنت مع يسـوع. عندمـا خبط التليفزيـون حوض الاسـتحمام، لم أشعر بأي شيء. جذبني ملاك ضخم من ذراعي الأيمن، وأخذني خارج جسـدي. وطرنا سـويًا عبر نفق، بسـرعة متزايدة مذهلة. لقد تخطينا سـرعة الضوء، ثم هبطنا على أحد شوارع السماء».

واسـتمر يخبر والده بأن الشـوارع لم تكن ذهبية، بل مصنوعة مـن الذهب النقي. كان باسـتطاعته أن يـرى مـن خلالها. هنا على الأرض لا يمكـن تنقية الذهب لدرجة النقـاء الموجودة في السـماء. لكن على الأرض كثيرًا ما يسـتخدم الذهـب في النوافذ ليعطيها لونًا ذهبيًا (مثل الحجاب الواقي على قناعات الوجوه القديمة لرواد الفضاء، وبعض نوافـذ غرف القيادة فـي الطائرات، والمبانـي، إلخ). فالذهب إذًا في صـورته الأنقى شفاف.

وحكـى له الفتـى كيف أن أول من حيوّه في الشـارع، كانوا الأقـارب الذين ماتوا، وذكـر أسـماءهم، وبعضـهم لـم يقابلوه علـى الإطلاق من قبـل، ولا حتـى كان يعرف أسماءهم. لكن أمه وأباه كانا يعرفانهم. كان هنـاك أيضًا بين مجموعة الترحيب سيدة اسـمها فيليس. كانت إحدى الجارات التي صلّت معها أمه لتقبل يسـوع قبل أن يُصعق هو بالكهرباء بشهر. وقد ماتت بعد تجديدها بأسبوعين.

كانوا جميعهم يتحدثون وفجأة سمع حفيفًا، وانقسمت المجموعة التي كانت تحيط به. هنـاك كان يقف يسـوع. أخذ الرب الصـبي في جولة فـي السـماء. كان هنـاك الكثير من الشـوارع والمباني، كانت بالفعل مدينة كبيرة. كانت الورود والأعشـاب بل وحتى الصـخور كلهـا حية وترنم في تناغم. قـال إن الأمر كان يبدو وكأنها تسـبح الله. كان إذا خطا على العشـب أو على إحدى الورود لا تنسـحق، بل تعود على الفور إلى وضـعها السـابق. ولاحـظ أن الألـوان كانت نابضـة بالحياة وبراقـة، أكثر بكثير ممـا رآه على الأرض. بـل إنـه كانت هنـاك ألوان لم يسـبق له أن رآهـا من قبل. كما أنه أيضًـا تمتع بامتياز رؤية بيوت أمه وأبيه وأخويه.

ثـم جاءت المفاجأة: قال يسـوع للصـبي إنـه يجب أن يعود. لم يكـن يريد أن يترك السماء، لكن عندهـا أحضـره يسوع إلى مكان رفع فيه غطاء، واستطاع ابن صديقي أن يرى أبوه يدعوه للعودة. ثم قال يسوع: «إنه أبوك ولديه السلطان أن يستدعيك للعودة».

ومنذ ذلك الوقت، أخبر الصبي أباه ألا يستدعيه للعودة أبدًا مرة أخرى إذا حدث أن مات ثانية – وجدت هذا الجزء ممتعًا عندما شاركني به أبوه. لكن السماء أفضل بكثير من الأرض، وقد وجدت أن من يختبرونها دائمًا يواجهون صعوبة في العودة. صارع بولس أيضًا مع هذا، عندما قال لكنيسة فيلبي: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جدًا». (في ١ : ٢٣). ليس أفضل فقط، بل أفضل جدًا! لقد اختبر المدينة وأراد أن يعود إليها، لكنه اختار أن يبقى لخير الملكوت.

ثم حكى الصبي بعد ذلك لأبيه أنه لم يكن عمره عشر سنوات عندما كان في السماء. فقد كان له جسد رجل بالغ. كثيرون، بما فيهم ابن صديقي، يؤمنون أننا كلنا سيكون عمرنا ثلاثة وثلاثون عامًا عندما نكون في أجسادنا الممجدة، وهو عمر يسوع عندما صُلب، لأن الكتاب المقدس يقول: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهِر نكون مثله». (١ يو ٣: ٢).

هذه مجرد واحدة من القصص الواقعية الكثيرة التي يمكنني المشاركة بها. لكنها تبين مع الكلمة المقدسة حقيقة السماء. سوف يدخل خدام يسوع الأمناء المدينة عندما يغادرون الأرض.

خلاص الروح والنفس والجسد

كما قلت سابقًا، فإن روح الإنسان تصير خليقة جديدة في اللحظة التي يقبل فيها يسوع ربًا له. وتصير في الحال على شبه يسوع. ويؤكد لنا الرسول يوحنا هذا بقوله: «لأنه كما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضًا». (١ يو ٤ : ١٧). كما ترى، فإن يوحنا يخاطب بوضوح هؤلاء المؤمنين الذين هنا على الأرض، وليس من ذهبوا بالفعل إلى مجازاتهم. إن الشخص المولود ثانية بحق من روح الله، يصير مكمَّلًا في الروح، هنا والآن.

بمجرد أن تخلص أرواحنا، تبدأ عملية تخليص نفوسنا التي تتألف، كما هو موضح قبلًا، من أذهاننا وإرادتنا ومشاعرنا. تخلص نفوسنا أو تتغير بكلمة الله وطاعتنا لها. يؤكد الرسول يعقوب هذا بقوله: «إذًا يا إخوتي الأحباء... اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلّص نفوسكم. ولكن كونوا عاملين بالكلمة

لا سامعين فقط خادعين نفوسكم». (يع ١: ١٩، ٢١ ـ ٢٢). مهم أن نلاحظ أن يعقوب يخاطب الإخوة فيما يتعلق بخلاص نفوسهم، وليس غير المؤمنين. وهو يؤكد على الاستماع والطاعة أيضًا.

النفس هي الجزء الوحيد في الإنسان الذي نساعد نحن في تحديد معدل الخلاص فيه. وما نساهم به من خلال الاستماع والطاعة، يزيد بدوره من سرعة العملية، أو على العكس يبطئها. ويعد تغيير نفوسنا هام جدًا بالنسبة لإكمالنا السعي كمؤمنين.

وأخيرًا هناك الجزء الأخير منا الذي يجب أن يخلص، وهو أجسادنا. اقرأ بعناية ما يقوله بولس عن هذا الأمر:

> لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد أبدي. فإننا في هذه أيضًا نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء. وإن كنا لابسين لا نوجد عراة [لأننا لن نكون أرواحًا بدون أجساد، بل سوف نلبس أجسادًا سماوية جديدة]. فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها لكي يبتلع المائت من الحياة [الأبدية]. ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله الذي أعطانا أيضًا عربون الروح. فإذ نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب. لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فنثق ونسرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب.
> ٢ كورنثوس ٥: ١ ـ ٨

إن قراءة هذه الكلمات تعطينا رجاءً عظيمًا بل وتنقي نفوسنا أيضًا. لاحظ أنه لا يذكر فقط حقيقة أننا ستكون لنا أجساد سماوية، بل ويسهب فيها أيضًا. وهو يقول في موضع آخر: «لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت». (١ كو ١٥: ٥٣). لن تكون أجسادنا مختلفة عن جسد يسوع، لأن الكتاب المقدس يقول: «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته». (رو ٦: ٥)، «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله». (١ يو ٣: ٢).

دعنا نتأمل في جسد يسوع بعد قيامته. أية صفة كانت في جسده المادي سوف

تكون لنا، بمجرد أن نختبر خلاص أجسادنا. دعنا نبدأ بما حدث عند القبر في الصباح الذي قام فيه. اكتشفت مريم المجدلية أولًا القبر الفارغ وبكت، ظنًا منها أن جسد الرب قد سُرق.

التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفًا ولم تعلم أنه يسوع. قال لها يسوع: «يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟» فظنت تلك أنه البستاني فقالت له: «يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه». يوحنا ٢٠: ١٤ ـ ١٥

لم يكن يسوع مختلفًا عن أي إنسان عادي، فلم يبدُ مثل كائن فضائي من أفلام الخيال العلمي. وقد تصورت خطأ انه البستاني، أي أنه كان له جسد مشابه جدًا للجسد الذي نمتلكه. لم تتعرف عليه لأنها لم تكن تجرؤ على أن تصدق أنه حي. لقد رأته يُقتل بوحشية، ويُحمل ويُدفن. ولم تستطع أن تصدق أنه كان بالحقيقة هو، إلا عندما تكلم معها بصورة شخصية.

لم يبدُ جسده مختلفًا عن إنسان عادي. لكننا يجب أن نسأل، هل كانت ترى رؤيا لروحه، أم كان له جسد فعليًا؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال بوضوح، عندما ظهر بعد ذلك لتلاميذه. قال: **«فقال لهم: 'ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يديّ ورجليّ أني أنا هو. جسوني وانظروا، فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي'».** (لو ٢٤: ٣٨ ـ ٣٩). كان له لحم وعظام! لكن لاحظ أنه لا يقول شيئًا عن الدم. هذا لأن دمه قد رُش على كرسي رحمة **الله**. والآن ما يسري في عروقه، كما أؤمن، هو مجد **الله**. لهذا فسيكون لنا نحن أيضًا لحم وعظام.

كما أن يسوع استطاع أيضًا أن يأكل طعامًا حقيقيًا: **«وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم: 'أعندكم ههنا طعام؟' فناولوه جزءًا من سمك مشوي وشيئًا من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم».** (لو ٢٤: ٤١ ـ ٤٣).

لم يحدث الأكل في حضور تلاميذه تلك المرة الواحدة فقط، بل هناك مرتان أخريان مذكورتان في الكتاب المقدس. واحدة في بيت رجل معين قابله في الطريق إلى عمواس، والأخرى عندما أعد الإفطار لتلاميذه الأحد عشر عند البحر. ولهذا، فسوف يكون باستطاعتنا أن نأكل في أجسادنا الأبدية.

كان بمقدور يسوع أن يتكلم ويغني ويسير ويمسك الأشياء وغير ذلك، كإنسان عادي، وهو في جسده الممجد، لكنه كان بمقدوره أيضًا، أن يسير عبر الجدران، ويختفي في لحظة! قد تسأل: «لكنه كان له لحم وعظام وكان يسير عبر الجدران؟ ويختفي؟» أجل، انظر ما سجله يوحنا. «ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط». (يو ٢٠: ١٩).

في هذه المقابلة مع خاصته، طلب من توما أن يضع أصابعه في يديه، ويضع يده أيضًا في جنبه. وهكذا نرى مرة أخرى، بكل تأكيد، أنه كان له لحم وعظام. كيف حدث أن ظهر يسوع فجأة في وسطهم، بينما كانت الأبواب مغلقة؟ لقد أتى من خلال الجدار وظهر، كما كان باستطاعته بسهولة أن يختفي، وهو أمر مسجل في الكتاب المقدس أيضًا. بعد كسر الخبز للرجلين اللذين قابلهما في الطريق إلى عمواس، «فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما». (لو ٢٤: ٣١).

نحن أيضًا ستكون لنا القدرة على الاختفاء في أجسادنا المقامة، والظهور مرة أخرى في موقع مختلف. وهذا يفسر كيف سنكون قادرين على أن نسافر لمسافات كبيرة في السماء والأرض الجديدتين. سوف يتحتم علينا فعل هذا لأن مدينة الله طولها وعرضها ١٤٠٠ ميل، هذا بخلاف مسافة السفر إلى المجرات الأخرى. سيكون باستطاعتنا أيضًا أن نطفو في الهواء، تذكر أن يسوع صعد إلى السماء بعد أربعين يومًا من التعامل مع تلاميذه. أحد الأشياء التي حكاها الصبي في قصتنا السابقة لوالده، وأيضًا الآخرون الذين أعرف أنهم ذهبوا إلى السماء، هو أنه يمكنك أن تسير أو تطفو أو تنتقل مباشرة إلى مكان ما. كانت هناك أجزاء في الجولة سار فيها، وأجزاء أخرى كان يحلق فيها ويطفو إلى المواقع.

المُلك الألفي للمسيح

نحتاج إلى أن نحول انتباهنا إلى إعادة تحديد موقع مدينة الله، لكن قبل هذا، دعنا نناقش الأحداث التي سوف تجري قبل ذلك. في نهاية عصر الكنيسة، سيكون هناك ضيقة مدتها سبع سنين. وسوف يستعلن رجل الإثم، ضد المسيح، ويخدع الكثيرين. وسوف يقاوم الله ويرفع نفسه فوق الله. سوف يضطهد القديسين، ويقود أممًا كثيرة إلى ظلمة عظيمة في تمرد على الله.

في تلك الفترة، سوف يأتي الرب لأجل قديسيه. يؤمن البعض أن هذا سيحدث قبل أن تبدأ السنوات السبعة، وآخرون يرون أن هذا سيحدث في منتصفها، وآخرون غيرهم يؤمنون أنه سيحدث في نهايتها. وهذه مسألة لن أناقشها في هذا الكتاب. لكن ما يهم هو هل نحن مستعدون؟ يناقش بولس اختطاف الكنيسة مرات قليلة في العهد الجديد، وأحد النصوص المعنية بهذا هي:

> لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولًا. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام. ١ تسالونيكي ٤: ١٦ ـ ١٨

ليس هذا المجيء الثاني للمسيح، لأنه لن يأتي إلى الأرض، بل سوف يقابل عبيده الأمناء في السحب. يحدث المجيء الثاني في نهاية سبع سنوات الضيقة، إذ يعود يسوع على فرس أبيض، يقود جيوش السماء. وسيكون هناك حشد كبير من قديسيه في هذا العدد (يهوذا ١٤).

سوف يجتمع ضد المسيح، النبي الكذاب وقادة العالم وجيوش الأمم معًا، لمحاربة الرب وجيشه. وسوف يضربهم يسوع بسيفه في معركة مدتها يوم واحد، وسوف تلتهم طيور السماء جثثهم. وتُعرف هذه المعركة باسم هرمجدون، لأنها سوف تحدث في مكان ما في وادي مجدو، الذي يمتد من جبل الكرمل في الجنوب الشرقي إلى أورشليم (رؤ ١٦: ١٦، رؤ ١٩: ١١–٢١).

سوف تكون هناك جموع من الشعوب في كل العالم لم يتمردوا على الرب في هذه المعركة، ولم يقدموا ولاءهم لضد المسيح. يؤمن الكثير من اللاهوتيين أن هؤلاء لن يموتوا وسوف يستمرون في الحياة إلى العصر التالي، والمعروف باسم الملك الألفي للمسيح. سوف يبقون في بلادهم، وسيخضعون لحكم المسيح على العالم. سوف تكون لهم أجساد طبيعية ويظلون يعمّرون الأرض.

لهذا، فإنه في الأساس، سوف يكون هناك نوعان من البشر الذين يسكنون الأرض، من لم يموتوا في معركة هرمجدون، والقديسون الذين يرجعون مع يسوع. سوف يكون

للقديسين أجساد ممجدة على شبه الملك يسوع. ويكونون هم من يحكمون معه على الأرض. ليس صعبًا أن نفهم كيف سيتفاعل النوعان، فلن يختلف هذا عن تعامل يسوع مع أتباعه بعد قيامته. سوف يكون باستطاعة القديسين الممجدين أن يتكلموا ويمشوا ويأكلوا ويتفاعلوا اجتماعيًا مع من هم في الأجساد الطبيعية.

تقول لنا الكلمة المقدسة، إنه سيكون هناك سلام عالمي، بل سلام كوني في الحقيقة، إذ سوف يُربط الشيطان وجنوده لمدة ألف سنة. لن تكون هناك حروب أو تحاملات أو بغضة أو خزي أو جريمة أو مرض وخلافه، نتيجة التحول العظيم إلى الله من قبل كل الأمم. يقول ميخا النبي:

> يكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب. وتسير أمم كثيرة ويقولون: «هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه و نسلك في سبله». لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفًا ولا يتعلمون الحرب في ما بعد. بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرعب لأن فم رب الجنود تكلم. ميخا ٤: ١ ــ ٤

سيكون هناك ازدهار عالمي ونظام مالي آمن، لأن الأمم سوف تلتزم بنواميس الله. سيكون وقتًا عجيبًا!

دينونة العرش الأبيض العظيم

بعد انقضاء الألف سنة، سوف يُحَل الشيطان من سجنه لفترة قصيرة. وسوف يُعطى الإذن بأن يخرج ويضل الأمم. لن يشمل هذا القديسين في أجسادهم الممجدة، بل من هم في الأجساد الطبيعية، الذين لم يموتوا في معركة هرمجدون، أو من ولدوا أثناء الملك الألفي الذين يملأون البلاد

سوف يجتمع المتمردون معًا، ويحيطون بمدينة أورشليم، ليصنعوا حربًا، ثم تنزل نار الله من السماء وتلتهمهم. ويُطرح الشيطان إلى «بحيرة النار والكبريت» ويُعذَّب نهارًا وليلًا، إلى أبد الآبدين. ولا يُحَل ثانية أبدًا (انظر رو٢٠: ٧–١٠).

وسوف يتبع هذا مباشرة عرش الدينونة العظيم الأبدي. سوف تسلم الهاوية الأموات من كل الأجيال، الممتدين من آدم إلى هذه المعركة الأخيرة. كل البشر الذين لم يدخلوا في عهد يهوه في أزمنة العهد القديم أو يخضعوا لربوبية يسوع، بعد هذا سوف يقفون أمام الملك ويعطون حسابًا، تمامًا كما رأينا في دينونة المستقل والمخدوع وضعيفة القلب ومزدوج الحياة في قصتنا الرمزية. كل من لم يكن اسمه مكتوبًا في سفر الحياة سوف يُطرح في بحيرة النار مع إبليس وجنوده إلى أبد الآبدين.

السماء الجديدة والأرض الجديدة

بمجرد أن تتطهر السموات والأرض الموجودة بالنار (انظر ٢بط ٣: ١٠–١٣)، تظهر السماء الجديدة والأرض الجديدة. يقول الرسول يوحنا: «ثم رأيت سماء جديدة وأرضًا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا». (رؤ ٢١: ١).

ثم يصف الرسول يوحنا أورشليم الجديدة النازلة من أعلى لتستقر إلى الأبد على الأرض. ويشار إليها على أنها امرأة الخروف، أو العروس، لأنها ستكون موطن كل مفديي الرب، بدءًا من آدم وحتى من قُبلوا في المجد في مجيئه الثاني. ويعطينا يوحنا وصفًا عامًا لأورشليم الجديدة هذه فيقول:

> وذهب بي بالروح إلى جبل عظيم عالٍ، وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله، لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر، كحجر يشب بلوري. وكان لها سور عظيم وعالٍ وكان لها اثنا عشر بابًا وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكًا... من الشرق ثلاثة أبواب ومن الشمال ثلاثة أبواب ومن الجنوب ثلاثة أبواب ومن الغرب ثلاثة أبواب ... والذي كان يتكلم معي كان معه قصبة من ذهب لكي يقيس المدينة وأبوابها وسورها. والمدينة كانت موضوعة مربعة، طولها بقدر العرض. فقاس المدينة بالقصبة مسافة اثني عشر ألف غلوة. الطول والعرض والارتفاع متساوية. وقاس سورها مئة وأربعًا وأربعين ذراعًا، ذراع إنسان أي الملاك. وكان بناء سورها من يشب، والمدينة ذهب نقي شبه زجاج نقي. وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم ... والاثنا عشر بابًا اثنتا عشرة لؤلؤة، كل واحد من الأبواب كان من لؤلؤة واحدة وسوق المدينة ذهب نقي كزجاج شفاف.
>
> رؤيا ٢١: ١٠–٢١

هذه المدينة أخاذة. إنها واحدة من العجائب التي لم تشهدها أبدًا أية مدينة أرضية.

سوف ينبعث منها الغنى والإشراق والروعة. لن يكون فيها فساد من أي نوع لأنها نقية بالتمام.

ويواصل يوحنا وصفه فيقول:

وأراني [الملاك] نهرًا صافيًا من ماء حياة لامعًا كبلّور خارجًا من عرش الله والخروف. في وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة وتعطي كل شهر ثمرها. وورق الشجرة لشفاء الأمم. ولا تكون لعنة ما في ما بعد. وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه. وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم. ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس لأن الرب الإله ينير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الآبدين. رؤيا ٢٢: ١ ـ ٥

لاحظ أن الكتاب المقدس يعلن بوضوح أننا سوف ننظر وجهه. ما اشتاق موسى إليه ولم يحصل عليه، سوف نعاينه نحن. يا له من أمر رائع ومفرح!

لاحظ أيضًا أن أوراق شجرة الحياة سوف تأتي بالشفاء إلى الأمم. وهذا يثير بعض الأسئلة الشيقة. ممن تتألف هذه الأمم، إن كان القديسون سيسكنون في المدينة؟ من هم القديسون الذين سيملكون إلى أبد الآبدين؟ هل سيكون هناك أناس مولودون طبيعيًا في هذا الوقت أيضًا؟ يجيب إشعياء على هذا.

لأني هأنذا خالق سموات جديدة وأرضًا جديدة فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالق لأني هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها [القديسون المفديون] فرحًا. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ. [الآن يتحول إشعياء إلى الناس الذين خارج أورشليم الجديدة] لا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه. لأن الصبي يموت ابن مئة سنة والخاطئ يُلعن ابن مئة سنة. ويبنون بيوتًا ويسكنون فيها ويغرسون كرومًا ويأكلون أثمارها. لا يبنون وآخر يسكن ولا يغرسون وآخر يأكل. لأنه كأيام شجرة أيام شعبي ويستعمل مختاري عمل أيديهم. لا يتعبون باطلًا ولا يلدون للرعب لأنهم نسل مباركي الرب وذريتهم معهم. ويكون أني قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع. الذئب والحمل يرعيان معا والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها. لا يؤذون ولا يهلكون في كل جبل قدسي قال الرب. إشعياء ٦٥: ١٧ ـ ٢٥

الكثيرون يطبقون هذا الجزء الكتابي خطأ على الملك الألفي للمسيح. إلا أنه يتكلم بوضوح عن العصر الذي ستكون فيه السموات الجديدة والأرض الجديدة. وعندما نفحص ما كتبه كل من الرسول يوحنا وإشعياء، نجد أن هناك أناس سيعيشون خارج المدينة. وهم يبنون بيوتهم في وقت أبدي من السلام والرخاء الكونيين. لا يمكن أن يكون هؤلاء هم القديسون الساكنون في المدينة المقدسة، لأنه سيكون لهم بالفعل منازل أعدها لهم يسوع بنفسه (يو ١٤: ٢-٤).

لاحظ أيضًا أنه سيكون هناك أطفال. وهذا أيضًا لا يمكن أن يشير إلى القديسين الممجَّدين لأن يسوع أوضح أن من هم في الأجساد الممجدة لن يلدوا أطفالًا، لأنهم لا يتزوجون. قال يسوع: «لأنهم في القيامة لا يزوِّجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء». (مت ٢٢: ٣٠). كانت هذه حقيقة أخرى أكدها الصبي الذي صُعق بالكهرباء في جولته في السماء.

سوف تسكن هذه الأمم في الأرض الجديدة، ويغنونها بالزراعة والحصاد والبناء. سوف يتكاثرون ويملأون الأرض ثانية دون عائق، تمامًا كما كان آدم ونسله سيفعلون لو لم يسقط.

كيف يمكن تفسير هذا منطقيًا؟ أحد الاحتمالات، وهو مثير للجدل، هو أن الكلمة المقدسة ترينا أنه بمجرد أن يبدأ الملك الألفي، سوف تمتد الحياة البشرية الطبيعية، لأن عدونا الأخير، الذي هو الموت، سوف يُهزم ويُباد (انظر ١كو ١٥: ٢٦). سيكون يسوع قد أهلك لعنة الموت، الروحي والجسدي. ولذلك يحتمل أن تستطيع البشرية البقاء لفترة الألف سنة. في نهاية الألف سنة، قد يُمنحون هذه العطية إلى الأبد إذا لم يتمردوا على الله عندما يُحَل إبليس زمانًا قليلًا. يقول كاتب المزمور: «من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد». (مز ٤٥: ١٧). هناك طريقة تساعدنا على فهم هذا الاحتمال، وهي أن ننظر إلى هؤلاء الناس على أنهم مثل آدم وحواء قبل السقوط. لم يُخلق آدم للموت، بل ليحيا إلى الأبد. وفُقدت هذه العطية من خلال عصيانه، فجلب لعنة الموت والتحلل على جنسه.

مفديو المسيح فقط، الذين لهم الأجساد الممجدة، هم الذين سيسكنون في أورشليم الجديدة. إلا أنه يبدو من الكلمة المقدسة، أن من هم في الأجساد الطبيعية، سوف يكون

باستطاعتهم أن يعملوا ويشتركوا في الثمار ويعبدوا الرب. ونرى هذا في ما كتبه يوحنا:

> وتمشي شعوب المخلَّصين بنورها [أورشليم الجديدة] وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها. وأبوابها لن تُغلق نهارًا لأن ليلًا لا يكون هناك. ويجيئون بمجد الأمم وكرامتهم إليها. رؤيا ٢١: ٢٤ـ٢٦

في البدء، سقط الإنسان في إغراء الخطية. وكانت العقوبة الموت، الجسدي والروحي، مما أدى إلى الموت الأبدي. لكن السقوط لم يمنع الله عن خطته الأبدية الأصلية للإنسان على الأرض. هل يمكن أن يختبر الله في النهاية فشلا في تصميمه بسبب عصيان الإنسان؟ كلا. بل قد حول الله هزيمة الإنسان إلى بركة، بأن جمع من بين البشرية الساقطة أناسًا سمائيين ممجدين من خلال فداء المسيح الذي سوف يملك حتمًا على البشرية في الأرض الجديدة. وهذا يساعد على فهم كلمات يسوع للوكيل الأمين: « **نعمًا أيها العبد الصالح. لأنك كنت أمينًا في القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن** ». (لو ١٩ :١٧). هل يمكن أن تكون هذه مدنًا في الملك الألفي والحقبة الأبدية للأرض الجديدة؟

لو لم يحدث السقوط، لما كان سيصبح لدى الله طبقة ممجدة من الناس يساعدونه في إدارة وحكم شؤون الأرض والكون إلى أبد الآبدين. لكنه سبق فرأى هذا في حكمته الأبدية، ولهذا السبب يشار إلى يسوع على أنه « **الخروف الذي ذبح** ». (رؤ ١٣ :٨)، وقد وردت في إحدى الترجمات الإنجليزية «الخروف الذي ذبح منذ تأسيس العالم».

بمجرد أن تبدأ الألف سنة وحتى الحقبة الأبدية للأرض الجديدة، سوف يتمم قصد الله الأصلي، والذي هو ملء هذه الأرض بالأناس الطبيعيين الذي يحيون إلى الأبد. سوف تتحقق كلمات يسوع بالتمام: « **ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض** ». (مت ٦: ١٠). سيكون على الأرض كما شهد ابن صديقي الراعي في السماء. ألوان جديدة جميلة، زروعات وصخور حية تسبح الله، معمار مثالي، مياه حية، إلخ. عالم كامل حقًا!

يختم إشعياء سفره النبوي معلقًا على عصر الأرض الجديدة هذا قائلًا:

«لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي يقول الرب هكذا يثبت نسلكم واسمكم. ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذي جسد يأتي ليسجد أمامي قال الرب. ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا عليّ لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ. ويكونون رذالة لكل ذي جسد». إشعياء ٦٦: ٢٢ ـ ٢٤

إنه أمر واقعي، ولكن سوف يكون باستطاعتنا طوال الأبدية أن نذهب إلى مكان معين خارج المدينة ونرى المصير المرعب لإبليس، وملائكته، والبشر الذين تمردوا على الرب. ربما تكون هذه حكمة الله في أن يبقي أمام كل الخليقة العواقب المريعة للخطية والعصيان. فكر في الأمر: سقط إبليس في التمرد دون أن يكون هناك من يغويه، وإذا أبقى الله هذا أمام خليقته بأكملها طوال الأبدية، فسوف يكون هذا مانعًا قويًا من السقوط في الخطية البشعة التي سقط فيها زهرة بنت الصبح وملائكته.

ما يلي

كما ذكرت من قبل، فإن القديسين الممجدين سوف يعيشون في مدينة الله، أورشليم الجديدة. سوف ينالون مكافآت ومناصب أبدية لخدمة الملك الأبدي، قبل الألف سنة عند كرسي المسيح، وهو ما سنتعمق فيه في الفصل التالي.

الفصل العاشر

كرسي المسيح

وأما أنت فلماذا تدين أخاك؟ أو أنت أيضًا لماذا تزدري بأخيك؟ لأننا جميعًا سوف نقف أمام كرسي المسيح ... فإذًا كل واحد منا سيعطي عن نفسه حسابًا لله. رومية ١٤: ١٠، ١٢

«لأننا جميعًا سوف نقف أمام كرسي المسيح». من الذين يشير إليهم بولس؟ هل هم مؤمنون أم غير مؤمنين؟ عندما نفحص هذه النصوص الكتابية في سياقها، نجد أنه لا يوجد فيها سوء فهم: إنهم المؤمنون. إنه يتناول خطورة إدانة المسيحي المؤمن، أو إظهار الازدراء لأحد الإخوة، ومن يفعلون هذا، سوف يعطون حسابًا عنه. ولهذا فإن غير المؤمنين لن يكونوا هم فقط الذين يقفون أمام الله للدينونة، كما رأينا في الفصول السابقة، بل سوف يقف كل المؤمنين أيضًا أمام عرش الله ليعطوا حسابًا عن حياتهم هنا على الأرض. كما يؤكد بولس هذا الأمر أيضًا في رسالته إلى كورنثوس، وهو ما سبق وناقشناه في الفصل السابق:

فنثق ونُسرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب. لذلك نحترس أيضًا مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده. لأنه لا بد أننا جميعًا نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا. فإذ نحن عالمون مخافة الرب نقنع الناس. ٢ كورنثوس ٥: ٨ـ ١١

يتضح مرة أخرى أن بولس لا يتحدث عن دينونة الخطاة، بل المسيحيين المؤمنين.

وعبارته «فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب» لا تدع مجالًا للشك في هوية من يخاطبهم. لا يمكن لغير المؤمن أن يستوطن عند الرب عندما يترك جسده، فموطنه الأبدي هو بحيرة النار.

وكما قلت قبلًا، فإن الأشرار سوف يقفون أمام الدينونة التي عُرفت باسم دينونة العرش العظيم الأبيض، والتي ستحدث بعد دينونة المؤمنين المشار إليها في النص الكتابي السابق بفترة طويلة. دعنا نراجع سريعًا ما لاحظناه في الفصل السابق. سوف يعود يسوع إلى هذه الأرض بجيوش السماء، ويهزم ضد المسيح، ويلقي بإبليس في السجن، ثم يؤسس ملكه في أورشليم لمدة ألف سنة. بعد هذا، يُحل إبليس من الحفرة التي لا قاع لها، ويُسمح له بأن يخدع أمم العالم كله لوقت قصير. ثم تأتي نار من السماء فتلتهم المتمردين، ويُطرح الشيطان إلى بحيرة النار إلى الأبد. بعد هذا يُقام كل الأشرار وغير المؤمنين من الهاوية ليقفوا أمام العرش العظيم الأبيض. ويشير يسوع إلى هذه القيامة بأنها قيامة الدينونة (يو ٥: ٢٩). كل من لا توجد أسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة سوف يُطرحون إلى بحيرة النار.

من الناحية الأخرى، تحدث دينونة المؤمنين قبل دينونة العرش العظيم الأبيض بوقت طويل. لا توضح الكلمة المقدسة توقيت هذا، إلا أننا نعلم أنها ستحدث في وقت ما بعد اختطاف الكنيسة في السحب وقبل أن يبدأ الملك الألفي للمسيح. فهناك إذًا حوالي ألف سنة تفصل ما بين الدينونتين الرئيسيتين. وهذه إحدى النقاط التي لا تعكسها قصتنا الرمزية عن أفابيل.

«**لأنه لا بد أننا جميعًا نُظهر أمام كرسي المسيح**» (٢كو ٥: ١٠). الكلمة المترجمة إلى كرسي في رسالة رومية وكورنثوس، مأخوذة من الكلمة اليونانية المفردة bema. ويعرِّف فهرس سترونج هذه الكلمة على أنها: «درجة سلم، منبر (منصة عالية)، أي كرسي قضاء (محكمة عدل)».[١] ويقول تفسير اتحاد جمعيات الكتاب المقدس «كان كرسي الدينونة هو منصة القضاء في محكمة المدينة في الإمبراطورية الرومانية. يستخدم بولس هذا التصوير ليشير إلى عمل المسيح في الحكم والدينونة».[٢] وبناء على هذا، فسوف نشير إلى دينونة المؤمن باسم كرسي المسيح.

يعتبر كرسي المسيح بصورة حرفية هو المنصة الإلهية لقضاء الله. تقول الكلمة

المقدســة إن الآب قــد أعطــى كل الدينونــة للابن (يو ٥: ٢٢). فيسـوع المســيح ليس مخلصــنـا فقط، بل إنه قاضـينا أيضًــا، وسرعـان مـا سـيدين بيته. وتعد أبسط طريقة لتعريــف كلمــة الدينونة الأصــلية هـي، أن نقــول إنها قرار نـاتج عن فحص، لصــالح الشخص أو ضده.

هنـاك العديد من الأفراد في الكنيسة الذين لا يدركون أنهم سوف يعطون حسابًا عن مـا فعلوه في فترة إقامتهم القصيرة على الأرض. الكثيرون لديهم فكرة مغلوطة، تقول إن كل الدينونـة المسـتقبلية تُمحى بـالخلاص الذي حصــلوا عليه. صحيح أن دم يسوع يطهرنـا من الخطايا التي كـانت سـتمنعنا عن الملكوت، إلا أنه لا يعفينـا من الحكم على الكيفية التي سلكنا بها كمؤمنين، سواء كانت خيرًا أم شرًا.

قرارات أبدية

إن الأحكام أو القرارات التي تُصــدر علينا عند كرســي المســيح ســوف تكون أبدية، أي أنهــا سـتبقى إلى الأبد، لن تتبـدل أو تتغير. توقف لحظة وتأمل في منـاقشــاتنا في الفصــل الأول، عندمـا حـاولنـا أن نفهم الأبدية بعقولنا. يقول يعقوب إن حيـاتنا المؤقتة علـى الأرضــ هـي بخـار يظهر قليلًا ثم يضــمحل (يــع ٤: ١٤). وهذه طريقة تصــويرية لمقـارنـة الحيـاة التي تمتد لثمانين إلى مائة عام في مقابل الأبدية. ولو كانت له العلوم الحسابية التي لدينـا اليوم، كـان يمكن أن يكون أدق في تصويره. وبما أنني كنت أدرس الرياضـيات في الجـامعة، فقد تعلمت من بداية تعليمي أن أي شــيء يتم قسمته على مـا لا نهاية يساوي صفرًا.

٨٠ عـامًا ÷ مـا لا نهاية (الأبدية) = صفر

أو

١٠٠ عـامًا ÷ مـا لا نهاية = صفر

أي رقم محدود تتم قســمته على مـا لا نهاية أو مقارنته بها يســاوي صــفرًا. لا يهم طــول حيـاتــك على الأرضــ. حتى إذا اســتطعت أن تحيا لتبلغ ١٥٠ عـامًــا، فإن حياتنـا على الأرض هـي صــفر بالمقـارنـة بالأبدية. وهذا يعني بالنسـبة لنا كمؤمنين بيســوع المســيح، أن كل مـا نفعله هنـا في نـافذة الزمن التي تسـاوي صــفرًا، ســوف يحدد كيف نقضــي الأبدية. تذكر أن مـا يحدد أين سنقضــي الأبدية هو موقفنا تجـاه صـليب يسوع

ونعمتــه المخلِّصــة، لكن ما يحدد كيف سنحيا إلى الأبد في ملكوته هــو الطريقة التي عشنا بها هنا كمؤمنين.

هــل تذكر في قصــتنا الرمزية كيف ندم الأناني والآخــرون الذين قابلهم في الأجزاء الخلفية من القاعة العظيمة على الكيفية التي أضــاعوا بها وقتهم القصير في إنديل؟ لقد أنفقــوا جــزءًا كبيرًا من ســنواتهم الخمس في إنديــل لأجل رغباتهم ومنفعتهم الخاصــة، بدلًا من أن ينفقوه في تســليم أنفســهم بالكامل إلى مشــيئة يالين. فواجهوا بقية حياتهم فــي العيش في مســتوى أقل بكثير مما كان يمكن أن يعيشــوه، لأن كل واحد منهم كانت لــه إمكانية العمل والحياة بالقرب من يالين، بل وحتــى المُلك بجانبه في المدينة. ربما يكونون قد اســتمتعوا، أو لم يســتمتعوا، بوقتهم القصــير بعد التخرج من المدرســة، لكن أيًــا كان ما حدث، فقد تحدد مســتقبلهم الآن. وعلى مدار المائــة والثلاثين عامًا القادمة سوف يكون أسلوب حياتهم نتيجة مباشرة للكيفية التي عاشوا بها هذه السنوات الخمس القصــيرة. فكر في هــذا: ١٣٠ عامًا في مقابل ٥ أعوام. إنها وقــت طويل جدًا. قليلون من الناس هم الذين يعيشــون مــا يقرب حتى من هذه المــدة هنا على الأرض. لو كانوا قد فكروا في هذا قبل انتهاء وقتهم في إنديل، لكان الأرجح أنهم سيعيشون بطريقة مختلفة.

وبالرغــم مــن أن الدرس المأخوذ من هذه القصــة الرمزية واقعــي، إلا أنه لا يقترب حتى من مقارنته بما نناقشــه. لذلك دعنا نحاول اتباع سيناريو آخر. حاول أن تتخيل هــذا: أُعطيت يومًا واحدًا، وعرفت أن الكيفية التي ستقضــي بها هذه الأربع والعشــرين ســاعة ســوف تحــدد الكيفية التي ستقضــي بها الألف ســنة القادمة. حــاول أن تتخيل مدة ألف ســنة. ســتعود بنا إلى ما قبل نشأة الولايات المتحدة الأمريكية، قبل أن يشرع كريستوفر كولمبوس في الإبحار ليكتشف العالم الجديد، قبل حتى أن ينتصر النورمان في إنجلترا. إن ألف ســنة هي مدة طويلة جدًا. وســوف تتحدد المكافآت والمنصب الذي ستشــغله، والمــكان الذي ســتعيش فيه، وكل شــيء آخر لمــدة ألف ســنة بالكيفية التي ستقضــي بها هذا اليوم الواحد. هل تعتقد أنك ســتفعل أقصــى ما بوســعك؟ هل ســتحيا بطريقة مختلفة عن الطريقة التي تحيا بها الآن؟ هل ســتكون طاعة السيد لها الأولوية المطلقة؟ هل ســترغب في التأثير على حياة الناس لأجل الملكوت؟ هل ستعامل الناس بطريقــة مختلفــة؟ لا نهايــة لهذه الأسئلة. ومع هذا، فإن هــذا لا شــيء بالمقارنة بما نناقشــه هنا، لأن يومًا واحدًا بالقسمة على ٣٦٥ ألف يوم (ما يعادل ألف ســنة) ليس صفرًا بعد.

دعنا نتعمق أكثر. لنقل إن الطريقة التي ستقضــي بها هذا اليوم الواحد سوف تحدد كيف ستقضــي المليون ســنة القادمة! حــاول أن تتخيل هذا الكم مــن الوقت. لقد عاش الإنسان على الأرض حوالي ستة آلاف سنة فقط. فهذا إذًا سيكون أكثر من ١٥٠ ضعف لما عاشه الإنسان على الأرض. وهذا في حد ذاته لا يمكن استيعابه. ومع هذا، فإنه هو أيضًا لا شيء بالمقارنة بما نناقشه، لأن قسمة اليوم الواحد على ٣٦٥ مليون يومًا (ما يعادل مليون سنة) ليس صفرًا بعد. ولهذا فليس هناك فرق أن نقول بليون أو تريليون سنة، فستظل تحصل على عدد محدود عند مقارنته بيوم واحد.

لهذا فلا يهم طول المدة التي نعيشها على هــذه الأرض، فإن وقتنا هنا بالمقارنة بالأبدية هو بالضبط صفر. هل يمكن أن يكون هذا هو السبب الذي جعل الرسول بولس يخبرنا بضرورة أن نعيش بالطريقة التي ننال بها أقصــى مكافأة ممكنة. في رسالته إلى أهل كورنثوس نجده يخبرنا، أن ليس كل من يتنافس في الألعاب الرياضية يربح، ثم يقول لنا جميعًا:

> ... هكــذا اركضــوا لكــي تنالــوا. وكل من يجاهد يضــبط نفســه في كل شــيء. أمــا أولئك فلكــي يأخــذوا إكليلًا يفنى وأمــا نحن فإكليلًا لا يفنــى. إذًا أنا أركض هكــذا كأنه ليس عن غيــر يقين. هكذا أضــارب كأني لا أضــرب الهواء. بل أقمع جســدي وأســتعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضًا. ١ كورنثوس ٩: ٢٤ ـ ٢٧

يجــب أن نركضــ في هــذه الحياة حتى نربــح. ولكي نربح، يجــب أن ننمي الالتزام وضــبط النفس، ونعيش لأجل قصــد معيــن. إننا لا ننافس الآخرين، بل أنفســنا فقط، وهدفنــا هــو أن نكون مرضــيين عند يسوع في كل ما نفعلــه (٢كو ٥: ٩). اقــرأ الكتب المقدسة بعناية، واكتشف ما الذي يريده الرب في الطريقة التي نعامل بها الناس، وما الــذي نســعى وراءه، وما الذي نعطي وقتنا له، وكيف نؤثر علــى النفوس لأجل الأبدية، وكيف نعطي لملكوته وللآخرين، وهل نسامح الآخرين، إلخ. وسوف نناقش هذا بتعمق أكبر لاحقًا. خلاصة القول: عش لكي تربح!

تنوع كبير من المكافآت

تريننــا الكلمة المقدســة أن المكافــآت الأبدية والمواقع التي ســتُعطى للمؤمنين لن تختلف فحســب، بل وســوف تتفاوت بدرجة كبيرة. ســوف تتراوح ما بين خســارة كل

شـيء، ورؤيته وهو ويحترق وحتى المُلك بجوار المسـيح طـوال الأبدية (١كو ٣: ١٥، رؤ ٣: ٢١).

الكثيـرون يجفلون عندما يسـمعون كلمتيْ يخسـر و يحترق فيمـا يتعلق بحياتـهم. إذ يصـعب عليهم أن يصـدقوا أن هذا يمكن أن يحدث في السـماء. لكن الكلمة المقدسـة تخبرنـا بهذا بكل وضوح. وقبل أن أشاركك بـالآيـات، دعني قبل هذا، أشرح أنه في مرات كثيرة في الكتـاب المقدس يُستخدم تشبيه البنـاء لتمثيل حياة الفرد، وفي أوقـات أخرى تتحدث الكلمة المقدسـة عن الكنيسة على أنها بنـاء أو هيكل واحد. في هذه التشبيهات، نكـون نحـن البنّـائين من حيث الكيفية التي نؤثر بـها علـى حياتنا أو حياة الآخرين أو الكنيسـة ككل. في الحقيقة، سوف أشير إلى هذا التشبيه كثيرًا في الجزء البـاقي من هذا الكتـاب. يقول بولس بوضـوح:

> أنتـم ... بنـاء الله ... ولكـن فلينظـر كل واحـد كيـف يبني عليـه. فإنـه لا يسـتطيع أحد أن يضـع أساسًـا آخـر غير الذي وضـع الـذي هو يسـوع المسـيح. ولكـن إن كان أحـد يبني علـى هذا الأسـاس ذهبًا فضـة حجـارة كريمة خشـبًا عشـبًا قشًـا، فعمل كل واحد سيصـير ظاهـرًا لأن اليـوم سـيبيّنه. لأنـه بنـار يُسـتعلن وسـتمتحن النار عمـل كل واحد ما هـو. إن بقـي عمـل أحـد قد بنـاه عليـه فسـيأخذ أجـرة. إن احتـرق عمـل أحـد فسيخسـر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار. ١ كورنثوسـ ٣: ٩ ــ ١٥

إننـا نحـن الذين نحدد كيف سـنبني، وأمامنا اختياران كبيران فـي بنائنا في كل لحظة من حياتنا. الاختيار الأول هو الانجذاب نحو ما هو وقتي، أي ما يرضـي الجسد (خشـب عشب قش). الاختيار الآخر هو أن نحيا بما يتوافق مع رغبات روحنا المولودة ثانيـة، أي مـع كلمة الله (ذهب فضـة حجارة كريمة). والكيفية التـي نبني بها أو نحيا بها حياتنا، هي التي ستحدد كيف سيكون حالنا عندما تفحص نار حضوره عملنا.

لـن تُفحص أعمالنا فقـط، بل أفكارنـا ودوافعنا ونوايانا أيضًـا. وهذا هو السـبب الحيـوي الـذي لأجلـه يجب على المؤمنيـن أن يصـغوا بعناية إلى كلمـة الله، وينتبهوا إليهـا، ويخبئوها في قلوبهم، لأنها بـاستمرار: «خارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصـل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته». (عب ٤: ١٢). لا يمكن لشـيء آخر أن يصـل إلى أعماق قلوبنا مثل كلمة الله.

إذا أصغينا إلى تفكير البشر أو منطقهم أو حكمتهم، فسوف ننجذب في أفكارنا ودوافع قلوبنا نحو ما هو وقتي، وغالبًا سوف نفعل هذا عن غير وعي، تمامًا كما كان الأناني قبل أن يأتي إلى قاعة الدينونة. ولهذا السبب يحذرنا يسوع قائلًا:

لأنه ليس خفي لا يظهر ولا مكتوم لا يعلم ويعلن. فانظروا كيف تسمعون. لأن من له سيُعطى. ومن ليس له فالذي يظنه له يؤخذ منه. لوقا ٨: ١٧ ـ ١٨

يقول لنا يسوع، إن ما نسمعه أو ننتبه إليه، هو الذي يغوص في قلوبنا، ويشكّل أفكارنا ومقاصدنا الداخلية، وهو بدوره ما يحدد كيف نبني حياتنا. يجب أن ننتبه كثيرًا إلى كلمة الله، لأنها نور لسبيلنا. وبدونها سوف نشرد بالتأكيد، تمامًا كما يشرد أي شخص عن الطريق في الليلة المظلمة. قد تظل على الطريق الصحيح لفترة قصيرة بالصدفة، لكنك في النهاية سوف تضل بعيدًا عن الطريق. وبمجرد أن نشرد، يسهل أن يصير بناؤنا مدفوعًا بما هو وقتي، ولن يُكشف هذا، إلا عندما تشرق كلمة الله عليه. يؤكد بولس على هذا بالقول: « **ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور. لأن كل ما أُظهر فهو نور** ». (أف ٥: ١٣)

إذا ضللنا، يمكن أن يحدث شيئان. الشيء الأول، وهو الأفضل بين الاثنين، هو أننا عندما نسمع كلمة الله، إما في الوعظ أو في قراءتنا لها أو عندما يتحدث بها صديق، تبكتنا الكلمة في ضمائرنا. ولهذا يجب علينا أن يكون لنا نظام مستمر من التعرض لكلمة الله. إذا كنا حكماء، فسوف نسرع في التوبة وطلب الغفران على أفكارنا أو دوافعنا أو نوايانا. لكن، إذا كان ضميرنا متبلدًا نتيجة تكرار الخطأ، سيكون الاستماع أصعب، وإذا كان ضميرنا متقسيًا، يصبح مستحيلًا عمليًا. ولهذا السبب تتحدث الكلمة المقدسة عن أهمية أن نحفظ ضمائرنا طاهرة (أم ٤: ٢٣ ، ٢تي ١: ٣). إذا حمينا ضميرنا وحافظنا عليه نقيًا، يمكننا بسهولة أن نشعر بتعاملات الكلمة الحية في قلوبنا.

الأمر الثاني، وهو غير المحبب، هو أن تُكشف دوافعنا أمام كرسي الدينونة. إذا حدث هذا، فسوف نخسر المكافأة التي كان يمكن أن ننالها. لهذا يجب أن تتساءل، هل الأمر يستحق مقاومة كلمة الله؟ كل مرة تفعل فيها هذا، يتقسى قلبك أكثر وينخدع بصورة أكبر. فلا ندرك حالتنا، وتُكشف هذه الحالة بنور مجده أمام كرسي الدينونة.

الاستعداد لمستقبلنا الأبدي

لن تترك دينونة حياتنا شيئًا ناقصًا، كل شيء سوف يصير منظورًا وواضحًا. ولهذا يشير بولس إلى كرسي المسيح على أنه: «مخافة الرب». سوف يكون تحقيقًا شاملاً لدوافعنا ونوايانا وأفكارنا وكلماتنا وأفعالنا، إلخ. وردت كلمات بولس في ١كورنثوس ٣: ٩، ١٢–١٥ في ترجمة الرسالة الإنجليزية بصورة قوية فيما يختص بالبناء والدينونة:

أو أقولها بطريقة أخرى، فإنكم بيت الله ... اعتنوا اعتناء خاصًا بانتقاء مواد بنائكم. في النهاية سيكون هناك تفتيش. إذا استخدمتم مواد رخيصة أو ذات مستوى أقل، فسوف تنكشفون. سيكون التفتيش شاملًا ودقيقًا. لن تخرجوا بأي شيء. إذا اجتاز عملكم التفتيش، فهذا حسن. إذا لم ينجح في ذلك، فسوف ينهدم الجزء الذي بنيتموه في المبنى، ويبدأ من جديد. لكنكم أنتم لن تنهدموا، سوف تظلون أحياء – لكن بالكاد.

لا أعلم إن كنت توافقني أم لا، لكنني لا أريد أن أظل حيًا بالكاد بعد دينونة كرسي المسيح. إننا نتحدث عن مصيرنا الأبدي هنا. هل يمكنك أن تتخيل مقدار الصدمة التي سيشعر بها الكثيرون؟ في قصتنا الرمزية، تفاجأت كل الشخصيات بالكامل، مما واجهوه، فيما عدا الشخص الذي كان مستعدًا، وهي صانعة المعروف. إنهم لم يأخذوا التعاليم البدائية على محمل الجد، وهي ما كان يجب أن يكونوا واعين بها من البداية.

أرى باستمرار حكماء هذا العالم يستعدون لمستقبلهم. يبدأ الأمر بالاجتهاد في المدرسة، لفتح الباب أمام مهنة جيدة. وبمجرد أن يبدأوا في مهنتهم، يعملون باجتهاد لشراء منزل حتى يزيدوا من قيمة ممتلكاتهم. كما يتبعون أيضًا نوعًا من أنظمة الادخار. البعض يأخذون المال الفائض لديهم ويستثمرونه حتى يعمل لصالحهم. كل هذا يحدث استعدادًا منهم لمستقبلهم، فهم لا يريدون أن يوجدوا ناقصين، خصوصًا عندما يصلون إلى سنوات التقاعد. لو كان استعداد هؤلاء الذين نتحدث عنهم لسنوات تقاعدهم يشبه استعداد الكثيرين للأبدية، لما كانوا سيتعرضون لمشكلة كبيرة فحسب، بل كانوا سيقلقون أيضًا ويخافون، بعكس الكثيرين في الكنيسة.

يدرك الحكماء في الملكوت أننا لا نعمل لنوفر مستقبلاً في «سنوات التقاعد». أحيانًا ما أصارع مع هذه الفكرة – أين التقاعد في حياة المؤمن؟ لا تسع فهمي، فأنا

لا أتحدث عن التخطيط المالي الحكيم لسنوات قادمة، فهذا أمر كتابي. لكن بصدق يجب أن نخطط ماليًا لكي نفرِّغ أنفسنا لخدمة الملكوت. لقد قابلت العديد من الرجال والنساء الذين تقاعدوا من وظائفهم، وهم فرحون الآن بأن لديهم القدرة على أن يعطوا حياتهم بالكامل في خدمة كنائسهم، أو ذهبوا إلى حقول الإرساليات.

رجوعًا إلى النقطة التي كنا نناقشها، فإن الحكماء الذين أتحدث عنهم، هم من يخططون مستقبلهم الأبدي، فيحيون ولهم هدف، ويعرفون أن مصيرهم الأبدي يُكتب بالكيفية التي يعيشون بها على الأرض. سوف يقدم لهم هذا دخولًا بسعة ، أي ترحيبًا كبيرًا، في ملكوت الله، بدلًا من أن ينزلقوا داخله بعد أن يحترق كل ما عملوه ويُدمر. انظر ما يقوله بطرس في هذا الخصوص:

> **لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين. لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلّوا أبدًا. لأنه هكذا يُقدَّم لكم بسعة دخول [ترحيب كبير] إلى ملكوت ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح الأبدي.** ٢بطرس ١: ١٠ــ١١

الدخول بسعة هو أن نسمع السيد يقول لنا: « **نعمًا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك**». (مت ٢٥: ٢١).

قبل بضعة شهور، أعطاني الرب رؤيا. رأيت أبطال الملكوت يأتون سائرين إلى مدينة الله. كانوا يمشون في موكب احتفالي عبر شوارع الذهب، وحشود الرجال والنساء يهللون على الأرصفة. كان الملك يسوع مرتفعًا على منصة، وكان منظورًا للمدينة كلها. وكان الجنود الأمناء يصعدون على درجات السلم حاملين ليسوع غنائمه، بينما كانت الجموع تهتف. في الرؤيا كان الرب وكأنه يقول لهؤلاء المحاربين: «نعمًا».

ثم تكلم الرب إلى قلبي. «هل تريد أن تكون واحدًا من هؤلاء الجنود الذين يأتون بالثمر الذي حصدوه لأجلي، أم تريد أن تكون واحدًا من هؤلاء الذين على الأرصفة يهللون؟» فعزمت أكثر من ذي قبل أن أجعل دعوتي واختياري ثابتين. كنت مصممًا في أنني أريد أن أرى ابتسامة السرور على وجه ربي عندما يراجع حياتي، وليست ابتسامة الحزن، عالمًا أن الإمكانية التي أعطاها لي قد ضاعت. كما أنني مصمم أيضًا على أن أجعل هذا معروفًا لجميع من يحبونه في جيلي، حتى يسيرون هم أيضًا

معي إلى محضره العظيم، بغنائمه المستحَقة، ويرون ابتسامة السرور هذه التي طالما انتظروها. إننا نحن الذين نحدد من خلال خدمتنا هنا، ما إذا كنا سننال ترحيبًا كبيرًا أم لا. وهذا هو السبب الرئيسي للفصول القادمة.

الفصول القادمة

سوف تحوي الفصول القادمة مناقشات حول المناطق الرئيسية التي سندان عليها ونكافأ عليها. ومع أن المساحة المتاحة لن تسمح بتغطية الكل بتوسع، إلا أننا سوف نتناول بعض الموضوعات الأهم. سوف نضع أساسًا جيدًا، يمكنك أن تبني عليه المزيد لتجعل حياتك مؤثرة إلى الأبد.

في الختام، اقرأ ببطء كلمات بطرس (من ترجمة الرسالة الإنجليزية) واسمح لها أن تتحدث إليك فيما يختص بكل ما قرأته في هذا الفصل. سوف ترى الكلمات والعبارات المفتاحية التي ستجعل ما قلناه أكثر حيوية. كما أن كلماته سوف تجهزنا أيضًا لما سوف نناقشه بعد قليل في الفصول القادمة:

> كل ما يختص بالحياة التي تسر الله قد أُعطي لنا بطريقة معجزية من خلال معرفتنا بصورة شخصية وحميمة، بذلك الذي دعانا إلى الله ... لهذا لا تضيعوا دقيقة واحدة في البناء على ما أُعطي لكم، وتكملة إيمانكم الأساسي بالفضيلة، والفهم الروحي، والانضباط الحذر، والصبر بشغف، والتعجب الخاشع، والمودة الدافئة، والمحبة السخية، بحيث يتناسب كل بُعد مع الآخرين وينميهم. وعندما تكون هذه الصفات فعالة ونامية في حياتكم، لن تضيعوا الوقت في التأجيل، ولن يمر يوم بدون مكافأته إذ تنضجون في اختباركم لسيدنا يسوع ... لهذا يا أصدقائي، أكدوا دعوة الله لكم، واختياره لكم. لا تؤجلوا الأمر، بل افعلوه الآن. افعلوا هذا، وسوف تكون حياتكم على أساس راسخ، وستكون الشوارع ممهدة والطريق مفتوحة على آخرها إلى الملكوت الأبدي لسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح. لأن المخاطر كبيرة، حتى وإن كنتم مطلعون على كل هذا الحق وتمارسونه في الداخل والخارج، لن أضيع دقيقة واحدة لا أنبهكم فيها لهذا. هذا هو التكليف الذي كُلفتُ به - أن أجعلكم متنبهين بتذكيرات متكررة- وأنا ملتزم بهذا طالما حييت. ٢ بطرس ١: ٣، ٥-٨، ١٠-١٣

الفصل الحادي عشر

بيت الله الخاص

لأن هبـات الله وَدعوتـه هـي بـلا ندامـة. رومية ١١: ٢٩

سـوف نقسـم دينونـة المؤمن إلى قسـمين رئيسـيين. الأول، هو اشـتراكنا في بناء ملكوت الله بما يتفق مع دعواتنا ومواهبنا. والثاني، هو كيف بنينا حياة الأفراد، وهو ما يشـتمل بالتأكيد على حياتنا نحن أيضًا. فيما يتعلق ببناء الآخر، كيف تعاوننا مع نعمة الله في تنمية الشخصـية المتمثلة بالمسيح. وسيكون هذا بالتأكيد ناتجًا طبيعيًا للكيفية التي تجاوبنا بها مع كلمته، وما آمنا به، وطاعتنا لها. سوف تُمتحن أفعالنا وأعمالنا وكلماتنا وأفكارنا ودوافعنا كلها في كل الأحوال. سوف ننظر أولًا في الحكم على دورنا في بناء ملكوته، ثم سوف نناقش لاحقًا حياتنا الشخصية.

«ما الذي يمكنك أن تفعله لأجلي؟»

تعتمد قدرتنا على أن نبني الملكوت بصورة كاملة على طاعتنا للروح القدس، لأنه لا يمكننا أن نفعل شيئًا له قيمة أبدية، ما لم يكن هذا بنعمة يسـوع المسـيح. فالكتاب المقدس يقول لنا: «إن لـم يبنِ الرب البيت فباطلًا يتعب البناؤون». (مز ١٢٧: ١). نسـتطيع أن نبني بالانفصـال عن روح الله، ومع هذا يكون عملنا بلا قيمة في ضـوء الأبدية. سوف يحترق عند كرسي المسيح. لابد أن نفهم هذا جيدًا.

قال الله لمجموعة من الناس في العهد القديم، الذين كانوا منشغلين بخدمة أنفسهم:

السموات كرسي والأرض موطئ قدمي. أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي؟ وكل هذه صنعتها يدي فكانت كل هذه يقول الرب. وإلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي. إشعياء ٦٦: ١ ـ ٢

يقول الرب ببساطة: «أنا الله. هل تدركون بالتمام من أكون حقًا؟ ما الذي تظنون إذًا أنكم تستطيعون أن تفعلوه لي؟» يمكن تشبيه هذا بمجموعة من النمل تقول لإنسان: «سوف نبني لك بيتًا.» يا له من أمر سخيف! لا يمكننا بقوتنا الذاتية أن نفعل أي شيء نخدم ونرضي به إلهنا الجليل المرهب الذي لا يُستقصى. إنه حقًا لا يحتاج إلينا.

من الناحية الأخرى، فإن الله يكشف بعد هذا مَن هم الذين يمكنهم أن يرضوه وينفعوه، إنهم المتضعون والتائبون ومن يخافون الله ويطيعونه. هؤلاء هم الذين يستطيعون أن يبنوا بيته. كيف يمكنهم أن ينفعوا مثل هذا الإله المرهب؟ «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود». (زك٤: ٦). إن الإنسان الذي يتعاون في طاعة الروح القدس، هو الذي يحقق هذه النتائج. عندها فقط لا يكون تعب العاملين باطلًا.

عاملون معه

إليك حقيقة مذهلة. مع أن الرب الإله جليل ومرهب بهذا القدر، إلا أنه باختياره، وضع حدودًا لنفسه في ما يفعله على الأرض عندما أعطى الإنسان السلطان في البداية. ويؤدي هذا إلى حقيقة أن الله يمكن أن يُحَد. قد يصدمك هذا الأمر، لكن توجد أمثلة على هذا عبر الكتاب المقدس. قيل عن أبناء إبراهيم إنهم: «عنّوا [حدّوا] قدوس إسرائيل». (مز٧٨: ٤١). وفي موضع آخر قال يسوع للقادة الروحيين في أمته: «مبطلين [سلطان] كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموه. وأمورًا كثيرة مثل هذه تفعلون». (مر٧: ١٣). إننا مسؤولون أن نتعاون معه، لكي نتمم هدفه المرغوب فيه، والذي هو في الأساس، أن يكون هناك شعب على صورة يسوع ومثاله، يمكنه أن يسكن فيهم طوال الأبدية. ولهذا السبب نسمى نحن العاملين مع الله.

فإننا نحن عاملان مع الله (ننشر معه، نعمل معًا) وأنتم فلاحة الله. [أنتم] بناء الله. ١ كورنثوس ٣: ٩

كل مرة تقريبًا في العهد الجديد تسمع إشارة إلى العمل الأبدي في الملكوت، سوف

تـراه مشـبهًا بـالعمل فـي حقـل أو فـي بنـاء. لمـاذا الحقل؟ لأن الأرض هـي الحقل الذي يحـدث فيـه حـاليًا نمـو ملكوت الله. والسـماء كلها تهلـل عندمـا ترى القديسـين يبنون الملكوت على الأرض.

لمـاذا البنـاء؟ لأن الله يبحث عن مسكن دائم، ونحن الحجـارة الحية التي تكوّن مكـان سكنـاه. يقول بطرس: «كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجارة حية بيتًا روحيًا». (١بط ٢: ٥). لهذا فإن السبب الأساسي في وجودنـا هنـا على الأرض، هو أن نبني هيكله أو بيته المجيد، سواء كـان هـذا يعني جعل الآخرين يخلصـون، أو تعليمهم أو خدمتهم، إلخ. إن علينـا دورًا أن نكون حجرًا حيًا نقيًا، وأيضًـا أن نبني الآخرين، بحيث تتركب الحجـارة الحية وتتصـل معًـا لتكوّن بيتًـا مجيدًا لله. ومن هنـا تـأتي المسـؤولية الشخصـية ومسـؤولية الملكوت التي سوف نعطي جميعنـا عنهـا حسابًا.

البيت المصمم خصيصًا

إذا كنت سـأبني بيتًـا خاصـاً لشخص معين، فسوف أصـمم وأخطط بنـاء البيت قبل بدايـة أية أعمـال. سـوف يتم إعداد الرسـومات وكيفية تجميع المنـزل والمواد اللازمة. لكـن ليـس هذا هو كل شـيء، فـكل بنّـاء للبيـوت يعلم أن أحـد أكثر الأجـزاء حيوية في وظيفته، هو تنظيم عمل المقـاولين الفرعيين في الأوقـات الصـحيحة. هؤلاء المقـاولون هم الفلاحون، وعمـال الأسـمنت، والسـباكون، وعمـال البـلاط، والكهربـائيون، وغيرهم الكثيـر والكثيـر. وهم من يقومون بعمل تشـييد البيت فعليًا. وإذا لـم يتم تنظيم عملهم جيدًا، فستكون النتيجة الحتمية هي الفوضى.

إذا قـام أحد المقـاولين الفرعيين بعمل سيئ، أو لم يلتزم بـالموعد المحدد له، فسوف يسـتدعي البنّـاء شخصًـا آخر يمكنه القيـام بـالمهمة. سيكون على هذا العـامل الجديد أن يأتـي للعمـل بعد أن يتـم إخطاره على الفور، وربمـا يكون عليـه أن يهدم العمل الرديء الـذي قـام بـه المقـاول الفرعي السـابق. وبـالرغم من أن المقـاول الفرعي قد يفقد عمله المكلف به، إلا أن البنّـاء سوف يحرص على أن يكتمل العمل.

كمـا لاحظت أيضًا، أنه عندمـا يعمل البنّـاء في بيته الخـاص به، يكون حريصًـا أكثر في اختيـار المقـاولين الفرعيين. فيحرص على أن يكون لديهم أفضـل المواد، وأي شـيء آخر يطلبونه للقيـام بـالعمل على الوجه الصحيح. كمـا سوف يشرف على العمل بـاهتمـام كبير.

الله هـو البنّـاء لبيتـه الخاص، لكـن بيته هو مدينـة مكونة من أناس! وقد سـماها صهيون. يقول الكتاب المقدس: «لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنًا له: 'هذه هي راحتي. إلى الأبد ههنا أسكن لأني اشتهيتها'». (مز ١٣٢: ١٣ ـ ١٤). إذا كان لك امتياز تصميم بيت الأحلام الخاص بك، فأنت تعرف مقدار الفرح والتوقع الذي تشعر به تجاه إكماله. فإنك تشتهي أن تستريح فيه، لأنه سيكون المكان الذي ستجد فيه الفرح والسلام. وصهيون كذلك بالنسبة للآب، وهو ينتظر اكتمالها. في مواضع أخرى في الكتاب المقدس يقول: «إذا بنى الرب صهيون يرى بمجده» (مز ١٠٢: ١٦)، وأيضًا: «من صهيون كمال الجمال الله أشرق». (مز ٥٠: ٢).

لقد ظل يعمل في بيته لبضعة آلاف من السنين. فقد وضع الخطة قبل أن يوضع الإنسان على الأرض. وكان يعلم في علمه الكامل أن الإنسان سوف يسقط، مع أنه لم يكن هذا هو تصميمه أو فعله. ولهذا فمن علمه السابق خطط أن يبني صهيون للبشر المفديين.

كان عليه أن يبدأ بوضع الأساس وحجر الزاوية الرئيسي، الذي ليس سوى الفادي نفسه، يسوع. «هأنذا أؤسس في صهيون حجرًا، حجر امتحان، حجر زاوية كريمًا، أساسًا مؤسسًا». (إش ٢٨: ١٦). وبما أن الآب قد صمم وخطط بيته قبل الخليقة، لذلك يسمى يسوع: «الخروف الذي ذبح [منذ تأسيس العالم]». (رؤ ١٣: ٨)، ويقول بطرس عن المسيح: «معروفًا سابقًا قبل تأسيس العالم». (١ بط ١: ٢٠).

المسيح ليس هو فقط الأساس وحجر الزاوية الرئيسي، بل إنه هو أيضًا كبير المقاولين الفرعيين. لم يهمل يسوع في تكليفه. ففي صلاته قال للآب قبل صلبه مباشرة هذه الكلمات: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته». (يو ١٧: ٤).

بدأ الله الآب التصميم كله بوضع يسوع في الوقت المعين (غل ٤: ٤)، ثم وضع بعد ذلك أوقاتًا لكل المقاولين الفرعيين. إلا أنهم لن يكونوا المقاولين الفرعيين فقط، بل سيكونون أيضًا مواد بناء بيته. وهؤلاء المقاولون هم أنت وأنا. «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١: ٤) يتحدث هذا عن كوننا مواد بناء البيت، نحن الحجارة الحية.

لكنه أيضًا اختارنا كمقاولين فرعيين، لأننا نجد مرة أخرى في الكتاب

المقدس هذه الكلمات: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠). لاحظ أنه قد أعد مهامنا التي نُكلَّف بها مسبقًا. لم يرد في أي موضع في الكتاب المقدس أن تكليفاتنا تُعطى لنا منذ تأسيس العالم، مع أن هذا ممكن بكل تأكيد، لكننا نعلم أن «الأعمال قد أُكملت منذ تأسيس العالم.» (عب ٤: ٣). إلا أنه فيما يتعلق بتكليفاتنا الشخصية كمقاولين فرعيين، فإن الشيء الوحيد الذي نجده مكتوبًا هو أننا أُعطينا هذه الأعمال قبل أن نولد. يقول داود:

> «رأت عيناك أعضائي وفي سفرك كلها [كل أيامي] كُتبت يوم تصورت [كل لحظاتي] إذ لم يكن [يوم] واحد منها». مزمور ١٣٩: ١٦

لقد تم تخصيص عمل حياتنا مسبقاً قبل أن نتكون في بطون أمهاتنا. ونجد هذه الحقيقة في كلمات الله لإرميا، إذ قال له: «قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبيًا للشعوب». (إر ١: ٥). كما قال الرسول بولس أيضًا: «ولكن لما سرّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته» (غل ١: ١٥ ـ ١٦). وتؤيد كل من شهادة إرميا وبولس كلمات داود أننا كلنا مفرزون لنقوم بعمل محدد لأجل الله من قبل أن نولد. لقد كُتب كل يوم، وتصورت كل لحظة، حتى قبل أن يكون هناك يوم واحد! والسؤال هو: هل سنتمم ما ضُممنا لأجله؟ يقول سليمان:

> قد عرفت أن كل ما يعمله الله أنه يكون إلى الأبد. لا شيء يُزاد عليه ولا شيء ينقص منه، وأن الله عمله حتى يخافوا أمامه. ما كان فمن القدم هو. وما يكون فمن القدم قد كان. والله يطلب ما قد مضى. جامعة ٣: ١٤ ـ ١٥

يوجد الكثير في هذا النص الكتابي. أول كل شيء، الله لديه خطة. لا يمكن أن يُنقص منها شيء فلا يكتمل، ولا يمكن للبشر أن يزيدوا عليها أي شيء. وهذه الخطة، في إيجاز، هي اكتمال بيته الخاص. ثم يستمر ليقول إن هذه الأشياء التي تتم حاليًا قد كانت في فكر الله قبل ذلك. ما سوف يتم في المستقبل، كان أيضًا في خطة الله مسبقًا، إلا أن ما تم بالفعل سوف نعطي عنه حسابًا! هل سرنا في ما عينه الله لنا لكي نتممه؟ أم أننا أفسدنا أو أضعنا تكليفاتنا بالكامل؟ هل اضطر الله أن يكلف شخصًا آخر أن يفعل ما دعينا نحن أن نفعله في الخطة الأصلية؟

ولهـذا، فعند هذه النقطة أريد أن أقول هذه العبارة الأهم. كل واحد لديه دعوة إلهية على حياته. كل منا له دور مهم في الخطة الأصلية لبيت الله. لهذا يجدر بنا أن نعرف هذه الحقيقة:

فيما يختص بدعوتك،
فإنك لن تدان بحسب ما فعلته،
بل بحسب ما دعيت أن تفعله!

دعني أقدم لك مثالًا. عند كرسي المسيح، قد يقول يسوع شيئًا كهذا: «أيها الكارز أندرسون، تقدم للأمام من فضلك وأعطِ حسابًا عن النفوس التي دعوتك لكي تقودها لي».

قد يأتي هذا الرجل أمام يسوع متحيرًا بعض الشيء ومرتعدًا ويقول: «يا سيدي، أنت تقصد المحاسب أندرسون، أليس كذلك؟ لقد كنت محاسبًا ولي شركة خاصة. كانت هذه هي مهنتي. لقد أسست الكثير من الكنائس والمنظمات غير الهادفة للربح. وقد أثر هؤلاء الخدام على كثير من النفوس لأجل ملكوتك. هل خلطت بيني وبين شخص آخر؟»

وقد يجيب السيد قائلًا: «كلا، لقد دعوتك قبل أن تولد لكي تربح جموعًا كثيرة في آسيا لي. أعطِ حسابًا عن أين هم. لو كنت قد أطعتني، لكنت قد نلت مجازاة عظيمة على كل الثمر الذي حصدته لأجل ملكوتي. والآن نتيجة لهذا، فسوف تحترق أعمالك، لأنها لم تُعمل في طاعتي».

ثم ربما نرى هذا السيناريو. قد يقول يسوع بعدها: «أيها المحاسب جونز، أرجوك تقدم للأمام وأعطِ حسابًا عما دعوتك أن تفعله».

وقد يتقدم هذا الرجل إلى الأمام أيضًا، متحيرًا للغاية ومرتعدًا ويقول: «يا سيدي، أنت تقصد الراعي جونز، أليس كذلك؟ لقد كنت راعيًا لكنيسة، وكان لدي ٢٥٠ عضوًا. لقد بنيت هذه الكنيسة من لا شيء».

وقد يجيب السيد على هذا قائلًا: «كلا، لقد دعوتك أن تعمل في سوق العمل كمحاسب

وتبنــي شـركة قويــة تســاعد الكثير من كنائســي وخدماتــي بفعالية علــى أن تتمم مـا عينتهــا لكي تتممــه. لو كنت قد طلبتنــي بـاجتهـاد، لكنت قد أريتك هــذا. وعندهـا كـانت جموع النـاس الذين سيتغيرون أبديًا بفعل هذه الخدمات، سيُنسبون لك. كنت ستجازى على كل نفس. لكن الآن، سوف لن تنال شيئًا على ما فعلته، لأنه لم يُعمل في طاعة لي. كما قد عينتك أيضًا أن تكون رئيس فريق المنظمين في كنيسة، على الجانب الآخر من الموضـع الذي بدأت فيه. لو كنت أطعت في هذا، لكان السبعة آلاف نفس الذين لمستهم هذه الكنيسة أبديًا، سيُنسبون لك، لأنك ستكون جزءًا حيويًا من هذا الجسد الذي دعوتك إليه. ولكن بما أنك لست هناك، فلن تنال مكافأة على هذه السبعة الآلاف نفس».

اسـمح لي أن أقدم لك مثالًا. لدينا عضـو مجلس إدارة هو صـديق عزيز لي، ويرعى كنيســة مزدهرة فـي الركن الجنوبي الشرقي من الولايات المتحدة. بدأ الكنيسة في عام ١٩٩١ باثنين وعشرين شخصًا، وهو الآن يقود أربعة آلاف عضو. وتعد كنيسته واحدة من أســهل الكنائس التي يمكنك أن تعظ فيها، بسبب جوع الناس. خلصت جموع كثيرة وتتلمذوا فـي هذه الكنيسة.

نمت الكنيســة بســرعة نتيجة الصــلاة الكثيرة، والوعظ القوي، والعمل الجاد، وبنوا مبنى جميلًا، ليسع الأعداد الكبيرة للناس. وبعد عدة سنوات، لاحظ صديقي رجلًا أشيب مميزًا، كان دائمًا أنيق الملبس، ويحضـر الخدمات. كما لاحظ أيضًا أن ذلك الرجل كان يجلس في اجتماع بعد الآخر يراقب والدموع تنهمر على وجهه. لكن الراعي شـعر أنها ليست دموع الفرح.

وأخيرًا، اقترب ذلك الرجل من أحد الرعاة المعاونين وشـاركه بأن الرب تحدث إليه في عام ١٩٨١ بوضـوح أنه عليه أن يبدأ كنيســة في هذه المدينة. وبعد أيام قليلة رأى حلمًــا لمبنى الكنيســة التي سـيكون راعيًا فيهــا. كان الحلم قويًا جـدًا لدرجة أنه عين شخصًــا متخصصًــا لكي يرسـم تصـورًا للمبنى الذي رآه في الحلم. ثم قال إنه تعرض لبعض المقاومة، وأحجم عن البدء في الكنيسة. وبعد فترة، سافر وخدم في مدن أخرى لفترة قصيرة، وفي النهاية انتهى به الحال بالعودة إلى عالم الأعمال التجارية.

ثــم فتــح ورقة مطوية بعناية وأخبـر الراعي المعاون أنها كانت تصـور الفنان عن المبنى الذي رسمه في عام ١٩٨١. عندما نظر الراعي المعاون إلى الرسم، شعر بصدمة

هائلة. لقد كان هو نفس المبنى الذي بناه صديقي بعد هذا بسنوات والذي كانوا يجتمعون فيه حاليًا. ومنذ ذلك الوقت بدأ صديقي يعزي هذا الرجل، لكن الرجل شاركه بالصعوبة التي قابلها في التغلب على الموقف. لم يكن قصد الله له أن يحيا في لعنة الدينونة، بل أن يتعلم وينمو ويكتشف كيف يمكنه أن يخدم الله بفعالية بقية حياته.

سمعت العديد من الأمثلة عن أناس أضاعوا مستقبلهم بهذه الطريقة. وقد رأيت أمثلة لهذا أيضًا. فعلى مدار ما يزيد على عشرين عامًا من السفر إلى الكنائس عبر العالم، رأيت رعاة كبارًا، كنت أعرف في قلبي أنهم مدعوون ليكونوا رعاة معاونين، ورجال أعمال كنت أعرف أنه يفترض بهم أن يكونوا متفرغين للخدمة، بل ورعاة أعرفهم كانت دعوتهم هي سوق العمل. لقد رأيت أناسًا خارجين عن مواقعهم في عالم الأعمال أو المؤسسات التجارية، كانوا يعملون لشخص آخر بسبب الخوف من الفشل بمفردهم. وبعد هذا رأيت من لم يكونوا أمناء للآخرين، لأنهم كانوا يريدون أن يكونوا مديرين لأنفسهم. لقد رأيت أشخاصًا يتزوجون خارج إرادة الله وأحبطت دعوتهم، وآخرون ارتبكوا بأصدقاء معينين أعاقوهم عن دعوتهم. رأيت من ارتبكوا بالترفيه أو الرياضات أو الشهوة للمال أو السلطة أو أي شكل آخر – فالمواقف لا نهاية لها، لكنها كلها منعت المؤمنين من تتميم دورهم في الخطة الأساسية لبناء بيت الله.

أولًا: هل طلبت الله باجتهاد؟

خلاصة القول: هل أنت تتمم ما خُلقت لأجله؟ قد تقول لنفسك: لكنني لا أعلم ما دعيت لأجله! وربما يكون هناك بضعة أسباب لهذا. أولًا، هل طلبت الله باجتهاد؟ يقول لنا الكتاب المقدس إن الله يجازي الذين يطلبونه باجتهاد في إيمان، وليس من يطلبونه عرضًا في تساؤل أو شك (انظر عب ١١:٦). إذا كان هناك من يطلب الله باجتهاد، متوقعًا بالتمام الاستجابة، فسوف يرى ما وضعه الله على الأرض لكي يفعله.

أتذكر عندما نلت الخلاص في أخوية الجامعة في جامعة بوردو، أنني بدأت على الفور أطلب أن أعرف ما هي إرادة الله لحياتي. كنت طالبًا للهندسة، وكنت أشتغل مرة كل فصلين دراسيين في شركة آي بي إم. وكان أحد الأسباب التي دفعتني أن أعرف دعوتي، بجانب الرغبة في إطاعة الله، هي أنني بعد شهور قليلة من اختباري للخلاص، كنت في مكتب مع مجموعة من ثمانية إلى عشرة مهندسين نحتفل مع أحد الاشخاص

بعامه الثمانية والثلاثين في العمل. كنا ندردش وقال ذلك الرجل لنا جميعًا: «لقد كنت أبغض الحضور إلى هذه الوظيفة كل يوم من هذه الثمانية والثلاثين عامًا». كل من كان في الغرفة وافقه أو ضحك، إلا أنا. فقد شعرت بذهول.

وبما أنني كنت مبتدئًا بين هؤلاء المخضرمين، فقد تعجبت، لماذا لم يقل أحد تعليقًا آخر، لذلك تكلمت وقلت: «لماذا ظللت تفعل هذا لمدة ثمانية وثلاثين عامًا مادمت تبغضه؟»

فنظر إلي وقال: «إنها وظيفة».

وجدت نفسي أنا أيضًا أمقت المجيء. كان أبي مهندسًا، وقال لي إنها مهنة جيدة تمنحك الأمان والراتب الجيد. لكن هذه المقابلة جعلتني أغير نظرتي. فقلت لنفسي: لن يعوقني المال أو الأمان أو أي شيء آخر عن سبب وجودي على الأرض. وعقدت العزم هناك على أن أكتشف ما قد دعيت لأفعله، وما هي الخطوة التالية التي أحتاج لاتخاذها للتحرك نحو هذا الأمر.

وقد تعلمت أن الله سوف يعطيك الصورة العامة لدعوة حياتك، إذا طلبته مبكرًا في مسيرتك معه. أي أنه سوف يريك النهاية منذ البداية. رأى يوسف وهو صبي صغير أنه سيكون قائدًا عظيمًا، وحتى أبوه وأمه وأخوته سوف يخدمون تحت رئاسته. ولكن لم يتحقق الأمر إلا بعد سنوات. عرف موسى أنه سيقود إسرائيل قبل أن يحين وقته بأربعين سنة على الأقل. رأى داود أنه سيكون ملكًا وهو لازال فتى صغيرًا يرعى الغنم. بعد سنوات أصبح حاكمًا لإسرائيل. وغيرهم الكثير والكثير.

كنت أخطط لأن أنهي دراستي في الهندسة في جامعة بوردو وأكمل درجة الماجستير في إدارة الأعمال في جامعة هارفارد، ثم أنتقل إلى الإدارة العليا في أمريكا بلد المؤسسات. كنت أريد أن أتزوج وآخذ العديد من العطلات في السنة وأقدم عشور ما أجنيه لله. كانت هذه هي فكرتي الشخصية عن خدمة الله.

وكلما زاد طلبي لله، زاد شعوري بالانجذاب نحو الخدمة. لم اكن أحب هذا أيضًا، لكنني كنت ذكيًا بما يكفي لأن أعرف أنني في طاعة الله سوف أجد الشبع والإشباع.

وبمجرد أن تعهدت بأن أطيع الله مهما كان الأمر، بدأ الله يريني صورة عامة لما دعاني لأفعله على هذه الأرض. في بداية الثمانينات في القرن العشرين، أراني الله بالفعل أنني في يوم ما سوف أؤثر على أمم كثيرة بكلمة الله، طالما بقيت مطيعًا له. ولا حاجة لي أن أقول إن هذا الأمر أصابني بالذهول، ولم أكن أرى طريقة يمكن بها تحقيق هذا، لأنني كنت فتى في بلدة صغيرة، ولم أكن أعرف أي شخص في الخدمة على المستوى القومي أو الدولي.

وعلى نفس منوال يوسف أو موسى أو داود، فسوف يرينا الله الصورة النهائية، لكن ليس كل الخطوات لتحقيقها. وهذا يبقينا في الإيمان بدلًا من المنطق. إننا نحتاج إلى أن نطلب ما يقول لنا الله عليه ونطيعه، وبعدها نتحرك نحو الهدف. لكن كثيرًا ما قد لا تبدو خطوتنا التالية وكأننا متجهين نحو الهدف، بل في الاتجاه المعارض. فبيع يوسف كعبد لمدة عشر سنوات بعد الحلم بالقيادة وهذا ليس الخطوة المنطقية بالضبط. ولهذا يقول لنا الكتاب المقدس: «**توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه وهو يقوّم سبلك**». (أم ٣: ٥ ـ ٦).

بعد شهور قليلة، أثناء السنة الأخيرة من دراستي الجامعية، بقيت في الكلية في بيت الأخوية، بينما رجع كل الطلاب لبيوتهم أثناء إجازة عيد الشكر التي استمرت أربعة أيام. صمت وصليت في تلك الأيام، طالبًا إرشاد الله ومشيئته لحياتي. وبعد بضعة شهور، نلت الإرشاد بالخطوة التالية، وبدت معارضة تمامًا للاتجاه الطبيعي الذي يجب أن أسلكه للخدمة. بدا أن الأمر المنطقي الوحيد بالنسبة لي هو الالتحاق بكلية لاهوت، لكن الرب أراني أنه يجب أن أقدم طلبًا للالتحاق بوظيفة مهندس. ولهذا يقول لنا الله ألا نعتمد على فهمنا.

قابلت شركات كثيرة في الحرم الجامعي، وعرفت على الفور تقريبًا أنني سوف أعمل في مؤسسة روكويل في دالاس بتكساس. لم يبد هذا أمرًا منطقيًا على الإطلاق، لأنه لم يكن هناك كليات لاهوت أعرفها في دالاس، وكان أمامي ثلاثة عشر عرض توظيف، تقدم لي مالًا أكثر من روكويل. لكنني أطعت فقط. وبمجرد أن وصلت إلى دالاس، دخلت إلى كنيسة، وأراني الرب أنه كان عليّ أن أغرس نفسي هناك. في هذه الكنيسة تربيت من خلال الخدمة، مما قادني إلى الطريق الذي أوصلني إلى ما أنا فيه الآن.

ثانيًا: هل غرست نفسك؟

وهـذا يـأتـي بنـا إلى السـبب الثاني الـذي يجعـل الكثيريـن لا يجدون مشـيئة الله لحياتهم، وهو أنهم لا يغرسـون أنفسهم في الكنيسة المحلية. تقول كلمة الله: «**مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يزهرون**». (مز ٩٢: ١٣).

إن من يغرسـون أنفسـهم في بيت الرب، الذي في هذه الحياة هو الكنيسـة المحلية، سـوف يزهرون في ديار إلهنا. وجانب من جوانب ديار إلهنا هو كرسي المسيح. وهكذا سوف نزهر الآن، وفي الدينونة أيضًا، إذا كنا مغروسين بشدة في الكنيسة المحلية. هذا هو تصميم الله.

إن الرب هو الذي وضـع الكنيسة، وليس البشر. يقول يسوع: «**أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**». (مت ١٦: ١٨). لاحظ كلمة أبني. كيف يمكنه أن يبني كنيسـته بـدون أن يكون هنـاك طبيعيًا؟ والإجابة هي من خلال جسـده، الذي هو نحن. مرة أخـرى، هذا هو السـبب الذي لأجلـه نُدعى عاملين معه. فإنه هـو الذي يمنح النعمة والقـدرة والمواهب، وهو الشـخص الـذي يمدنا بالقوة الفائقـة للطبيعة، لكنه يجب أن يكـون لـه آنية خاضـعة ومطيعة لكـي تتمم عمله. والسـؤال هو: هل نشـيّد نحن كنيسـته بالتعـاون معـه، أم أن دافعنا هـو برنامجنا الخاص، حتـى إذا كان تحت قناع الخدمة؟

لقد قسـم يسـوع الكنيسـة العامة إلى كنائس محلية. وأحد الأمثلـة العديد على هذا هي كلماته لكل واحدة من الكنائس السـبع المحلية في سفر الرؤيا: أفسـس وسـميرنا وبرغامس وثياتيرا وساردس وفيلادلفيا ولاودكية.

كما يشـار إلى الكنيسة أيضًا على أنها جسد المسيح. يقول بولس: «**وهو رأس الجسد، الكنيسـة**» (كو ١: ١٨). وكما أن الكنيسـة العامة مقسـمة إلى كنائس محلية، هكذا جسـد المسيح العام أيضًا، مقسم إلى أجساد محلية.

إن الرب هو الشـخص الذي يضـع شعبه: «**وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها في الجسـد كما أراد**». (١ كو ١٢: ١٨). قد تشعر بالدهشة من هذه العبارة: لسنا نحن الذين نختـار الكنيسـة التي نذهـب إليها. بل هو! توقـف وتأمل في هذا الأمـر للحظة. كم من

الناس يختارون الكنائس مثلما يختارون الثياب أو المطاعم بدلًا من أن يطلبوا إرادة الله في الصلاة بخصوص المكان الذي يريدهم فيه؟ كيف يمكنك أن تتمم قصدك إذا لم تكن حتى في المكان الصحيح في جسده؟ يجب ألا نذهب إلى مدينة أو إلى كنيسة قبل أن نطلب أن نعرف خطة الله في هذا الأمر.

كل واحد منا له دور في الكنيسة المحلية. يقول الكتاب المقدس: «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا. فوضع الله أناسًا في الكنيسة: أولًا ...» (١كو١٢: ٢٧ـ ٢٨).

ثم يعطينا بولس قائمة ببعض الأعمال الرئيسية داخل الكنيسة المحلية. وبالرغم من أنه لا يقدم قائمة شاملة، إلا أننا نعرف من مواضع أخرى في العهد الجديد أن كل مؤمن هو جزء من جسد المسيح، وكل منا يلعب دورًا حيويًا، لا يختلف عن كل عضو من أعضاء جسدنا المادي. إذا لم نقم بدورنا في الجسد المعين لنا، فسوف تكون الكنيسة المحلية معاقة، وكأن واحدًا أو أكثر من أعضائنا الجسدية، مثل الساق أو العين أو الكلية، لا يعمل أو يعمل باستقلالية عن الجسد.

الحقيقة المحزنة هي أن الكثير من خدمة يسوع المسيح، لا تكتمل في مجتمعاتنا بسبب الكنائس المحلية المعاقة بشدة. لماذا تعد هذه الكنائس معاقة؟ عادة لا يكون الأمر بسبب القادة غير الأكفاء، بل بسبب من يقولون عن أنفسهم إنهم مؤمنون، لكنهم يعيشون في استقلالية. هل يمكنك أن تتخيل إذا قررت عيناي أنهما سوف تفعلان ما يحلو لهما، أو ساقاي أو قدماي أو أي جزء في جسدي؟ يدهشني ما استطاع الله عمله في أمريكا مع حالة كنيستنا هذه.

لماذا كانت الكنيسة الأولى تنفجر بالنمو بهذه السرعة؟ دعونا نفحص ونرى:

> وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات ... وجميع الذين آمنوا كانوا معًا وكان عندهم كل شيء مشتركًا. والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج. وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة. وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب. وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون.
>
> أعمال ٢: ٤٢ ، ٤٤ـ ٤٧

هل ترى أن المؤمنين كانوا مغروسين في الجسد المحلي؟ لقد كانوا يعبدون الرب معًا بينما كانوا خاضعين للقادة، ويشاركون بما يفضل عنهم مع من هم من خارج، وأدى هذا إلى نمو كنسي سليم. كان الناس يخدمون الرب من خلال كنيستهم المحلية، وهذا يشمل حياتهم في البيت أيضًا. كان الوجود ضمن الكنيسة المحلية هو حياتهم. في الحقيقة، ظهرت مشكلة بعد هذا، عندما تعرضت بعض الأرامل للإهمال في تلقي خدمة الطعام. واستدعى الرسل الجسد المحلي للمؤمنين، وأخبروهم أنه ليس جيدًا لهم أن يتركوا خدمة كلمة الله ليخدموا الموائد. «**فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهودًا لهم ومملوّين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة**». (أ ع ٦: ٣).

لاحظ أنهم لم يقولوا: «نحتاج إلى بعض المتطوعين. هل يعارض أحد أن يعطي وقته لخدمة أولئك السيدات؟» كلا. كان كل المؤمنين ملتزمين بالخدمة لأنهم كانوا مغروسين في الكنيسة المحلية. أنا شخصيًا أؤمن أن كل عضو كان يرجو أن يتم اختياره للخدمة. وتم اختيار سبعة رجال، ثم:

> **الذين أقاموهم أمام الرسل ... صلّوا ووضعوا عليهم الأيادي. وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جدًا في أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان.**
> أعمال ٦: ٦ ـ ٧

وضعوا الأيادي على هؤلاء الرجال السبعة. يا له من أمر عجيب! لم يكن الأمر خدمة من على المنبر، أو تعليم مجموعة في بيت، أو قيادة التسبيح والعبادة، أو الخروج في رحلة خدمة، بل تقديم الطعام للأرامل في الكنيسة.

لكن لاحظ، أنه بمجرد أن اتخذوا موقعهم في العمل في الجسد، وإن كان يبدو غير مهم، كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جدًا في أورشليم. وهنا نجد حقيقة مذهلة. في أعمال ١ – ٥، تُستخدم كلمة يضم أو ينضم عدة مرات في وصف نمو الكنيسة في أورشليم. وها هي بعض المرات التي وردت فيها الكلمة.

«فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضمّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس». (أ ع ٢: ٤١)
«وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون». (أ ع ٢: ٤٧)
«وكان مؤمنون ينضمون للرب أكثر. جماهير من رجال ونساء». (أ ع ٥: ١٤)

حتى هذه النقطة، كان الرسل فقط هم الذين يقومون بعمل الخدمة في الكنيسة المحلية، وكان بطرس هو الوحيد الذي سجل الكتاب المقدس عنه أنه كان يعظ. لكن عند نقطة ما، أدرك المؤمنون أن كل واحد لديه مسئوليتان كبيرتان. الأولى، هي أن يكرز بالإنجيل للأفراد الآخرين، والثانية هي أنه كان عليه دور يقوم به في الكنيسة المحلية. ونجد هذا الاكتشاف أن كل المؤمنين عليهم أن يحكوا قصة قيامة يسوع العجيبة في أعمال ٥: ٤٢–٦: ١: «وكانوا لا يزالون كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلّمين ومبشرين بيسوع المسيح. وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ...» لا توجد طريقة ممكنة تتيح لبطرس أن يكرز في كل بيت، لأنه لم تكن هناك إذاعة أو تليفزيون أو إنترنت. لكن أصبح كل المؤمنين في ذلك الوقت، يكرزون بإنجيل يسوع المسيح لجيرانهم. لاحظ كيف كانت الكنيسة تنمو لا بالانضمام أو الإضافة بل بالتكاثر أو التضاعف. وهذه هي المرة الأولى في سفر الأعمال التي نجد فيها نموًا متكاثرًا متضاعفًا.

لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، لأنه بمجرد أن اتخذ المؤمنون مواقع خدمتهم في الكنيسة – والمثال على هذا هو الرجال الذين يخدمون الأرامل المحتاجات – نقرأ بعدها أن عدد التلاميذ لم يكن يتكاثر فحسب، بل يتكاثر جدًا. هذا التكاثر العظيم هو نمو أُسّي أو قوي! دعني أشاركك بالفرق بين الانضمام والتكاثر العظيم (أو النمو الأُسّي أو القوي).

لنتخيل راعيًا يربح عشرة آلاف شخص للرب كل شهر. هل تعتقد أن هذه خدمة فعالة؟ هل تعرف كم يستغرق الأمر لكي يصل إلى العالم؟ والإجابة المذهلة هي ستون ألف سنة! هذا بشرط ألا يولد أي واحد أو يموت أي واحد في هذه الستين ألف سنة! هذه المدة تفوق عشرة أضعاف السنين التي قضاها الإنسان على الأرض. أمر مستحيل!

والآن دعني أعطيك مثالًا على التكاثر العظيم. لنقل إنك ربحت شخصين للرب وربطتهما بكنيستك المحلية. ثم في الشهر التالي، قاد كل واحد من هذين الشخصين اثنين آخرين للرب وربطهما بالكنيسة المحلية. ثم في الشهر التالي، فعل كل واحد من الأربعة نفس الشيء، وفي الشهر التالي، قاد كل واحد من الثمانية شخصين للرب وربطهم بالكنيسة. إذا استمر هذا النمط، هل تعلم كم من الوقت سيلزم لتوصيل الإنجيل إلى تعداد العالم كله؟ الإجابة المذهلة هي ٣٣ شهرًا. أجل، هذا صحيح – أقل من ٣سنوات! إنه التكاثر العظيم.

والآن هل تفهم كيف يمكننا أن نقرأ هذا في الكتاب المقدس؟ «وكان ذلك مدة سنتين حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين». (أع ١٩: ١٠).

جميع الساكنين. عندما تقول الكلمة المقدسة جميع، فهي تعني كل واحد. إننا لا نتحدث عن مدينة، بل عن إقليم باكمله. لم يكن لديهم أقمار صناعية، أو تليفزيونات، أو أجهزة راديو، أو سيارات، أو حتى دراجات. إنه النمو الأُسّي.

يحتاج اختبار التكاثر العظيم إلى جسد سليم من المؤمنين. والجسد السليم يتألف من مؤمنين مغروسين في كنيسة محلية، ويشتمل على الخدمة في الكنيسة المحلية (مثل خدمة موائد الأرامل؛ أو تنظيم الناس في الكنيسة، العمل في مواقف السيارات، تحية الناس، زيارة السجون، خدمة الأطفال – وغير ذلك الكثير والكثير). كما أنهم أيضًا يمدون أيديهم إلى الناس في أماكن عملهم أو معيشتهم، ويربطوهم بكنيستهم المحلية. تذكر أن يسوع يوصينا أن نتلمذ جميع الأمم، وليس فقط من اختبروا التجديد. يجب أن نربط من نصل إليهم بكنيستنا، حتى يمكنهم أن يتعلموا جميع ما أوصانا به المسيح (انظر مت ٢٨: ٢٠). يحتاج الأمر إلى الجسد المحلي بأكمله، وكل المواهب الموجودة بداخله، حتى يتكمل الناس في المسيح.

والمفتاح هو أن ننغرس في الكنيسة المحلية. هنا سوف نزهر. أرجو أن تكون قد لاحظت أن فيلبس كان أحد السبعة الذين تم اختيارهم لخدمة موائد الأرامل. لكن في موضع لاحق في سفر الأعمال يُسمى فيلبس المبشر. لقد اتسع عمل خدمته لكي يشمل مدنًا كثيرة. «ثم خرجنا في الغد نحن رفقاء بولس وجئنا إلى قيصرية فدخلنا بيت فيلبس المبشر إذ كان واحدًا من السبعة وأقمنا عنده». (أع ٢١: ٨).

بالرغم من أنه أصبح مبشرًا عظيمًا، وقد نقله الرب إلى مدينة مختلفة، إلا أنه كان لازال معروفًا بأنه واحد من السبعة. لقد كان للخدمة في الكنيسة المحلية دور حيوي في وصوله إلى دعوة حياته. أقول للناس هذا: «قد تكون دعوة حياتك أن تفعل أمرًا عظيمًا، لكن لن ينضج هذا الأمر بالصورة الصحيحة، ما لم يولد أولًا من غرسك في كنيسة محلية».

دعني أكرر كلمات كاتب المزمور: «مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون». (مز٩٢: ١٣). فكر في كلمة مغروسين. لكي تفهم عمل الملكوت، يجب أن تفكر في

قانون الزرع والحصاد. قال يسوع لتلاميذه إنكم إذا لم تفهموا مبدأ البذار والأرض والحصاد، فلن تقدروا أن تفهموا كل الأمثال (مر ٤: ١٣). ببساطة، يعتبر ملكوت الله بأكمله هو:

> ... كأن إنسانًا يلقي البذار على الأرض، وينام ويقوم ليلًا ونهارًا، والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف. لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر. أولًا نباتًا ثم سنبلًا ثم قمحًا ملآن في السنبل. وأما متى أدرك الثمر، فللوقت يرسل المنجل لأن الحصاد قد حضر. مرقس ٤: ٢٦ ــ ٢٩

دعنا نقول إن معي حفنة من البذار المختلفة، وكلها أشجار فاكهة، لكنني لست أعرفها. الطريقة الوحيدة التي سأتمكن بها من اكتشاف نوعها، هو إذا غرستها. وبمجرد أن أغرسها، ومع مرور الوقت، سوف أكتشف طبيعة كل بذرة منها. إن الله يضع كل واحد منا في دعوة محددة سابقًا. ثم يعطينا مواهب لتتميمها: «لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة.» (رو ١١: ٢٩). وبحسب ما قاله يسوع، فإن دعوتي ومواهبي هي في صورة بذار. إذا غرست نفسي في الكنيسة، فسوف أصل إلى مستقبلي الممنوح لي من الله. إذا لم يحدث هذا، قد أستخدم المواهب في حياتي لغرض مختلف عما قصده لي خالقي. لذلك لا تنخدع بالنجاح بمقاييس العالم. قد تكون ناجحًا جدًا في مواهبك، ومع هذا لا تكون مطيعًا لخطة السيد. اسمح لي أن أقدم بعض الأمثلة.

سوف ترى الكثيرين في العالم الذين لهم أصوات رائعة، ويمكنهم أن يؤثروا على الناس لدرجة البكاء. لقد أعطِيت لهم موهبتهم لكي يمجدوا الله، ويحفزوا الناس أن يسعوا وراء قلبه ورغباته. لكنهم لا يتممون أبدًا هذا المصير، لأنهم لم يخلصوا أو لم ينغرسوا في كنيسة. هذا مثال واحد من الأمثلة الكثيرة التي يمكنني تقديمها عن من لم يأتوا إلى يسوع أبدًا في حياتهم.

ولكن، هناك أيضًا من أعطوا قلوبهم ليسوع، لكن لم يحضروا الكنيسة بانتظام. هم أيضًا لا يتممون دعوتهم الأسمى للملكوت، لأنهم لم يُغرسوا. ربما تكون دعوتهم هي أن يؤثروا على حياة الناس خارج الكنيسة، وربما يفعلون هذا بدرجة ما، لكن مستقبلهم الحقيقي كان سيختلف لو أنهم غرسوا أنفسهم في الكنيسة. يمكن أن يدرك المرء مواهب معينة ويستخدمها بالطريقة التي تبدو الأفضل، لكن كما أنك لن تعرف

أبدًا النوع المضبوط للشجرة – شكلها وهيئتها وقوتها، إلخ. – هكذا أيضًا لن تعرف مصيرك الحقيقي الممنوح لك من الله ما لم تكن مغروسًا في الكنيسة. إنه تصميم الله، وليس تصميم إنسان.

تحدث مشكلة أخرى مع المؤمنين الذين ينتقلون من كنيسة لكنيسة عندما تظهر المشكلات. اليوم يترك الرجال والنساء الكنائس بسهولة إذا رأوا شيئًا خطأ، خصوصًا في قيادتها. ربما يكون هذا الشيء هو الطريقة التي يدير بها القادة وفريق العمل الكنيسة. وربما تكون الطريقة التي يتم بها جمع التقدمات أو إنفاق المال. إذا لم يعجبهم ما يعظ به الراعي يرحلون. قد يصعب الاقتراب من الراعي، أو قد يكون مألوفًا أكثر من اللازم. أو ربما يرجع هذا لنقص الاهتمام المقدم لهم من قبل أعضاء الكنيسة الآخرين. ويمكن أن تستمر هذه القائمة لتحوي غير ذلك الكثير.

وبدلًا من أن يواجهوا الصعوبات ويحافظوا على الرجاء، يهربون إلى المكان الذي يبدو بلا صراعات. دعنا نواجه الأمر: يسوع هو الراعي أو العضو المثالي الوحيد في الكنيسة. لكن لماذا نهرب من الصعوبات في كنائسنا، بدلًا من أن نواجهها ونعمل على حلها؟ أحيانًا نقول إن خدمتنا لم تحظَ بالترحيب. عندها نذهب من كنيسة إلى أخرى بحثًا عن مكان له قيادة أو أعضاء لا عيب فيهم.

لقد كنت عضوًا في ثلاث كنائس فقط في العشرين سنة الماضية، واحدة في دالاس، والأخرى في أورلاندو، وكنيستي الحالية في كولورادو سبرينجز. ومنذ البداية كانت لي فرص عديدة أن أشعر بالاستياء من القادة (يجب أن أضيف أن معظم هذه الفرص كانت نتيجة خطئي أنا أو عدم نضوجي). كانت أمامي الفرصة أن أصير منتقدًا وديانًا للقادة. لكنني كنت أعرف في قلبي أن ترك الكنيسة لم يكن هو الحل. في وسط أحد الظروف القاسية في أحد الأيام، تحدث الرب إلي وقال: «هذه هي الطريقة التي أريدك أن تترك بها أية كنيسة: 'بفرح تخرجون وبسلام تُحضرون'». (إش ٥٥: ١٢).

معظم الناس لا يرحلون بهذه الطريقة. فهم يظنون أن الكنائس مثل أماكن قضاء العطلات. يمكنهم أن ينتقوا ويختاروا ما يحبون. وهم يشعرون بالحرية في أن يبقوا طالما كانوا سعداء ولا يواجهون متاعب. تذكر أن المكان الذي يضعنا الرب فيه، هو

المكان الذي يريد الشيطان أن يضايقنا فيه ويخرجنا منه. وإذا لم تتزعزع حتى وسط الصراعات الكبيرة، فسوف تفسد خطته وتتمم خطة الله.

مرة أخرى: «مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون». ماذا يحدث للنبتة إذا اقتلعتها وزرعتها في مكان آخر كل ثلاثة أسابيع؟ سوف تبدأ جذورها تضعف ولن تزهر أو تزهو. وإذا ظللت تقتلعها وتغرسها، فسوف تموت من الصدمة. الكثيرون يتنقلون من كنيسة إلى كنيسة في محاولة لتنمية دعوتهم. فإذا لم ينالوا التقدير في المكان الذي يضعهم الله فيه، يشعرون بسهولة بالاستياء. إذا حدث شيء ما بطريقة لا يوافقون عليها، يشعرون بالضيق ويرحلون. ويرحلون وهم يلومون القادة. إنهم عميان عن أي خطأ في شخصيتهم هم، ولا يدركون أن الله كان ينقيهم من خلال الضغوط التي كانوا يتعرضون لها. ليس هذا قاصرًا على الخدمة فقط، بل يمتد أيضًا إلى الزيجات والوظيفة وأية علاقات مثل هذه.

دعنا نتعلم من الأمثلة التي يقدمها الله من خلال الزرع والأشجار. عندما توضع شجرة فاكهة في الأرض، يكون عليها أن تواجه الأمطار والعواصف والشمس الساخنة والرياح. إذا استطاعت الشجرة الصغيرة أن تتكلم فربما تقول: «أرجوك، أخرجني من هنا! ضعني في مكان لا توجد فيه حرارة شديدة ولا رياح عاصفة!» إذا أصغى البستاني إلى الشجرة، سوف يضر الزرع حقًا. فالأشجار تثبت أمام الشمس الساخنة والرياح والعواصف الماطرة بأن تضرب بجذورها بعمق لأسفل. وهكذا فإن المشقة التي تواجهها، هي في النهاية مصدر الثبات العظيم لديها. وقسوة العناصر المحيطة بها، تجعلها تبحث عن مصدر الحياة في الأعماق. ويومًا ما، سوف تصل إلى المرحلة التي لا تؤثر فيها ولا حتى أكبر العواصف على قدرتها على الإثمار.

كنا نعيش قبلًا في فلوريدا، وهي عاصمة الموالح. معظم أهل فلوريدا يعرفون أنه كلما زادت برودة الشتاء بالنسبة للأشجار، زادت حلاوة البرتقال. إذا لم نهرب سريعًا من المقاومة، فسوف يكون لجذورنا الفرصة أن تصبح أقوى وتصل لأعماق أكبر، وسوف تكون ثمارنا أكثر وأحلى في نظر الله، ولذيذة المذاق بالنسبة لشعبه. سوف نكون أشجارًا ناضجة يسر بها الرب، بدلًا من أن نكون أشجارًا مقتلعة نتيجة نقص الثمر (انظر لو ١٣: ٦-٩). لا يجب أن نقاوم الشيء الذي يسمح الله لنا أن نجتاز فيه حتى يقوينا في دعوتنا.

ثالثًا: هل أنت مرتبك؟

آخر سبب سنناقشه والذي لأجله لا يجد الناس دعوتهم أو يتمموها هو الارتباك. فهناك أثقال تعوقهم عن الركض وإكمال السعي. يقول بولس عن نفسه:

ولكنني لست أحتسب لشيء ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع. أعمال ٢٠: ٢٤

لقد كان مدركًا للغاية لتكليف حياته. كانت لديه وظيفة يجب أن يتممها، وكان مدركًا أيضًا أن هذه الوظيفة لم تكتمل بعد. كيف عرف هذا؟ تمامًا كما عرف يسوع، وعرف بطرس (٢بط ١: ١٤) وعرف الآخرون الذين يطلبون الله ويغرسون أنفسهم في الكنيسة، ويصبرون. إن الله يعلن هذا لأي شخص لا يحسب نفسه أغلى من إرادة الله. في هذا يكمن المفتاح الأخير.

عندما نبذل أنفسنا بالكامل لتتميم خطة الله المرغوبة لنا، عندها لن نكتشف دعوتنا فحسب، بل سوف نتممها أيضًا. ويمكننا أن نرى مثالًا على هذا في الأناجيل. في أحد الأيام، كان يسوع مسافرًا من بلدة إلى أخرى ويقول الكتاب المقدس: «وفيما هم سائرون في الطريق قال له واحد: 'يا سيد أتبعك أينما تمضي'». (لو ٩: ٥٧). كان هذا الرجل متحمسًا وشغوفًا ومخلصًا. كان يريد أن يتبع يسوع طول الطريق.

لكن يسوع له القدرة على أن يخترق الحماس ويرى الدوافع الحقيقية أو الشراك التي في القلب. فقد رأى الارتباك الذي سوف يعوق هذا الرجل عن تحقيق مستقبله، لذلك تعامل يسوع معه بالقول: «للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه». (لو ٩: ٥٨).

الأرجح أن هذا الرجل كان مطمئنًا في الضمانات الأرضية التي كانت لديه. ربما كانت لديه وظيفة جيدة، وبيت كبير، وبرنامج تقاعد معد لسنواته الأخيرة. وقد أصاب يسوع هذه الرغبة في الأمان الأرضي مباشرة بقوله إنه ليس لديه مكان آمن يسند رأسه فيه.

يمكنني أن أرى ذلك الرجل، والكثيرين أيضًا غيره في الجموع، وهو يبدأ في التراجع

ببطء إلى المؤخرة وينسل في النهاية بعيدًا. وغالبًا سيقول: «يا يسوع، سوف أُدخِل الناس إلى اجتماعاتك، وأعزف مع الأوركسترا، أو حتى أقوم بركن السيارات لكبار السن الذين يحضرون مؤتمراتك في بلدتي». لقد فقد بريق تبعيته لمعانه، وسرعان ما خفتت نوايا خدمته، ولذلك انجرف هو والكثيرون غيره إلى نوايا مساندته لكن دون تسليم الكل.

ثم نظر يسوع إلى شخص آخر كان لازال متشوقًا وقال: « 'اتبعني.' **فقال: 'يا سيد ائذن لي أن أمضي أولًا وأدفن أبي.' فقال له يسوع: 'دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله'** ». (لو ٩: ٥٩ ــ ٦٠)

يا له من رد قوي. البعض قد يظنون أن يسوع لم يكن حساسًا، وكان قاسيًا بعض الشيء. إلا أننا يجب أن نفهم ثقافة تلك الأيام. قال لي الشراح، إن التقليد في تلك الأيام كان هو أنه عندما يموت الأب ويكون البكر قد أكمل واجبه بدفنه، ينال نصيبًا مضاعفًا من الميراث بينما ينال بقية الأبناء نصيبًا واحدًا. لكن، إذا لم يتمم واجبه بدفن أبيه، يكون النصيب المضاعف من نصيب الابن الثاني. كان هذا الرجل يفكر في المال. الأرجح أنه كان يحب الثراء، وهو ما أعاقه في النهاية عن تبعية يسوع. كان سيتشتت أو يتخذ قرارات بناء على الأمور المالية، وليس بناء على خطة الله.

وبعد هذا التوجيه من السيد، فأنا على يقين شبه تام بأن هذا الرجل بدأ يتراجع مع آخرين أيضًا. وكان رده يشبه هذا: «يا يسوع، إنني أخدم في مؤتمراتك التي تعقدها في مدينتي. سوف أرنم في فريق الترنيم أو أعزف على الدرامز، يمكنني أن أفعل هذا. كم أود أن أفعل هذا، ولا أكلفك شيئًا مقابل خدماتي». لقد فقد حماس تبعية يسوع جاذبيته بالنسبة لهذا الرجل ولعدد كبير من الآخرين.

لاحظ أيضًا أن هذا الرجل لم يقل إنه لن يتبع يسوع. بل قال إنه سوف يتبعه، لكن مفتاح خسارته موجود في كلماته: «ائذن لي أن أمضي أولًا». كان يريد أن يضمن أن ما يرغب فيه قد تحقق. لا يمكن أن يأتي شيء قبل مشيئة الله إن كنا نريد أن نكتشف خطته لحياتنا ونتممها. لقد رأيت مؤمنين لا حصر لهم، يحجمون عن الطاعة بسبب نيتهم أن يلبوا أولوياتهم أولًا. يا له من أمر محزن كيف أنهم فقدوا دعوتهم، وكان يجب أن يأتي شخص آخر لكي يتمم هذا الدور. كيف سيكون موقفهم عند كرسي المسيح؟

بدأ الجمع يتناقصون من حول يسوع، وتقدم متطوع متحمس آخر وقال: « 'أتبعك يا سيد ولكن ائذن لي أولًا أن أودع الذين في بيتي.' فقال له يسوع: 'ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله' ». (لو ٩: ٦١ ـ ٦٢).

لاحظ هنا أيضًا كلمة أولًا. واضح أن هذا الإنسان كان قريبًا جدًا من أسرته، أو كان له أصدقاء، أو صديقة في البيت، وأراد فقط أن يفكر معهم في قرار تبعية ذلك الرجل الذي من الجليل. سوف تكون علاقاته الوثيقة هي العامل المحدد الأخير للكيفية التي سوف يخدم بها يسوع. لهذا واجهه الرب مباشرة بالقول إنه لن يصلح لخدمة الملكوت.

يمكنني أن أرى ذلك الرجل وهو يتراجع مع مجموعة كبيرة أخرى من الناس. يمكنني أن أسمعه تقريبًا يقول: «يا يسوع، إنني أجيد العلاقات العامة والموارد البشرية. يمكنني أن أكون مستشارًا لخدمتك وأعرفك على بعض الموظفين الجيدين حقًا. يمكنني أيضًا أن أساعد في حجز مركز المؤتمرات المحلي لاجتماعك القادم في مدينتنا. وعندما تأتي سوف أكون مسؤولًا عن كل من يقومون بتحية القادمين وإدخالهم إلى القاعة في اجتماعاتك. بل الأكثر من هذا، أنني سوف أقوم بهذه الوظيفة لأجلك إذا احتجتني أن أفعل هذا. فأنا في خدمتك!»

أغلب الظن أن يسوع عند هذه النقطة شاهد جموع الأتباع المتحمسين يتقلصون إلى حوالي سبعين شخصًا. ربما كان هناك في البداية الآلاف، لكنه تعامل مباشرة مع ثلاث مناطق رئيسية للارتباك تعوق الجموع من تتميم مستقبلهم الإلهي، وهي الأمان، والمال، والعلاقات. هناك مناطق أخرى، مثل الملذات أو الرغبة في أشياء أخرى خارج مقاصد الله، وغيرها، لكن في سنوات خبرتي وجدت أن هذه هي أكبر المصادر.

معظم من يقرأون الأناجيل تفوتهم عبارة لوقا الحيوية التالية بسبب الانتقال إلى أصحاح جديد. لكن دعني أذكرك أن هذا الإنجيل هو خطاب واحد طويل، وأضافت الكنيسة لاحقًا الأصحاحات والآيات، لسهولة الرجوع إليها. انظر ما يقوله لوقا بعد هذا.

> وبعد ذلك عيّن الرب سبعين آخرين أيضًا وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعًا أن يأتي. فقال لهم: «إن الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده». لوقا ١٠: ١ ـ ٢

يوجد الكثير في هاتين الآيتين. أولًا، انظر إلى هذه العبارة: «وبعد ذلك». يجب أن نسأل: «بعد ماذا؟» والإجابة هي بعد أن شهد يسوع الجمع يتقلصون إلى مجموعة قليلة من الناس الذين كانوا لازالوا واقفين هناك يقولون لأنفسهم: «لا يهمني تكلفة تبعيته. فأنا مستعد أن أفعل هذا!» لقد سمعوا ردوده على أمور الأمان والمال والعلاقات، وصمموا على ألا يسمحوا لأي شيء أن يمنعهم من تحقيق مصيرهم في الله.

ثم عيّن يسوع سبعين عضوًا جديدًا في فريقه، كانوا على الأرجح هم الوحيدون الباقون. يستخدم معنى التعيين والانتخاب بالتبادل في العهد الجديد. فالشخص الذي يُعيَّن هو الشخص المنتخَب، والشخص المنتخَب هو الشخص الذي يُعيَّن. قال يسوع هذه العبارة في إنجيل متى في موضعين مختلفين. ومادام قد كرر عبارة بعينها في موضعين مختلفين في نفس الإنجيل، فيجدر بنا أن ننتبه أكثر إليها. ها هي العبارة:

> كثيرون يُدعون وقليلون يُنتخبون. متى ٢٠: ١٦، ٢٢: ١٤

كثيرون يُدعون. كم عددهم؟ لكي أكون دقيقًا، الجميع. كل المؤمنين لديهم دعوة على حياتهم، ومواهب ليتمموها بها. إلا أن ما قد يشعرك بالصدمة هو أن القليلين فقط هم الذين يُنتخبون أو يُعيَّنون لتتميم الدعوة. لماذا يُعيَّن القليلون فقط؟ لأن القليلين فقط هم الذين يتخلون عن كل رغباتهم ومصادر أمنهم وشهوتهم للمال وعلاقاتهم المعطِّلة وغير ذلك، لكي يتمموا الدعوة التي على حياتهم. لاحظ أن يسوع قال: «الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون» (مت ٩: ٣٧). ليست غلطة الله أن جيلنا لم يجد من يصل إليه، لأن الله «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١ تي ٢: ٤). نحن الذين سيكون علينا أن نقف أمام كرسي دينونته ونعطي حسابًا عن لماذا لم نوصل الإنجيل لجيلنا.

إذا تممنـا دعوتنـا، عندهـا لن نُدان. لكن إذا سـمحنا للمربكات أن تعطلنا، فسـيظهر هذا عند الدينونة.

قـد تقول: «أنـا مجرد واحد من بين الكثيرين». ماذا لو قال الكبد: «أنا مجرد عضـو غيـر بـارز في الجسد ولا يلاحظنـي أحد أو يلاحظ عملي، لذلك سوف أفعـل ما أريده، وليس ما خُلقت لأفعله»؟ كما تعلم، فإن الجسد بدون كبد يكون في مشكلة خطيرة. ماذا إذا قالت الرئتان أو السـاق أو القدم أو أي جزء آخر من جسـدنا هذا الكلام أيضًا؟ تمامًا كما أن كل عضو في الجسد مهم، هكذا كل عضو في الكنيسة مهم.

هذه حقيقة قوية. يخبرنا يسوع أن القليلين فقط هم الذين يتممون مصيرهم الإلهي كمقاوليـن فرعييـن في بيت الله. سـوف ينال كل مؤمـن دعوة أن يبني، لكـن القليلين فقط هم الذين سـوف يتممونهـا. وهذا يعني أن غالبية من يقفون أمام كرسـي دينونة المؤمن، سـوف يتعرضون للخسـارة، ولن ينالوا المكافآت المجيدة. أعلم أن هذه ليست أخبارًا سـعيدة، لكن ها هي الأخبار السـارة: يمكنك أن تبـدأ الآن. يمكنك أن تجثو على ركبتيك وتصلي وتطلب من الله أن يسامحك على كل ما سمحت له أن يعطلك عن طاعة مشيئته لحياتك، ثم تقدم إلى الأمام خطوة بعد الأخرى. كان سميث ويجلزورث مبشرًا عظيمًا في القرن العشـرين، لكنه لم يبدأ خدمته حتى وصـل للخمسـينات من عمره. لم يفت الأوان بالنسبة لك.

تذكـر، أن المفـاتيـح هـي أولًا، أن تطلـب الله بإيمـان. وثـانيًا، أن تكون مغروسًـا في الكنيسـة المحلية التي يظهرها الله لك، وبهذا تظل خاضـعًا وطائعًا للقيادة أو القيادة المعينة للجسد المحلي، وثالثًا، أن تنكر مربكات حياتك. وإذ يبين الله لك الأثقال، اطلب مـن سيفه أن يقطـع الربط التي لها على نفسـك أو جسـدك. إن نعمته تكفـي لتحريرك. فعندما تقترب من نهاية حياتك، سـوف تريد أن تكون قـادرًا على أن تقول مع الرسـول بولس:

> فإنـي أنـا الآن أُسـكب سـكيبًا ووقـت انحلالـي قـد حضـر. قـد جاهـدت الجهـاد الحسـن، أكملـت السـعي، حفظـت الإيمـان، وأخيـرًا قـد وُضـع لـي إكليـل البـر الذي يهبـه لـي فـي ذلـك اليـوم الـرب الديـان العـادل، وليـس لـي فقـط بـل لجميـع الذيـن يحبون ظهوره أيضًا.
> ٢ تيموثاوس ٤: ٦ ـ ٨

هنـاك إكليل ينتظر من يظلون أمناء للنهاية في الخطة التي وضـعها الله لحياتهم. إنهـم الذين سـوف يحبون عودتـه. والكلمة المفتاحية هي يحبون. من وضـعوا أشـياء أخرى قبل مشيئة الله يريدون مقابلته، لكن لا يحبون ظهوره بهذا المقدار.أؤمن أن هذا هو أحد المقاصـد الأساسـية لهذا الكتاب، أن يضعك على الطريق الصحيح حتى يمكنك أن تكون أحد محاربي هذا الجيل الذين يحبون مقابلة القائد وسماعه وهو يقول: «نعمّا أيها العبد الصالح والأمين».

الفصل الثاني عشر

التضاعف

والحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمرًا للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معًا. لأنه في هذا يصدق القول «إن واحدًا يزرع وآخر يحصد». يوحنا ٤: ٣٦ـ٣٧

والغارس والساقي هما واحد. ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه. ١ كورنثوس ٣: ٨

من يخدمون بأمانة في الملكوت ينالون أجرة أبدية ضخمة، وسوف نكافأ كل على حدة، تبعًا لأعمالنا. كل منا لديه مسؤوليات مختلفة، لكن كل دعواتنا المختلفة تؤدي إلى نتيجة واحدة، وهي أناس يتغيرون إلى الأبد.

كثيرون يؤمنون أن الخدام الذين لمسوا حياة الملايين من الناس على الملأ، هم فقط الذين سيقفون في الصفوف الأمامية في السماء، وينالون أعظم المكافآت. إلا أن هذا ليس صحيحًا. فمجازاة الله ليست كمجازاة الإنسان، بل بحسب أعمال الطاعة البارة. ولو كان الله يجازي بحسب المقاييس البشرية، فسوف تكون الإنجازات التجارية هي مركز الخدمة. لكن كما رأينا في الفصل السابق، فإن هذا ليس صحيحًا بالمرة. إن الله يدين ويجازي بحسب ما دعينا لنفعله، وما أعطانا القدرة على تحقيقه.

التمكين بالنعمة

في عام ٥٦ ميلاديًا، أي قبل أن يكمل بولس سعيه بحوالي عشر سنوات، كتب عن

نفسه أنه كان «أصغر الرسل» (١ كو ١٥ : ٩). قد يبدو هذا غريبًا لمن درسوا تاريخ الكنيسة. فقد أثر على كل العالم المعروف، وحقق أكثر مما حققه أي شخص آخر في أيامه. لم يكن هناك شك في أنه كان الأعظم. كيف له إذًا أن يقول مثل هذه العبارة؟ والإجابة نجدها في بقية ما كتبه: «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. و نعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي». (١ كو ١٥: ١٠).

المثير للاهتمام أن بولس أقر بأن إنجازاته كانت أكثر من إنجازات أي رسول آخر، ومع هذا كان لازال يرى نفسه الأصغر بينهم. ونجد تفسير هذا التناقض في عبارة «بنعمة الله أنا ما أنا». لقد استطاع أن يفصل نفسه عن كل ما عمله الله من خلاله. كان بولس واعيًا بالتمام لحقيقة أنه لا يمكنه أن يزيد على دعوة الله على حياته، ولا يحقق أي شيء يتخطى القدرة الممنوحة له، ويتلخص كل هذا في كلمة واحدة، وهي النعمة. وينطبق هذا على كل المؤمنين فيما يختص بدعوتهم.

دعني أعلق على خبرتي الخاصة في الخدمة. توجد الكتب التي كتبتها الآن في ما يزيد على ثلاثين لغة على مستوى العالم. ويبلغ عددها الملايين، واختبارات حياة الناس الذين تغيروا نتيجتها لا تُحصى. وكثيرًا ما يأتي الناس إلي يسألون عن سر الطريقة التي أكتب بها. وأضحك في داخلي وأتذكر كم كنت طالبًا وكاتبًا بشعًا في اللغة الإنجليزية قبل أن تستعلن نعمة الله على حياتي. كنت أصرف ساعات لكي أكتب صفحتين باللغة الإنجليزية. وكنت أملأ نصف كراسة من المسودات لكي أكتب الفقرة الأولى فقط. لكنني الآن عندما أكتب، تتدفق الكلمات مني. وأنا أدرك أكثر من أي شخص آخر مَن هو الذي يكتب هذه الكتب. فأنا في الحقيقة لست سوى أول من يقرأها.

استضافني برنامج حواري في التليفزيون القومي، وكان تركيز المقابلة على الرسائل الواردة في الكتب التي كتبتها. إلا أنه أثناء الحوار، أصبح المحاور مركزًا بالأكثر عليّ وعلى إنجازاتي بدلًا من أن يركز على الرسائل. فشعرت بعدم راحة كبير ونظرت إلى الداخل طالبًا مشورة الروح القدس في الكيفية التي أغير بها هذا التركيز.

وخلال لحظات، حدث فاصل في مناقشتنا، وكان وقتًا ممتازًا أقدم فيه التعليق الذي أعطاه لي الروح القدس. لذلك اقتبست كلمات سليمان: «قد عرفت أن كل ما يعمله الله

أنه يكون إلى الأبد. لا شيء يزاد عليه ولا شيء ينقص منه، وأن الله عمله حتى يخافوا أمامه. ما كان فمن القدم هو. وما يكون فمن القدم قد كان. والله يطلب ما قد مضى». (جا٣: ١٤ ـ ١٥).

ثم قلت: «هناك جموع لا حصر لها من الرعاة والخدام الذين يفعلون ما دعاهم الله أن يفعلوه. البعض يشرفون على كنائس يبلغ عدد أعضائها ثلاثمائة في مناطق ريفية. وآخرون يخدمون الهالكين والمتألمين في البلاد النامية، وقد زرعوا حياتهم في حقول الإرساليات. آخرون يعملون في المناطق الداخلية للمدن، ويخاطرون بحياتهم يوميًا لمساعدة من يعتبرهم الكثيرون بلا قيمة. وغيرهم الكثير والكثير. غالبًا لم يسبق لك استضافة أي من هؤلاء في هذا البرنامج، لكن الكثيرين سوف يقفون في الصفوف الأمامية في السماء لأنهم أطاعوا ما قد دُعوا ليفعلوه وفعلوه بدوافع نقية».

وأكملت بالقول: «فيما يتعلق بي، فقد دعاني الله أن أقوم بعمل محدد لأجله، وقد لمس نطاقه حياة الكثيرين. ولهذا طلبت مني الظهور في هذا البرنامج. إلا أنه لا يمكنني أن أزيد ولا شيئًا واحدًا على ما دعاني الله لأفعله. لا يمكنني أن أضخمه أو أعززه أو أجعله يمتد أكثر بقدراتي الشخصية. الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أفعله هو أن أفسده، وهذا يخيفني!»

وعلى الفور أصبح مناخ المقابلة هادئًا. وأدرك الرجل الذي كان يجري معي المقابلة، وكان هو أيضًا لديه خدمة دولية، ما كنت أحاول أن أقوله، وغير التركيز كله في بقية المقابلة على خدمة الناس.

وهذا الأمر صحيح بالنسبة لأي شخص. إذا كنتِ قد دعيتِ لكي تكوني زوجة، وأمًا لأولاد، وتخدمي في التمريض في كنيستك المحلية، وتتشفعي في مخدع الصلاة، وأديتِ هذا بأمانة حتى النهاية، فسوف تنالين المجازاة العظيمة على طاعتك. إذا كنت قد دعيت لتخدم ضمن خدمة السجون في كنيستك، وتلمس حياة الناس في سوق العمل، وتعطي بسخاء لعمل الخدمة، وفعلت هذا من قلبك كما للرب بأمانة حتى النهاية، فسوف تجازى بنفس مجازاة المبشر الذي ربح الآلاف بأمانة. وغير هذا الكثير. أنا شخصيًا أؤمن أن عدد الأمهات، وأصحاب الأعمال، والقادة العلمانيين وغيرهم الذين سيقفون في الصفوف الأمامية، وينالون أعظم المكافآت من السيد، سيكون أكثر بكثير مما توقعناه.

جيش الله على الأرض

إن كنيسة يسوع هي جيش الله على الأرض. كلنا لدينا مناصب ومواهب نحقق بها مهامنا. منذ سنوات، أيقظ الرب زوجتي وأراها في الروح هذا الجيش العظيم. وأيقظتني على الفور في الرابعة فجرًا وحكت لي ما رأته في الرؤيا.

«يا جون، لقد كان جيشًا يعرف فيه كل واحد رتبته، ومنصبه، ومسؤولياته. كانوا يتقدمون في ترتيب مثالي، وكانت هناك مناصب شاغرة في كل الرتب، رأيت الناس يدخلون إليها. رأيتك ورأيت نفسي ونحن نتحرك إلى مكانينا في الخدمة. لم يحتج أحد أن ينظر إلى الآخر لكي يرى إلى أين يجب أن يسير، كانوا كلهم في وحدة كاملة لأن عيونهم كانت على السيد».

ثم علقت بشيء جذب انتباهي بصفة خاصة. «لم يكن هناك من يشتهي منصب غيره. كل واحد كان راضيًا بأن يخدم في المكان الذي خلقه الرب له».

تذكر هذا ونحن نعود إلى مثال البيت المصمم خصيصًا. تذكر أنه «بالحكمة يُبنى البيت» (أم ٢٤: ٣). هناك نوعان من الحكمة يمكننا بهما أن نبني، واحدة من فوق والأخرى ليست من فوق.

> من هو حكيم وعالم بينكم فليُرِ أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة. ولكن إن كان لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية. لأنه حيث الغيرة والتحزب (الطموح الأناني) هناك التشويش وكل أمر رديء. يعقوب ٣: ١٣ ـ ١٦

لا يهم ماذا نعمل أو كيف يبدو، فإذا كان دافعه هو الغيرة أو التحزب، فإننا نبني بهذا بدوافع جسدية، غير كتابية، شيطانية، لن تنال أية مكافآت بكل تأكيد.

يرد تعريف الغيرة في قاموس وبستر على أنها «شعور بعدم الرضا أو الاشتهاء تجاه ميزات الآخرين أو نجاحهم أو ممتلكاتهم، إلخ».[١] إذا نظرنا إلى دعوة الله بعيون العالم، ستكون الغيرة حتمية. كان هناك وعاظ غاروا من تكليف حياة بولس. كتب عنهم قائلًا: «أما قوم فعن حسد (غيرة) وخصام يكرزون بالمسيح، وأما قوم فعن مسرة. فهؤلاء

عن تحزب (طموح أناني) ينادون بالمسيح، لا عن إخلاص، ظانين أنهم يضيفون إلى وثقي ضيقًا. وأولئك عن محبة عالمين أني موضوع لحماية الإنجيل». (في ١: ١٥ ــ ١٧).

لم يكن هؤلاء الخدام راضين بدعواتهم التي وضعها الله على حياتهم، واشتهوا نجاح بولس. كانت هذه الغيرة مشحونة بالطموح الأناني. والطموح هو رغبة شديدة وقوية لإنجاز شيء ما. عندما تكون أنانية، يكون التركيز على أنفسنا بدلًا من أن يكون على خير الآخرين. وهذا الدافع لن ينتج سوى التشويش والخصام، وسوف يفتح الباب لكل أمر رديء.

أما الحكمة الإلهية، فسوف تحفز الشغف بالملكوت، وليس الطموح الأناني. سوف تبني بحسب رغبة السيد المخطِّط، وتكون رغبات قلبه هي ما يحفز العمل. نقرأ عن هذه الحكمة:

> وأما الحكمة التي من فوق فهي أولًا طاهرة، ثم مسالمة، مترفقة، مذعنة، مملوءة رحمة وأثمارًا صالحة، عديمة الريب والرياء. يعقوب ٣: ١٧

حكمة الله هي أولًا طاهرة. أي أنها ليست ذات وجهين، ليس لها صورة التقوى مختلطة بدوافع الغيرة أو الأنانية. لكن دوافعها هي أن تكون أمينة للسيد، وتقبل تكليفاته بفرح. وهدفها ليس هو أن تكون الأعظم، بل أن تطيع الدعوة. سوف تبتهج بتقدم الملكوت، سواء حدث هذا من خلالنا أو من خلال شخص آخر.

إن الحكمة الإلهية تركز دائمًا على خير الآخرين، لا على نفسها. وهي مسالمة، غير متنازعة، أو مستبدة، أو منتقدة، أو متسلطة. ودافعها الأصلي هو أن ترى الآخرين يسيرون في التقوى ويتممون مستقبلهم الإلهي. هناك من يحبون الخدمة ويحتملون الناس، وهناك من يحبون الناس ويرون خدمتهم مثل العربة التي تخدمهم. والنوع الثاني هم الذين يفعلون هذا منقادين بالحكمة الإلهية.

صفة أخرى من صفات الحكمة الإلهية كما رأيناها في الآية السابقة، هي الإذعان. عندما نكون قانعين بدعوتنا، سنكون خاضعين لسلطان الله المباشر والمفوَّض. إننا نرى الصورة الكبرى لبيت الله الذي يُبنى، وهناك معماري واحد، ومصمم واحد،

وبنَّاء واحد هو المسؤول. وقد فوّض سلطانه وقدراته وتكليفاته للعديد من الأفراد في كنيسته. ومن سيكافأون كثيرًا عند كرسي المسيح، هم من ظلوا خاضعين لمن هم في مناصب فوقهم. أما الرعاة المعاونون الذين قسموا الكنيسة، والزوجات اللواتي قاومن سلطان أزواجهن في البيت، حتى تحققن خدماتهن الخاصة، والموظفون الذين بنوا أعمالهم التجارية الخاصة، بينما كان رؤساؤهم يدفعون لهم رواتبهم، إلخ – كلهم سوف يتحملون خسارة كبيرة عند الدينونة، حتى وإن أثمروا نتائج عظيمة في تمردهم.

لا تسمح للنتائج أن تخدعك. يمكننا أن نحقق نتائج عظيمة ومع هذا نكون في تمرد على سلطان الله. فكر في موسى. أخبره الرب أن يتكلم إلى الصخرة فتخرج المياه بصورة معجزية. لكنه لم يطع، بل في غضبه ضرب الصخرة. خرجت المياه بالرغم من هذا، كانت كافية لإرواء ثلاثة ملايين شخص في الصحراء. ربما كان الناس يقولون أحدهم للآخر وهم يشربون: «يا له من أمر عجيب. إن الله يسمع لموسى بكل تأكيد. يا للقوة!»

لكن بعد أن شربوا كلهم، أخذ الله موسى جانبًا، وأخبره أنه لن يدخل أرض الموعد، لأنه لم يطع. لقد حقق موسى نتائج، وكانت في الحقيقة نتائج معجزية. لكن النتائج ليست مؤشرًا للنجاح – بل الطاعة هي المؤشر. إن الحكمة الإلهية متأصلة في مخافة الرب، التي هي أن نضع الله فوق أي شيء أو أي شخص آخر. من يخافون الرب يخضعون بالتمام لسلطانه.

دعنا نعود إلى رؤيا زوجتي. لقد حكت لي في وقت مبكر في ذلك الصباح قائلة: «يا جون، كل المحاربين كانت لهم نفس الوجوه تمامًا». أي أنه كان جيشًا بلا وجوه. وهذا يبين أن الله ليس لديه موقع للنجوم المشاهير. عندما نفهم هذا الأمر سوف يحفظنا هذا من اشتهاء مكان شخص آخر في الكنيسة، أو التمرد على السلطان حتى نحصل على منصب أعظم. سوف تأتي ترقيتنا من فوق فقط عندما نظل مغروسين.

مستويات مختلفة

في الأناجيل، نجد مثلين متشابهين، إلا أن كلًا منهما يوضح حقًا مختلفًا يختص بكرسي الدينونة. المثل الأول هو مثل الوزنات، وهو يؤكد على أنه ليس كل المؤمنين ينالون نفس المستوى من الدعوات والمواهب. يقول يسوع:

وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله. فأعطى واحدًا خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة. كل واحد على قدر طاقته. وسافر للوقت.
متى ٢٥: ١٤ ـ ١٥

الإنسان المسافر هو يسوع، والعبيد يمثلوننا. والوزنة هي معيار للمال، إلا أنه بما أن هذا مثل، فغالبًا تمثل الوزنة شيئًا مختلفًا. أحد الاحتمالات، التي أؤمن أنا شخصيًا أنها صحيحة، هي أنها تمثل مستوى دعوتنا ومواهبنا. هناك أفراد معينون لهم مستويات من الخدمة تصل إلى البلاد، وآخرون يصلون إلى المدن، وآخرون غيرهم يصلون إلى مجموعات البيوت داخل الكنيسة. مثال آخر يمكن أن يكون، هو أن بعض الكتّاب يصلون إلى الملايين، وآخرون يصلون إلى الآلاف، وآخرون غيرهم يصلون إلى المئات. ويمكن أن يكون مثال آخر، هو أن يمتلك شخص ما موهبة إدارة يمكن أن توصل خدمة ما، إلى مستوى الكنيسة الكبرى، بينما يستطيع آخرون فقط أن يتولوا أمر الكنائس ذات الحجم المتوسط أو الأصغر.

لاحظ نقطتين هامتين في هذا المثل. الأولى هي أن كل العبيد أخذوا شيئًا ما، مما يخبرنا أنه لا يوجد شخص واحد في الكنيسة دون دعوة على حياته مصحوبة بالمواهب. النقطة الثانية هي المستويات المختلفة للدعوة والمواهب المعطاة لكل واحد من العبيد، كانت على قدر طاقته. إلا أننا يجب أن نتذكر أن الله يمنحنا قدراتنا. فلا يوجد عندنا شيء ذا قيمة لم يُعطَ لنا، لأن الكلمة المقدسة تقول: «**لأنه من يميّزك؟ وأي شيء لك لم تأخذه؟**» (١ كو ٤ : ٧).

في هذا المثل، الرجل الذي في مستوى الخمسة من الدعوة والمواهب ضاعف مجهود استثماره. والرجل في مستوى الاثنين فعل نفس الشيء. أنا شخصيًا أؤمن أن هذا يبين أنه حتى عندما يعطينا الله المواهب، يجب أن نتعاون في عملنا حتى نجلب العائد المرغوب للسيد.

أما الرجل في مستوى الواحد من الدعوة والمواهب، فغالبًا شعر بأن ما لديه كان غير مهم. فقد كان يرى أن السيد ظالم، وغير منطقي، وقاسٍ. لماذا حصل على أقل من الآخرين؟ لماذا حصلوا على تأثير على مستوى البلاد أو على مستوى المدينة؟ لماذا ينالون القدرة على الوعظ أو الترنيم أو الكتابة وليس أنا؟ وهكذا.

لذلك أخفى وزنته. لم يتمم دعوته، استخدم مواهبه لنفسه أو في مجالات لم تنفع الملكوت.

وبعد وقت طويل، أتى سيد هؤلاء العبيد وسوّى الحسابات معهم. الاثنان اللذان ضاعفا ما عُهد إليهما به، نالا المجازاة بنفس المديح: « **نعمًا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك.**» (مت ٢٥: ٢١). لم ينل العبد في مستوى الخمسة أي مدح أكثر من العبد في مستوى الاثنين، لأنهما كليهما كانا أمينين ومجتهدين. وهذا يؤكد مرة أخرى أن الله يطلب منا فقط ان نكون أمناء فيما أعطاه لنا.

أما الرجل الذي له الوزنة الواحدة فقد تلقى توبيخًا شديدًا، وأمر سيده أن يؤخذ ما عُهد به إليه ويُعطى لواحد من الاثنين الآخرين. لقد عانى من خسارة ضخمة في الوقت الذي ربح فيه الرجل الذي كان أمينًا المزيد.

عندما أسمع هذا، أتذكر عام ١٩٩٢ عندما وجهني الله ان أكتب. كدت أضحك في عدم تصديق، لما سمعته في قلبي في الصلاة. كنت أكره اللغة الإنجليزية! لو قال أحد إنني سوف أكتب كتابًا، كنت سأضحك عليه للدرجة التي تجعله يترك الغرفة ويرحل. لكن بعد عشرة شهور أتت إلي امرأتان، يفصل بينهما أسبوعان، وقدمتا لي نفس الكلمة النبوية: «يا جون، إذا لم تكتب ما أعطاه الله لك لكي تكتبه، فسوف يعطي الرسالة لشخص آخر، وسوف تدان أنت على هذا». فارتعدت وأخذت خطوة إيمان، وباقي القصة معروف. لو لم أطع، كان شخص آخر سيكتب الرسائل، وكنت سأخسر الوزنة التي ائتمنت عليها.

مضاعفة ما أُعطي لنا

لقد ناقشنا بتوسع، أنه لا يمكنك أن تزيد على دعوتك أو مواهبك. والآن دعنا نوجه انتباهنا مرة أخرى إلى مضاعفة ما يوجد لدى كل مؤمن. المثل الآخر المشابه لمثل الوزنات، ولكن يختلف عنه بطريقة كبيرة، يبين هذه الحقيقة. يقول يسوع:

> إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلكًا ويرجع. فدعا عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم تاجروا حتى آتي.
> لوقا ١٩: ١٢ ـ ١٣

يعتبر المنا، مثل الوزنة، معيار أموال. إلا أنه في هذا المثل أُعطي كل العبيد نفس المقدار، إذ حصل كل منهم على منا واحد. ولهذا فإن المنا لا يمثل مستوى دعوتنا أو مواهبنا، كما هو الحال مع الوزنات. بل يمثل حقائق كلمة الله، وإيماننا الأساسي، ومحبة الله المنسكبة في قلوبنا، وبركات العهد المعطاة لكل مؤمن. كل واحد لديه الشيء ذاته، لا يوجد من أعطي شيئًا إضافيًا في البداية.

يتحدث هذا المثل عن عن ما يمتلكه كل واحد منا نحن المؤمنين في المسيح. يقول الكتاب المقدس: «إذًا لا يفتخرنّ أحد بالناس. فإن كل شيء لكم». (١كو ٣: ٢١)، وأيضًا: « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح». (أف ١: ٣). هذه البركات هي لنا في المسيح، لكن إيماننا هو الذي يخصصها ويعلنها هنا على الأرض، وطاعتنا وعطاؤنا هما اللذان يجعلانها تتضاعف. ولهذا فإن الرجل الشريف الجنس، الذي يمثل يسوع، يقول لعبيده: «تاجروا حتى آتي». يجب علينا أن نأخذ ما أُعطي لنا ونضاعفه لمجد الله.

انظر نتائج هؤلاء العبيد:

> **ولما رجع بعد ما أخذ المُلك أمر أن يُدعى إليه أولئك العبيد الذين أعطاهم الفضة ليعرف بما تاجر كل واحد. فجاء الأول قائلًا: « يا سيد مناك ربح عشرة أمناء. » فقال له: « نعمًا أيها العبد الصالح. لأنك كنت أمينا في القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن». ثم جاء الثاني قائلًا: « يا سيد مناك عمل خمسة أمناء». فقال لهذا أيضًا: « وكن أنت على خمس مدن». ثم جاء آخر قائلًا: « يا سيد هوذا مناك الذي كان عندي موضوعًا في منديل».**
>
> **لوقا ١٩: ١٥ ـ ٢٠**

وبخ الرجل شريف الجنس ذلك العبد الأخير بشدة، وأُخذ منه المنا الذي كان له وأُعطي للرجل الذي ضاعف مناه إلى عشرة. قال السيد: «**لأني أقول لكم إن كل من له يُعطى. ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه**». (الآية ٢٦).

في هذا المثل، يتناول يسوع ثلاثة فقط من العبيد العشرة. أكرر أن الاختلاف الهام في هذا المثل، هو أن كل فرد بدأ بنفس المقدار بالضبط، إلا أن واحدًا زاده إلى عشرة أضعاف، وآخر إلى خمسة أضعاف، والثالث لم يضاعفه على الإطلاق. كما نرى

أيضًا أن المكافآت تختلف تبعًا لمدى الفعالية التي تاجروا بها. فإن نجاحهم قد حدد مباشرة عدد المدن التي سيكون لهم سلطان عليها. إن الطريقة التي نضاعف بها ما نؤتمن عليه، سوف تحدد بطريقة مباشرة، مقدار السلطان الذي سنؤتمن عليه في الملك الألفي، وفي السماء الجديدة والأرض الجديدة. سوف يملك الأمناء مع المسيح، لكن لن يكون للجميع نفس السلطان. فإن اجتهادنا هنا سوف يحدد نطاق حكمنا معه طوال الأبدية. لاحظ أن هذا مبني على أننا كلنا بدأنا من موضع المساواة، كل منا لديه منا واحد. لهذا فإن الزوجة والأم الأمينة التي تخدم باجتهاد في الكنيسة، لها نفس الفرصة، مثل المبشر الذي يربح مئات الآلاف.

يرينا هذا المثل أن كل إنسان لديه إمكانية مضاعفة مناه أضعافًا كثيرة. في حياتنا الشخصية، يمكننا أن نؤثر في ملكوت الله ونبنيه بقدر كبير أو قليل كما نريد، فالاختيار لنا. في الحقيقة، لا توجد حدود علينا من نواحٍ كثيرة. قد تتحفظ على هذه الملاحظة، لكن اسمح لي أن أفسرها عن طريق أمثلة. هناك أمثلة كثيرة يمكنني أن أقدمها، لكن القليل منها فقط سوف يفتح الباب في قلبك لهذا القانون الروحي. دعنا أولًا ننظر إلى كلمات الرسول بطرس:

> **لتكثر (لتتضاعف) لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا، كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة.** ٢بطرس ١: ٢ ـ ٤

يمكن أن تتضاعف النعمة في حياتنا. يقول يعقوب: «**ولكنه يعطي نعمة أعظم**». (يع ٤: ٦). يمكننا بالنعمة أن نفعل أي شيء له قيمة في الملكوت. وتتضاعف هذه القدرة، بمعرفة الله بصورة حميمة. ولهذا يجب أن يقضي كل مؤمن وقتًا ذا قيمة مع الله. يجب أن نصلي ونقرأ الكلمة المقدسة، ونقرأ كتبًا روحية، ونستمع إلى رسائل ممسوحة، وفي الوقت نفسه ننظر إلى الروح القدس ونصغي إليه لكي ننال إعلانه. وإذ نفعل هذا، تكثر النعمة في حياتنا، مما يمنحنا القدرة على أن نفعل المزيد.

لقد اكتشفت أنني كلما عرفت الله وطرقه بصورة أكثر حميمية، زادت فعاليتي. إذا كنت أمتلك فأسًا له شفرة كليلة للغاية، فقد يستغرق قطع شجرة ما اليوم كله. لكن إذا

شـحذت الفأس، يمكنني أن أقطع خمس شـجرات في اليوم الواحد، باستخدام نفس القدر من الطاقة. هذا ما يحدث عندما تتضاعف النعمة في حياتنا. سوف نعمل بكفاءة أعظم.

أتذكـر أننــي كنت أكرز في الشـارع فـي موكب احتفالـي للمثليين الجنسـيين، في دالاس، بتكسـاس، منذ عام. ظللت لمدة سـاعتين أخبر هذه النفوس الهالكة عن يسوع، وكانوا ينظرون إليّ كما لو كنت من عالم آخر. البعض أمطروني بوابل من الآيات بنفس السـرعة التي كنت أحدثهم بها. شـعرت بطريقة ما، أنني كنت أخبط رأسـي في الحائط. كان الأمـر مثـل إلقاء بذار على الأسـفلت. ثم همس الرب إلي قائلًا: «انظر إلي، وسـوف أريـك ما يجـب أن تفعلـه». وفي الثلاثيـن دقيقة التالية قادنـي إلى أناس، وأعطانـي الكلمـات التي أقولها. كانت الكلمات تدخل إلى أعماقهم، وثلاثة رجال سلموا حياتهم ليسـوع المسـيح. لقد أدى النظر إلى الروح القدس، والاستماع إلى كلمته التي تكلم بها في قلبي إلى مضاعفة جهودي.

وقد رأيت هذا في كل مجالات الحياة. ومع نموي في كلمة الله، أصـبحت لي القدرة علـى أن أفعـل المزيد في وقت أقل. لقد اكتشـفت طرقًا للحق، وفرت لي سـاعات وأيامًا بل وشـهورًا أيضًا من الوقت. أصبحت الصلوات أقوى، وحضور الله أقوى، والتأثير على النـاس أكثر فعالية. يوجد وعد في الكتاب المقدس يقول: «**بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم. لأنه بي تكثر أيامك وتزداد لك سنو حياة**». (أم ٩: ١٠ ـ ١١).

لنا وعد بشـيئين هنا: المزيد من السـنين، مما يعني حياة أطول، وأيامًا مضـاعفة أيضًا. هذا لا يعني المزيد من السنين، بمعنى الزيادة او الفائض، بل بمعنى القدرة على تحقيق المزيد في نفس المقدار من الوقت. ويوصـف هذا في موضـع آخر على أنه طول الأيـام. «**فإنها تزيدك طول أيام وسـني حياة وسـلامة**». (أم ٣: ٢). يتحدث الكاتب عن التمسـك بكلمة الله، كما ذكر بطرس سـابقًا. لاحظ أننا لا ننال الحياة الطويلة فحسـب، بل أيضًا طول الأيام. إنه يضاعف وقتنا.

التضاعف من خلال العطاء

أي شخص يعرف الله عن قرب، يصير معطيًا فرحًا وسخيًا، لأن الله نفسه سخي في العطاء. لقد أعطانا أعظم عطية في الوجود، وهي ابنه الوحيد. لم يكن هناك ما هو أغلى عنـده من يسـوع. إن الرب لا يعطي أبدًا عطايا غير مهمة بقلـب غير مهتم. بل قد أعطى

يسوع، بحثًا عن الحصاد المتكاثر، والذي هو أن يأتي الكثير من البنين والبنات إلى عائلته، ولا يزال الحصاد مستمرًا.

يعتبر العطاء بإيمان، طريقة أكيدة أخرى، لمضاعفة ما لدينا. إذ يمكنه أن يكثر ما نمتلكه، ليؤثر أبديًا على حياة أشخاص آخرين، مثلما فعل الآب مع يسوع. يخبرنا يسوع بوضوح قائلًا: «وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية». (لو١٦ : ٩). إن أموالنا إذا استخدمت بالصورة الصحيحة، يمكنها أن تؤثر على نوعية حياتنا في السماء، وفي أورشليم الجديدة، بعد أن تزول الأموال بوقت طويل. «كما هو مكتوب فرق [من يفعل الخير]. أعطى المساكين. بره يبقى إلى الأبد». (٢كو٩ : ٩)

والمساكين ليسوا فقط الفقراء ماليًا، بل هناك أيضًا المساكين بالروح. يمكن أن يكون لدى الإنسان ملايين الدولارات، ومع هذا، يكون مسكينًا روحيًا. سمى الملك داود نفسه المسكين والبائس (مز ٨٦: ١) بالرغم من أنه كانت لديه خزائن من الذهب والفضة. عندما وصف يسوع إرساليته قال: «روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين». (لو٤ : ١٨). كان هناك أثرياء خدمهم يسوع، لكنهم كانوا يحتاجون إلى كلمة الله. تقوم الخدمات لكي تعمل عمل يسوع، وهو أن تعلن كلمة الله وتعلمها للمساكين. وعندما نقدم المال لعمل الله، نزرع بهذا في المساكين وتبقى أعمالنا إلى الأبد.

لا يهم مقدار المال الذي لديك، سواء كان قليلًا أو كثيرًا. فطالما كانت لديك بذرة، والتي يقول الله إنه سيعطيها لك، يمكنك إذًا أن تضاعف مجهوداتك في بناء الملكوت. كيف يتضاعف؟ فكر في بذرة التفاح. إذا زرعتها سوف تحصل في النهاية على محصول تفاح، لكن الأهم من هذا، هو أنه بداخل كل هذا التفاح، توجد بذار أكثر بكثير. إذا زرعت كل هذه البذار، سوف تطرح أضعافًا كثيرة، وتستمر هذه الدورة. وهذا بالضبط ما يحدث في أموالنا. انظر إلى ما يقوله بولس لأهل كورنثوس بخصوص تقدماتهم:

> هذا وإن من يزرع بالشح فبالشح أيضًا يحصد. ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا يحصد. كل واحد كما ينوي بقلبه ليس عن حزن أو اضطرار. لأن المعطي المسرور يحبه الله.
> ٢ كورنثوس ٩: ٦ ـ ٧

إن حصادنا المتكاثر يتناسب تناسبًا مباشرًا مع القدر الذي نزرعه. لاحظ أنه لا

يكون بحسب ما يقرره الله، بل بحسب ما نقرر نحن أن نقدم. إذا نوينا في إيمان ومحبة أن نكون أسخياء، سوف تتضاعف تقدماتنا كثيرًا. «والذي يقدم بذارًا للزارع وخبزًا للأكل سيقدم ويكثر [مخزون] بذاركم وينمي غلات بركم». (٢كو ٩: ١٠).

سوف يزيد الرب بذارنا المخزونة، وهو أمر مشابه لمثال بذرة التفاح التي قدمتها للتو. إذا زرعناها، سوف نحصل على المزيد من البذار، وتستمر العملية حتى نجد أننا نمتلك مخزنًا من البذار، مما يمنحنا قدرة أكبر على أن نبارك الآخرين.

ومن خلال عطائنا، سوف ينمي الله أيضًا غلات برنا. هذه هي النقطة التي يزداد فيها الأمر إثارة. فهي تتحدث عن زيادة حصادنا من المكافآت الابدية من حياة الناس الذين لمسناهم من خلال تقدماتنا. ولهذا، فإننا نضاعف في الأساس منانا مثل العبيد الذين في المثل السابق.

الشراكة مع الآخرين

يأتي عطاؤنا للآخرين، خصوصًا من لهم احتياج ولا يمكنهم أن يردوا لنا المال، بالمكافآت هنا في هذه الحياة وأيضًا عند الدينونة. ولكي نضاعف جهودنا لبناء الملكوت، يمكننا أن نفعل هذا من خلال الشراكة في الإنجيل. انظر ما يقوله بولس إلى المؤمنين في فيلبي، الذين دعموا خدمته ماليًا:

> غير أنكم فعلتم حسنًا إذ اشتركتم في ضيقتي. وأنتم أيضًا تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم. فإنكم في تسالونيكي أيضًا أرسلتم إليّ [مساهمات] مرة ومرتين لحاجتي. فيلبي ٤: ١٤ـ١٦

لاحظ أن بولس يتحدث عن شراكة مؤمني فيلبي مع خدمته. وتعريف الشراكة هو: علاقة بين أفراد أو مجموعات تتسم بالتعاون المتبادل والمسؤولية المتبادلة، كما في تحقيق هدف محدد.[٢] والشراكة السليمة الممنوحة من الله دائمًا ما تعطي الأفراد الداخلين فيها، القدرة على فعل ما هو أكثر مما يحلمون أن يفعلوه بمفردهم.

وكما قلت مرارًا وتكرارًا، فإن يسوع يوصينا أن نذهب إلى العالم أجمع، ونتلمذ

كل الأمـم، وليس فقط من نالـوا التجديد. وهذا التكليف يشـمل كل مؤمـن. إلا أنه لو كان كل المؤمنين في موقعهم متفرغين لإتمام هذه الإرسالية، كيف يمكن إذًا تمويل الإنجيـل؟ (مرة أخرى هذا هو السـبب الذي لأجله يعطـي الله دعوات ومواهب مختلفة للأفراد). لم يقصـد الرب أبدًا أن تحصل الخدمات على احتياجاتها المالية من توزيع الملائكة أو من مال ينزل من السـماء. بل قد عهد لجسـده بامتياز العطاء، مما يخلق الشراكة.

لقد قدم الله الدعوة للخدمة وعيّن مواهب الخدمة للوصـول إلى الجموع. وكما قلت سـابقًا، فإنه يعطي مواهب وقدرات ومسحة خاصة لتتميم هذا القصد. لم يعطِ الله هذه المهمـة للجميـع، بل للبعض في الكنيسـة (انظر أف ٤: ١١). أما الباقين فقد أوصـاهم وعهد إليهم بجزء آخر مكمل. وهذا يشـمل العمل، وجني المال أو الحصول على رواتب، وتوصيل الإنجيل لمن هم داخل نطاق تأثيرهم. لكن إذا كنت تعمل طوال الوقت، فكيف يمكنك أن تصل إلى الجموع؟ والإجابة توجد عن طريق الشراكة.

إذا كان لديـك منتـج يغيـر حيـاة الناس، لكنك لا تسـتطيع ان تنتج سـوى وحدتين منـه فقط في الشـهر، سـيكون مسـتحيلاً أن توزع هـذا المنتج على مدينتك أو بلدك أو العالم. لكن إذا كانت هناك شركة لها القدرة والمعدات الخاصة اللازمة لإنتاج وتوزيع الآلاف مـن هذه المنتجات نفسـها في الشـهر، فسـوف تعقد معها شـراكة حتى يمكنك إتمام المهمة. وبهذا سوف لن تصل إلى شخصين فقط في الشهر (الكرازة الشخصية) بل أيضًا إلى الآلاف الإضافيين الذين تصل إليهم الشركة. سوف تكون قد ضاعفت وزناتك ومجهوداتك بفعالية من خلال الشـراكة البسـيطة. هذا المبدأ ذاته ينطبق على تعليقات بولس على أهل فيلبي. إذ يكمل كلامه فيقول:

> «ليس أني أطلب العطية [عطيتكم] بـل أطلب الثمر المتكاثر [المتضـاعف] لحسـابكم [حصـاد البـركات المتراكـم فـي حسـابكم]». فيلبـي ٤: ١٧

لاحظ عبارة «الثمر المتكاثر [المتضـاعف] لحسـابكم». لقد ضـاعف مؤمنو فيلبي جهودهم في الوصول إلى النفوس، وتعليمهم من خلال زرع الماليات في حياة وخدمة بولس عن طريق الشراكة. لقد قدموا ما هو وقتي وبالتالي حولوه إلى ما هو أبدي، وفي هذه العملية تكاثر وتضاعف أيضًا.

عندما تدخل في هذا النوع من الشراكة، يقول بولس إنك ستنال: «حصاد بركات متراكم في حسابك». هذا هو حسابك السماوي. عندما تقف أمام كرسي المسيح، لن تجازى فقط على الناس الذين أثرت عليهم بصورة شخصية في مكان العمل أو في الحي أو المدرسة، إلخ، بل سيكون هناك آلاف أو ملايين الآخرين الذين وصلت إليهم ودربتهم من خلال الشراكة مع الخدمات التي عينها الله. ولهذا السبب يقول لنا الكتاب المقدس: «ارم خبزك على وجه المياه فإنك تجده بعد أيام كثيرة. أعط نصيبًا لسبعة ولثمانية أيضًا». (جا ١١: ١ ـ ٢). أمر مهم أن نلاحظ أن هذا لا يشمل العشور (١٠ بالمائة من دخلك). إذ يجب أن تقدم هذه إلى كنيستك المحلية، أما تقدمة شراكتك فهي ما يزيد على العشرة بالمائة الأولى.

وعندما تعطي باستمرار للخدمات التي عينها الله، تشترك معهم أيضًا وهم يلمسون الآخرين من خلال حملاتهم. فيكون لك دور في كل هذا، لأنك شريك معهم. ها هي الأخبار المفرحة: كلما استثمرت أكثر، زادت مكافأتك. اعلم أن الله لا يحكم على العطية بمبلغها، بل بأمانتك في زرعها. إن الله الآب يبحث عن عطايا القلب الجيدة. فهو يحبها ويباركها، وليس فقط المبلغ. على سبيل المثال، قد يكون شخص ما أمينًا، ويقدم للخدمة ثلاثين دولارًا كل شهر، وقد تكون هناك تكلفة شخصية عليه نتيجة هذا. سوف يرى الله هذه العطية على أنها أكثر من مجرد عطية مالية، لأنها مقدمة من قوت يومه. وقد يكون هناك شخص آخر يقدم ألف دولار كل شهر، لكن هذه التقدمة معطاة من فضلته. لا توجد تكلفة شخصية أو تضحية في هذه العطية. العطيتان جميلتان وقيمتهما كبيرة عند الله، لكن الشخص الذي أعطى أكثر من وجهة نظر الله، هو الذي أعطى الثلاثين دولار. ويمكننا أن نرى مثالًا لهذه العملية في المرأة التي قدمت الفلسين (انظر مر ١٢: ٤١-٤٤).

يجب أيضًا أن ننتبه إلى أن الله يضاعف عطيتنا في هذه الحياة الأرضية أيضًا. فهذا التدفق يعطيك قدرة أكبر على أن تعطي المزيد. يقول الكتاب المقدس: «يوجد من يفرق [بسخاء] فيزداد أيضًا». (أم ١١: ٢٤). فكر في الأمر، لن ينمو استثمارك فحسب، بل سوف يتوسع أيضًا في العالم الطبيعي، وهذا يمنحك القدرة على الوصول إلى المزيد. إنها دورة تجدد نفسها وتزداد باستمرار.

منذ اثنتي عشرة سنة، اجتمع عدد من رجال الأعمال الذين أعرفهم، والتزموا

بتخصيص قسم معين من أرباح أعمالهم لامتداد الإنجيل. بدأ الأمر كله صغيرًا، لكن مع مرور عام بعد الآخر، كان ينمو. ظلوا ثابتين في عطائهم وشراكتهم. والآن اتسع عطاؤهم للدرجة التي قدموا فيها أكثر من ١٢٠ مليون دولار للإنجيل. لقد أخذوا مناهم وضاعفوها لأجل مقاصد الملكوت، ومكافأتهم ستكون عظيمة.

يوجد عدد كبير من الرجال والنساء في الكنيسة أصحاب أعمال تجارية ناجحة للغاية. إلا أن الكثيرين يعطون للملكوت جزءًا ضئيلًا مما ربحوه. وبالرغم من أنهم ناجحون للغاية في نظر المجتمع، لكن ماذا ستكون نظرة السيد لما تمسكوا به؟ حتى إذا كانوا يجنون الملايين، هل سيدانون مثل الشخص الذي أخفى مناه؟ إنهم لم يضاعفوا ما أُعطي لهم لأجل الملكوت. من يعيشون بهذه الطريقة ليسوا منقادين بالأبدية.

على الجانب الآخر، نعرف أنا وزوجتي رجلًا زرع في كنيستنا، وكان نشطًا للغاية في هذا، وكان يخدم في أي مكان كنا نحتاجه فيه. كان يعرف أنه ليس مدعوًا للتفرغ للخدمة، بل لكي يعمل في سوق العمل. فوضع هدفًا له، أن يحيا بعشرة بالمائة من دخله ويقدم تسعين بالمائة. وقد فعل ذلك. وبهذه فبهذه العشرة بالمائة، كان يقود سيارة جميلة ويعيش في بيت جميل. لقد جعلت شراكته في الملكوت أعماله التجارية تزدهر، والعشرة بالمائة التي تخصه تتوسع. لقد طبق مبادئ يسوع: الأمناء في القليل سوف يكونون أمناء في الكثير.

سبب آخر للشراكة، هو أنها هي فرصتنا أن نشكر الخدمات التي لمستنا. يقول بولس: «**إن كنا نحن قد زرعنا لكم [بذرة] الروحيات أفعظيم إن حصدنا منكم الجسديات؟ إن كان آخرون شركاء في السلطان عليكم أفلسنا نحن بالأولى؟**» (١ كو ٩: ١١ – ١٢). وينعكس هذا في العالم الطبيعي أيضًا. إذا أعطيت عطية من صديق ما، لن تكتب بطاقة شكر لصديق آخر. بل سوف تشكر الشخص الذي باركك، وبهذا سوف ترسخ العلاقة بينكما. لقد صمم **الله** الأمر هكذا لسبب، لأنه كلما زاد عدد الناس الذين تلمسهم خدمة ما، زادت الاحتياجات المالية لتشغيل هذه الخدمة. لذلك إذا قدم كل من لمستهم هذه الخدمة أموالًا مرة أخرى إلى الخدمة (حتى إذا كانت هذه الأموال هي فلسا الأرملة)، فستتم تغطية مصروفات الاستمرار في هذا المستوى من الخدمة، والتوسع أيضًا.

يختم بولس كلامه لأهل فيلبي بالقول:

ولكني قد استوفيت كل شيء واستفضلت [بتقدمتكم المالية]. قد امتلأت إذ قبلت من أبفرودتس الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله. فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع. فيلبي ٤: ١٨ ـ ١٩

إن وعد الله بأن يملأ كل احتياجنا بحسب غناه، مقدم لمن يشاركون مع الخدمات. إذا كنت تقدم العشور وتشارك مع الخدمات، يمكنك أن تقف ثابتًا على هذا الوعد من الله. لن تحتاج أبدًا.

التضاعف من خلال الصلاة

توجد طريقة أخرى للتضاعف وهي من خلال الصلاة. تمامًا كتقديم أموالنا للخدمات، يمكننا أيضًا، أن نلمس حياة الناس الذين لن نقابلهم إلا في السماء، من خلال الصلاة لأجل أفراد وعائلات وكنائس ومدن وبلاد. يمكننا أيضًا أن نلمس حياة الناس من خلال الصلاة لأجل الخدمات. في خدمتنا، لدينا شركاء ماليون وأيضًا شركاء صلاة. شريك الصلاة، هو الشخص الذي يتعهد بأن يصلي لأجل مؤسسة ماسنجر إنترناشونال يوميًا.

كثيرًا ما يأتي الناس إلي ويقولون: «إنني أصلي لأجلك كل يوم». ويمكنني دائمًا أن أميز ما إذا كانوا يفعلون هذا بإخلاص، أم أنهم فقط يقولون هذا. ولمن يتشفعون بإخلاص عنا أقول: «هذا أعظم شيء يمكنك أن تفعله لمساعدتنا». هذا حقيقي! فإذا صلى الناس، سوف ينال المزيد من الأشخاص لمسة ذات تأثير أعظم. كما أن الصلاة تجعل الله أيضًا يتحرك في قلوب البعض، لكي يقدموا تقدمات لعمله، لذلك إذا خيروني بين شريك صلاة وشريك مالي، سوف آخذ شريك الصلاة أولًا. إلا أن الاثنين ضروريان للغاية.

التضاعف من خلال مساعدة الخدمات

هناك طريقة أخرى للتضاعف، وهي من خلال مساعدة الخدمات. هناك الكثير من المساعدين وأعضاء فريق العمل في منظمتنا الذين نذكّرهم أنا وليزا باستمرار أنهم

سينالون الفضل عند كرسي المسيح على كل شخص تلمسه خدمتنا. أعرف هذا مما قاله داود لكل رجاله عندما عاد من المعركة.

في ١ صموئيل ٣٠، نجد حكاية داود عندما سعى وراء عماليق واسترد ما أخذوه وسلبوه من المعسكر. عندما رجع داود ورجاله إلى المعسكر، لم يشأ بعض الرجال الذين ذهبوا مع داود أن يشاركوا المكافآت مع من بقوا ليحرسوا الأمتعة. لكن اسمع رد داود: «كنصيب النازل إلى الحرب نصيب الذي يقيم عند الأمتعة فإنهم يقتسمون بالسوية. وكان من ذلك اليوم فصاعدًا أنه جعلها فريضة وقضاء لإسرائيل إلى هذا اليوم». (١صم ٣٠: ٢٤ ـ ٢٥).

يعد داود رمزًا للمسيح. ولهذا فإن عبارة «وكان من ذلك اليوم فصاعدًا أنه جعلها فريضة وقضاء لإسرائيل إلى هذا اليوم»، تخبرني أنها لازالت تنطبق اليوم على يسوع وكنيسته. كل من تلمسهم خدمة ما لا يُنسبون إلى القائد فحسب عند كرسي المسيح، بل إلى كل من خدموا وأعطوا وصلوا بأمانة، حتى وإن لم يكونوا في مشهد المعركة.

التوجه مهم

يوجد جزء مكمل لنوال المكافآت في خدماتك التي تقدمها وهو توجهك، كما ناقشنا من قبل، فإن ما يهم ليس هو أعمالنا فقط، بل والدوافع التي تحفز أعمالنا، وسوف تؤثر توجهاتنا على دوافعنا. يقول الله: «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض». (إش ١: ١٩).

أتذكر وقتًا كنت فيه في غاية الجفاف في حياتي مع الله. وبدا أنني لا أنال شيئًا من خدمات كنيستنا وخصوصًا من وعظ راعينا. ولم أكن أزهو بكل تأكيد. كنت أعمل ضمن فريق عمل هذه الكنيسة الذي بها ثمانية آلاف عضو، ويخضع عملي للراعي مباشرة، لكنني أصبحت منتقدًا له. وفي الصلاة في صباح أحد الأيام تكلم الله إلي وقال: «المشكلة ليست هي راعيك، بل المشكلة فيك أنت».

فذهلت. «ما هي مشكلتي؟»

ثم سألني الرب عما يقوله إشعياء ١: ١٩، فقلت الآية السابقة إذ كنت أحفظها. ثم

قال لي: «هذه هي مشكلتك. إنك تقول دائمًا إنك لا تحصل على الطعام، وهذا صحيح لأنك لا تأكل خير الأرض».

فعارضت على الفور وقلت: «إنني مطيع، أنا أفعل كل ما يطلبه مني الراعي!»

فرد الرب قائلاً: «أنا لم أقل 'إن كنتم طائعين تأكلون خير الأرض'. بل قلت 'إن شئتم وسمعتم ...'»

ثم قال لي: «إن الطاعة تتعامل مع أفعالك، أما المشيئة فتتعامل مع توجهك، وتوجهك بغيض!»

واستمر الرب يكشف لي كيف أنني كنت أطيع بل وكنت أبدو خاضعًا، لكن توجهي كان توجه الانتقاد والتذمر والإدانة، وبالتالي كان يؤثر على دوافعي في الخدمة.

فقدمت على الفور توبة، وفي الخدمة التالية انفتحت السماء. بدأت أستقبل من السماء مرة أخرى. ذرفت الدموع بينما كان الراعي يعظ، وأنا أفكر فيما فقدته طيلة شهور بسبب توجهي. بعد هذا بوقت قصير، أصبحت كلمات بولس الموحى بها بالروح القدس واضحة للغاية بالنسبة لي: « **لأني لهذا كتبت لكي أعرف تزكيتكم هل أنتم طائعون في كل شيء.** » (٢ كو ٢: ٩).

وقد أدركت أن الله سوف يمتحن توجه خضوعي من نحو مشيئته لنا. أنا لا أتحدث عن احتمال ما يحاول الشيطان أن يلقيه علينا، لأن يسوع قد دفع الثمن لكي يحررنا منه. يجب علينا أن نقاوم العدو بثبات من خلال الإيمان والصلاة والتكلم بكلمة الله. لكنني أتحدث عن توجهنا تجاه الطريق الذي اختاره الله لنا، لكي نسلك فيه. يقول بولس: « **فليكن فيكم هذا الفكر [التوجه] الذي في المسيح يسوع أيضًا** ». (في ٢: ٥). لم يشرب المسيح الكأس الذي أعده الآب له فحسب، بل فعل هذا عن رضا. ولهذا يقول لنا بولس يجب أن « تتجددوا بروح ذهنكم [يكون لكم توجه ذهني وروحي جديد] » (أف ٤: ٢٣).

لماذا؟ لأن توجهنا سوف يؤثر على دوافعنا، وعند كرسي المسيح سوف نجازى لا

على أعمالنا فقط، بل على دوافعنا التي كانت تحفزها أيضًا. دعنا ننظر مرة أخرى إلى كلمات بولس:

> **لأنه لا بد أننا جميعًا نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد [أجرة] ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا** [بالنظر إلى قصده ودافعه، وما حققه، وما انشغل به، وأعطى نفسه واهتمامه لتحقيقه]. ٢ كورنثوس ٥: ١٠

لقد أحزنني أن أرى البعض وقد أصيبوا بالمرارة في خدمتهم لله. لقد فقدوا رؤية المنظور الأبدي، ويستمرون في العمل، لكن توجههم أصبح منهكًا، ودوافعهم أصبحت حاسدة وتطلب ما لنفسها. وهذا يمكن أن يتسبب أكثر من أي شيء آخر يمكن أن أفكر فيه، في أن يجعل المزيد من الناس الذين بدأوا بشغف لا يكملون السعي. ولهذا يحذرنا الكتاب المقدس قائلاً: «**ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله. لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجًا فيتنجس به كثيرون**». (عب ١٢: ١٥).

لاحظ أنه يقول «كثيرون». لقد شهدت هذا أكثر من مرة على مدار العشرين سنة لي في تفرغي للخدمة، وكان يكسر قلبي. في الترجمة المنقحة للكتاب المقدس تشجعنا هذه الآية على «التبصر والملاحظة [أحدنا للآخر]». يجب أن نقول أحدنا للآخر كلمات تمنع هذه المرارة من أن تستقر، لأننا لا نريد أن نرى أحباءنا يسقطون أو يفشلون في نوال مكافأتهم الكاملة، بسبب توجه متأصل لا تتم مواجهته.

اعتنينا أنا وزوجتي بصورة خاصة بأولادنا وفريق العمل لدينا. ولأننا ندعى للسفر طوال الوقت، فأولادنا لهم نعمة على حياتهم بسبب هذا. إلا أننا لا نريدهم أن يخيبوا من هذه النعمة. لذلك تكلمنا معهم بكلمات لنشجعهم ونحمي توجهاتهم ونبقيهم أقوياء.

أتذكر في أحد الأيام، أنني جلست مع أبنائنا الأربعة وقلت: «يا أولاد، أنتم تعلمون جيدًا أنني أسافر أيامًا كثيرة خلال الشهر، وأمكم تسافر أيامًا قليلة خلال الشهر أيضًا. ونحن نفعل هذا لأن هذه هي دعوة الله على حياتنا. هذه هي الكيفية التي عيّننا لكي نلمس بها الناس لمجده، ونبني بها ملكوته. يمكنكم أن تنظروا إلى دعوة الله على حياتنا بطريقة من اثنين. يمكنكم أن تروها على أن والديكم يؤْخذان منكم، وأنكم

تُحرمون من الحياة الأسرية العادية. أو يمكنكم أن تروها على أنها خدمتكم، وليست مجرد خدمة والديكم. والطريقة التي تصبح بها خدمتكم هي أن تزرعوا والديكم – أي ترسلوهما إلى حياة الآلاف المضاعفة لأجل مقاصد الله. إذا كان توجهكم هو هذا، فكل شخص نلمسه ستكافأون أنتم عليه عند كرسي المسيح. إذا نظرتم للأمر على أننا نؤخذ منكم، فلن تنالوا مكافأة واحدة على حياة الناس الذين نلمسهم. لهذا يا أولاد، يتلخص الأمر كله في كلمة واحدة: التوجه».

استوعب الأولاد ما قيل لهم، ونتيجة لهذا لم يتذمروا أبدًا من ذهابنا. بل في الحقيقة، في مرات كثيرة عندما كنت أنا وليزا نتردد في قبول دعوة، كانوا يشجعوننا أن نفعل هذا. لدينا علاقة رائعة معهم، وكلهم يحبون الله. شكرًا لله على نعمته العجيبة. والآن نتيجة لهذا هم يضاعفون مناهم في سن صغيرة جدًا.

وقد فعلت الأمر نفسه مع فريق العمل لدي. قلت لهم: «يمكنكم أن تنظروا إلى عملنا هنا على أنه وظيفة، وفي النهاية سوف تشعرون بالتعب والمرارة ولن تنالوا مكافأة عند كرسي المسيح. أو يمكنكم أن تروه على أنه امتياز لكم تلمسوا به حياة الملايين. فمع كل كتاب ترسلونه، ومع كل رسالة إلكترونية تساعدوننا أن نجيب عليها، ومع كل اجتماع ترتبون له، إلخ، تكونون جزءًا حيويًا مما يفعله الله ليلمس حياة الناس الذين عين هذه الخدمة لكي تلمسهم. إنكم مثل رجال داود الذين يحرسون الأمتعة». فاستوعبوا الأمر، وأصبح لهم توجه رائع. إن وظيفتي كقائد هي أن تكلم بكلمات الحياة التي تساعد على حماية هذا التوجه، وإن كانت المسؤولية الأخيرة تقع على عاتقهم هم.

يساعدنا الحفاظ على التوجه الصحيح على مضاعفة منانا وإكمال السعي. إن الله يبني بيته الخاص، ويا له من امتياز أن نكون عاملين معه. لهذا مهما بدا دورك غير هام، تذكر أن كل دور هو دور حيوي. ويمكنك أن تكون فعالًا أو غير فعال، بحسب ما تختاره أنت. ورجائي لك هو ما قاله الرسول يوحنا: «انظروا إلى أنفسكم لئلا نضيّع ما عملناه بل ننال أجرًا تامًا». (٢ يو ٨).

الفصل الثالث عشر

التأثير الشخصي

وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري.
٢ تيموثاوس ٣: ١٠

سوف ننال المكافآت أو نختبر الخسارة تبعًا لتأثيرنا على حياة الآخرين. لن يكون هذا نتيجة خدمتنا فقط، بل سيكون أيضًا نتيجة لأمر لا يقل أهمية عن هذا، وهو حياتنا الشخصية والطريقة التي عشنا وعاملنا بها الآخرين.

إن الطريقة التي ننظر بها للآخرين هي ما يشكل تعاملنا معهم، سواء بطريقة بناءة أو مدمرة. إذا نظرنا للناس على أنهم أقل منا، فسوف نعاملهم هكذا، سوف نستخف باحتياجاتهم ونتكلم معهم باستعلاء. أما إذا كنا نقدّر الأفراد، فسوف نسعى أن نبني حياتهم ونقويها من قلب مليء بالتحنن والمحبة.

إذا نظرنا للناس على أنهم مصادر، فسوف نستغلهم، خصوصًا إذا كنا نعتبر أمنياتنا أو احتياجاتنا أو رغباتنا أكثر قيمة منهم. أما إذا كنا نرى الناس على أنهم الأشخاص المخلوقون على صورة الله والذين لهم ثمن وقيمة غالية جدًا، فسيكون دافعنا هو أن نبارك الآخرين، حتى عندما يبدو أن هذا على حسابنا. هذا هو السلوك المتمثل بالمسيح.

قبل أن أعرف يسوع كنت شخصًا يركز على ذاته للغاية. وبعد تجديدي في عام

١٩٧٩، كان لابد أن يهاجم الروح القدس الحصون الأنانية في أنماط سلوكي. ولا حاجة لي أن أقول إن العقد الأول لي في المسيح، كان فترة مواجهة قوية. كان أحد الحصون في حياتي، هو الشهوة الجنسية. كنت إذا تعرضت لإغراء الصور الإباحية، يصعب عليّ كثيرًا أن أقاوم. وبعد صراع دام لمدة ست سنوات، تحررت في اليوم الرابع من فترة صوم قضيتها في عام ١٩٨٥. وبمجرد أن تحررت، بدأت عملية التجديد في روح ذهني.

وعلى مر السنوات القليلة التالية، اكتشفت أصل الشهوة. استمرت محبة الله تنمو في قلبي، وتزداد قيمة الناس باضطراد. أدركت الأنانية المفرطة الكامنة في هذا الإدمان. كان النظر إلى امرأة في صورة إباحية، أو في شهوة، يقلل من شأنها ويعتبرها قطعة لحم، وقد نمت هذه الحقيقة وثارت داخل قلبي.

استمر إعلان أن المرأة مخلوقة على صورة الله ومكللة بالمجد والكرامة ينمو في داخلي. كنت أعرف هذا قبل ذلك بوقت طويل، لكنها كانت مجرد معرفة عقلية، ولم تكن جزءًا من كياني. وبعد فترة من الزمن، اكتشفت حقيقة عملية التغيير التي يجريها الله. عندما كانت الصور الإباحية تومض أمامي في لوحة إعلانات أو على غلاف مجلة أو في التليفزيون، كنت أشعر بالإهانة وأجد نفسي في غاية الضيق من أن هذه المرأة التي سفك يسوع دمه لأجلها، قد تم إنقاص قيمتها إلى مجرد قطعة لحم. لقد تغيرت كيفية تجاوبي تجاه المرأة بصورة هائلة مع نمو هذا الإعلان.

يذهلني كيف يعامل البعض حتى في الكنيسة النساء. فهم يزدرون بهن ويرونهن أقل قيمة، بل ويحتقرونهن أيضًا. وهذا أمر سخيف. فالرجال والنساء ورثة متساوون لملكوت الله، ويجب على الرجال، بما أنهم الأواني الأقوى (وهو ما يعني الأجساد الأقوى، وليست النفوس أو القلوب الأقوى) أن يكرموا النساء أكثر من أنفسهم. يجب على الرجال أن يحترموا النساء ويقدروهن ويحموهن ويسعون دائمًا لبنائهن. أيها الزوج، إنك رأس هذا الاتحاد، لكن الرأس في الملكوت يعني أن تبذل حياتك لأجل عائلتك من خلال الخدمة، ولا تعني أن تكون سيدًا على زوجتك وأولادك. إذا كنت ترى دور الرأس على أنه يضعك في مكانة أعلى من زوجتك، فسوف تعاملها بطريقة تجرح وتهدم بدلًا من أن تبني. وسوف تعطي حسابًا عن هذا عند الدينونة.

الرغبة في القبول

كانت هناك منطقة أخرى من الأنانية كشفها لي الله، وكانت أكثر خداعًا بالنسبة لي. في منتصف ثمانينات القرن العشرين، كنت أخدم ضمن فريق العمل بالكنيسة، الذي كان يبلغ حوالي أربعمائة شخص. كانت كنيستنا تخدم حوالي ثمانية آلاف عضو، وكانت ترسل الخدام إلى آلاف الكنائس على مستوى البلاد. وكنت أكره المواجهة في ذلك الوقت، لذلك كنت أتجنبها بأي ثمن. كنت في غاية اللطف والأدب مع الناس. وكلما أتيحت لي الفرصة، كنت أقول أشياء لطيفة للناس، حتى إذا كان ما أقوله غير صحيح. وقد اشتهر عني أنني أحد ألطف الناس بين العاملين. وكانت هذه التقارير ترجع إلي مرة أخرى، وكنت أستمتع للغاية بها.

ثم في أحد الأيام أثناء الصلاة سألني الله قائلاً «في ١كورنثوس ١٣ أين قلت إن 'المحبة لطيفة'؟»

فاستغربت بعض الشيء وأجبت: «ولا في أي موضع».

ثم قال لي: «يا ابني، أتعرف السبب الذي يجعلك تقول للناس الأشياء اللطيفة فقط، حتى عندما لا تكون صحيحة؟»

فأجبت: «لا أعرف، لم أفكر في الأمر من قبل».

فأجابني سريعًا قائلًا: «إنك تخشى رفضهم. فمن إذًا هو الذي تتركز عليه محبتك، أنت أم هم؟ إذا كنت تحب الناس حقًا، فسوف تخبرهم بالحقيقة، سواء أعجبتهم أم لا. سوف تهتم بالأكثر بخيرهم لكي تساعدهم، حتى إذا كان هذا يعني رفضهم لك».

ورأيت بوضوح أنانيتي المقنّعة بسلوكي المؤدب، واتضحت أمامي الحقيقة المؤلمة. لقد كنت أستغل الناس لأجل احتياجي للقبول. كنت أريد التشجيع لكي أخفف مظاهر عدم الأمان، ولم تكن أولويتي هي مساعدة الآخرين. بل كنت فقط أريد قبولهم.

ولهذا توجد خدمات لا حصر لها لا تعظ سوى بالجانب الإيجابي فقط من كلمة الله. فهم يحجمون عن الإنذار أو التقويم أو التوبيخ. ويتركز اهتمامهم على ألا يضايقوا

أعضــاءهم، وألا يـروا حجـم الكنيسـة يتقلص أكثـر مما يتركـز على محبتهـم لهؤلاء الأعضــاء. مــن هــو الذي تتركز عليــه محبتك، أنــت أم النـاس؟ إذا رأيت شخصًــا متجهًا نحـو جرف عميق وهو معصـوب العينين، ألن تصـرخ وتناديه لكـي يرجع عن الاتجاه الذي سيسـبب له الضرر؟ لقد سـمعت بعض هؤلاء «الخدام المحبين» وهم يتكلمون في جلســات خاصــة، وكانت الطريقة التي يتحدثون بها عن النـاس مزعجة. فهم يعاملون النـادليـن والحماليـن في الفنـادق وغيرهم مـن عمال الخدمات وكأنهـم مواطنون من طبقة أقل. كيف يؤثرون على النـاس خارج حياتهم العامة؟ إنهم سـوف يعطون حسابًا عن الكيفية التي أثروا بها على كل فرد تعاملوا معه.

من اللطف إلى الخشونة

بمجـرد أن نلـت هذا الإعلان، تأرجـح البندول إلى الجانب الآخر تمامًا. فأصبحت بعدها واعظًا خشنًا. كنت لازلت أفتقد محبة الله المشتعلة لأجل النـاس في داخلي. كنت أركـز علـى رغبتي فـي أن أكون على صـواب، أكثر مما أركز علـى الخير الأبدي للأفراد. كنت أحيانًا أدخل وأنفث النـار على الاجتماعات. كان التركيز لايزال عليّ، لكن أنانيتي أصـبحت مسـتعلنة بطريقة مختلفة. كان سلوكي مثـالًا تقليديًا لهذا النص الكتابي: « **العلم ينفخ ولكن المحبة تبني. فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئًا، فإنه لم يعرف شيئًا بعد كما يجب أن يعرف** ». (١ كو٨: ١ ــ ٢). وقد جاء هذا الجزء في ترجمة NLT الإنجليزية هكذا: «إنك تعتقد أن الجميع يجب أن يوافقوك في علمك الكامل. لكن بالرغم من أن العلم قد يجعلنا نشعر بالأهمية، إلا ان المحبة هي التي تبني الكنيسة حقًا».

عندما أتذكر الآن هذه الأيام الأولى في خدمتنا المتجولة، أتضايق للغاية من أجل بعض الرعـاة الذين كان عليهم أن يلملموا ما بعثرته أنا بعد رحيلي. لو كنت راعيًا في ذلك الوقت، ما كنت سـأدعو جون بيفيـر أن يأتي ويخدم في كنيسـتي بالتأكيد. إنني ممتن للغاية لأجل هؤلاء القادة الذين رأوا فيّ رغبة صـادقة لخدمة الله وشعبه، حتى وإن كنت لا أزال بحاجة إلى الكثير من النمو.

لـم أعـد أتملق لكي أحصـل على القبول وأتجنب الرفض، بل أصـبحت وقتها أتكلم بالحـق وأواجــه، لكـن بنفس الدوافع الأنانيــة المخفيــة، والتـي كان الله يطهرها في داخلي. وبعد سـنوات قليلة، انتقدني راعٍ شهير أمام بعض القادة ذوي النفوذ، وسمعت تعليقاتهـم من ثلاث قارات مختلفة. غضـبت للغاية وتحطمت فـي البداية، لكنني كنت

أعلم أن الشعور بالاستياء لن يفعل شيئًا سوى أن يجعلني أنحرف عن الله. في الحقيقة، لقد جعلني هجوم هذا الرجل عليّ أصرخ إلى الله، كما لم أفعل من قبل، لأنال المزيد من محبة الله. توسلت بشدة إلى الله أن يعطيني قدرًا أكبر من التحنن في حياتي. ودون أن أدرك، فقد كمّل الله مع مرور الوقت محبته في قلبي تجاه شعبه الغالي.

وأثناء هذه العملية، أعطاني الله إعلانًا غيّر خدمتي. قد تظن أنك سوف تسمع شيئًا عميقًا للغاية، لكنه في الحقيقة بسيط جدًا. بل ربما تظن أنه أمر سخيف حتى تتأمل فيه. كان الإعلان هو: «مقدار ملعقة من السُكَّر يساعد الإنسان على ابتلاع الدواء». لقد أدركت أن قدرة الدواء لا تنقص إذا تناوله الإنسان مع شيء حلو المذاق. بل سوف يسهل هذا تناوله، وفي كثير من الأحيان، يجعله ممتعًا أيضًا. والآن أسمع الكثير من القادة يقولون لي: «يا جون، يذهلني كيف جعلتنا كلنا نضحك بينما كانت كلمة الله تخترقنا وتقطعنا. لقد جعلت مثل هذا الموضوع الجاد أمرًا محببًا». وقد أدركت أن نعمة الله قد أنضجتني. وكم أشكره على هذا!

ومع أن الراعي الذي انتقدني أمام القادة الآخرين لم يقصد على الأرجح أن يباركني، إلا أنه فعليًا كان واحدًا من أعظم البركات في حياتي. يجب أن تتذكر أنه في بعض الأحيان سوف يستخدم الله النوايا السيئة للناس لكي يدخلك في مشيئته لحياتك. لقد استخدم خيانة يهوذا لكي يعزف بها لحن مصير يسوع، الذي هو الصليب. واستخدم نوايا إخوة يوسف الشريرة لكي يحقق بها حلم يوسف الذي منحه له الله. وغير هذا الكثير.

الهدف هو محبة الله

يتلخص الأمر كله في الطريقة التي نرى بها الناس. إذا سمحنا لمحبة الله وتحننه أن يزيدا في حياتنا، فلن نزدري بالآخرين. إن النظر إلى الناس على أنهم أقل منا، سوف يؤدي إلى أن نتعامل معهم بانتقاد، ويكون توجهنا من نحوهم هو الإدانة، ونتصرف تجاههم بخشونة، إلخ. انظر ما يقوله بولس لمؤمني رومية:

> وأما أنت، فلماذا تدين أخاك؟ أو أنت أيضًا لماذا تزدري بأخيك؟ لأننا جميعًا سوف نقف أمام كرسي المسيح ... فإذًا كل واحد منا سيعطي عن نفسه حسابًا [يقدم جوابًا فيما يختص بالدينونة] لله. رومية ١٤: ١٠، ١٢

إذا فشل المؤمنون في رؤية الوصية العظمى الثانية، التي هي أن يحب بعضنا بعضًا، فسوف نقع حتمًا في الفخ الذي يحكي عنه بولس في النص السابق، وهو الازدراء بالآخرين. توجد هذه الطريقة في التفكير بصفة خاصة عندما يمتلك المرء المعرفة الكتابية دون أساس ثمر الروح.

يقول لنا الكتاب المقدس إن الله محبة. لا يوجد موضع في الكلمة المقدسة نقرأ فيه إن الله له المحبة. الله له القوة، وله المواهب، وله السلطان، وغير ذلك الكثير. لكن يسوع هو جوهر المحبة ذاته. وبما أن هذا هكذا، فيجب علينا أن نكون مثله، لأننا مولودون ثانية بطبيعته. ولهذا يقول بولس:

> **إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة، فقد صرت نحاسًا يطن أو صنجًا يرن. وإن كانت لي نبوة، وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة، فلست شيئًا. وإن أطعمت كل أموالي وإن سلمت جسدي حتى أحترق، ولكن ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئًا.** ١ كورنثوس ١٣: ١ ـ ٣

لا تبدأ المحبة في كلامنا، لأننا يمكن أن نقول إننا نهتم بأمر شخص ما، لكن أفعالنا تنكر هذا. كما أنها لا تبدأ بأفعالنا أيضًا. لأن بولس يقول في الآيات السابقة إننا يمكن أن نقوم بأعمال لها مظهر أسمى أنواع المحبة – أي إعطاء الكل للفقراء والتضحية بأجسادنا – لكن يمكن أن يتم هذا بدون المحبة. وهذا يخبرنا أن المحبة الحقيقية تنشأ من القلب.

عندما نحب، سوف نكون صبورين ولطفاء نحو بعضنا البعض. لن نشعر بالغيرة من نجاح الآخرين، لأن رغبتنا ستكون هي أن نراهم يربحون. لن نتفاخر بأنفسنا أبدًا، وسنبتعد عن كل تعالٍ أو كبرياء. لن نصر على تنفيذ ما نريده، ولن نتضايق نتيجة عدم صبرنا، ولن نحتفظ بالإساءة عندما يخطئ إلينا أحد، بل سوف نختار أن نغفر ونترك أية ديون. لن نبتسم للظلم أبدًا، بل سوف تكون رغبتنا الشديدة هي الرحمة والحق. لن نيأس أبدًا من الناس أو نفقد إيماننا بهم، وسوف نظل دائمًا نرجو الأفضل ونصدق الأفضل. سوف نرى الآخرين دائمًا على أنهم أبرياء ما لم تثبت إدانتهم، وحتى في هذه الحالة سوف نظل نرجو توبتهم واستردادهم. سوف نمتلئ بالرجاء ونتحمل أية

ضيقات لأجل منفعة الملكوت أو خير شخص آخر. خلاصة القول، إننا سنحيا لأجل بناء الآخرين بحسب الله، وهو ما لا يوجد سوى في تمثلهم بالمسيح وتتميم مشيئته في حياتهم.

قائد لمس الكثيرين بصورة شخصية

حضرت مؤخرًا جنازة صديق عزيز لدي، اسمه جاك والاس. وهو الذي أسس كنيسة ديترويت وورلد أوتريتش، أو القافلة العالمية في ديترويت ميتشيجان. وهي كنيسة متعددة الأعراق نمت لتصل إلى أربعة آلاف عضو في ظرف عشر سنوات فقط. في طريقه إلى زيمبابوي ليعظ في حملة كرازية هناك، توفي إثر أزمة قلبية بعد أن نزل من الطائرة بقليل.

حضر آلاف الناس جنازته – منهم قادة من الخدمات من كل أنحاء الولايات المتحدة، وقادة المجتمع، ونواب رؤساء المؤسسات الكبرى، مع من يسميهم المجتمع العمال الكادحين ذوي الياقات الزرقاء، والمشردين في الشوارع، والأمهات اللواتي يعشن بقسائم الطعام التي تقدمها الحكومة. الكثيرون ممن لم يكونوا يعرفون يسوع ربًا لهم حضروا الجنازة ايضًا، مثل العاملين بالفندق والمطعم مع آخرين في المجتمع الذين أثر عليهم بصورة هائلة من خلال تعاملاته الشخصية معهم.

لم يدهشني الحضور من المواطنين من خارج الكنيسة، لأنني قضيت مع جاك وقتًا كبيرًا خارج كنيسته، وكنت أنال بركة من الطريقة التي كان يتصرف بها نحو كل من يقابله. كان يعامل كل فرد على أنه شخص ثمين، وله قيمة كبيرة. كان يترك بقشيشًا سخيًا للنادلات وموظفي الخدمة بالفنادق. كنت أحيانًا أتضايق بعض الشيء اعتقادًا مني أن هذا إفراط. لكن هذا التفكير الغبي تصحح في أحد الأيام عندما أخبرني كم كان كل هؤلاء الناس غالين وذوي قيمة كبيرة لدى الله. لم يكن جاك يجعلك فقط تشعر أنك أهم شخص عندما تكون معه. بل إنك أهم شخص بالفعل بالنسبة لجاك عندما يكون معك.

استمرت خدمة الجنازة لمدة أربعة ساعات ونصف. طُلب من الكثيرين من القادة الذين كانوا قريبين منه، أن يقوموا ويشاركوا بكلمات في دقائق قليلة. وبعد الاستماع إلى أربعة أو خمسة منا عن مدى قربنا منه، وما كان يعنيه بالنسبة لنا،

وقف أخيرًا قائد معروف للغاية وقال: «لقد ظننت أنني كنت أعز أصدقائه!» فضحك الجميع.

كلنا كنا نعرف أن جاك كان ينظر إلى كل واحد فينا ويعامله على أنه أقرب أصدقائه. لم يؤثر ذلك القائد العظيم على الأمم من خلال حملاته الكرازية وبرامجه التليفزيونية فحسب، بل أثر على كل من تعاملوا معه على المستوى الفردي. لم يكن يهم ما إذا كنت رئيسًا تنفيذيًا لمؤسسة كبرى، أو شخصًا في الرعاية الاجتماعية، فقد كان جاك يعرف كيف يتعامل معك ويحبك كإنسان. لم يكن جاك أمينًا فقط لدعوته ومواهبه، بل قد ضاعف مناه في كل مجالات الحياة.

البواب الذي لمس الآلاف

بعض الأفراد الذين لهم أعمق الأثر في حياتي لن تراهم على الإطلاق خلف المنابر. واحد منهم كان موظفًا ماليًا في مؤسسة روكويل إنترناشيونال، واسمه مايك، وعرفته بعد عامين فقط من معرفتي بالمسيح. كان يجلس بالقرب مني، واعتدنا أن نتحدث عن أمور الله أثناء فترات الراحة ووقت الغداء. وفي وقت لاحق كنا نتواصل بالساعات في منزل كل منا وفي الكنيسة. لقد كانت استقامة مايك وحكمته العملية المستمدة من الكتاب المقدس، هي التي أثرت عليّ أكثر من أي شيء آخر. كما تأثرت أيضًا بالطريقة التي كان يكرم بها زوجته وأولاده، ويحبهم ويحترمهم، وكان يفعل هذا مع كل من يقابله في طريقه.

تركت روكويل في النهاية واتجهت إلى الخدمة. وبعد هذا بوقت قليل، رحل هو أيضًا وبدأ شركته الخاصة للحسابات، وهي لا تزال قائمة حتى اليوم. أصبح عمله ناجحًا جدًا. وقد ساعد أكثر من اثني عشر ألف عميل في إقراراتهم الضريبية وكُتبهم وكان هناك خمسة آلاف يأتون إليه بصفة منتظمة لأجل أمانته واستقامته.

سألته مؤخرًا، كم من عملائه قد خدمهم بكلمة الله. فقال لي: «يا جون أقل تقدير هو تسعون بالمائة منهم». هذا يمثل أكثر من عشرة آلاف شخص.

ذهلت من هذه الإجابة. ثم سألته، كم عدد الذين قادهم إلى الخلاص. فكانت

إجابته هي: «المئات». وقال: «في الأسبوع الماضي فقط، قدت رجلًا كوبيًا إلى الرب، وصليت معه لكي يُشفى من السرطان».

كما أنه ساعد الكثير من الخدمات على تنظيم كتبها. وكانت خدمتنا واحدة منها، عندما كنا في مرحلة الطفولة. لقد رأى الدعوة على حياتي، وظل لسنوات كثيرة يقوم بعمل الإقرارات الضريبية لنا دون مقابل. لقد أثرت حياة مايك على الناس بطرق كثيرة.

أتذكر أثناء محادثاتنا الطويلة، أن مايك أخبرني عن بواب أثر على حياته أكثر من أي شخص آخر. لذلك اتصلت به مؤخرًا لكي أسأله مرة أخرى عن ذلك الرجل. وبدأ يبكي عبر الهاتف.

قال: «يا جون، انتهى الحال بستة من أعمامي وعماتي التسعة في المصحة العقلية. وأمي أيضًا انتهى بها الحال هناك. مات جديّ عندما أطلق عليهما أشخاص الرصاص. كانت عائلتي محطمة للغاية، وكنت متجهًا نحو هذا المصير أيضًا.

«لكن نتيجة الضغوط المالية، أرسلتني أمي إلى عائلة أخرى لكي ترعاني. وعشت معهم لمدة سبع سنوات. كان رب البيت بوابًا في أحد مصانع الورق المحلية. كان اسمه تشارلي. وقد أدت استقامته وتكريسه ليسوع ومحبته للناس إلى كسر اللعنة التي على حياتي. كل أسبوع كان يأخذني إلى الكنيسة ويعلمني طرق الله. وقد ساعد تأثيره على حياتي على تشكيل الشخصية التي أنا عليها اليوم. كتبت ابنتي ذات يوم مقالة وعنوانها: 'أعظم رجل لم أعرفه على الإطلاق'. وكان هو تشارلي».

أغلب الظن أنك لن تسمع عن تشارلي أبدًا على الأرض، إلا أن تأثيره قد لمس الآلاف من خلال خدمة مايك. كما أن تأثيره قد لمسني أيضًا من خلال مايك. ولهذا فإن الملايين الذين كان لي امتياز خدمتهم قد لمسهم تشارلي أيضًا بطريقة غير مباشرة. أترى كيف استطاع بواب واحد أن يضاعف مناه، وكيف سيكافأ مكافأة عظيمة في أحد الأيام؟

التأثير الممتد للأجيال

يذكرني هذا بقصة حقيقية قرأها لي أحد الموظفين لدي مؤخرًا. وهي عن ملحد اسمه ماكس جوكس، ورجل تقي اسمه جوناثان إدواردز. وها هي القصة:

كان ماكس جوكس الملحد يعيش حياة آثمة. فقد تزوج من فتاة شريرة، ونتيجة هذا الاتحاد مات ٣١٠ من نسله في فقر مدقع، وكان منهم ١٥٠ مجرمين، و٧ قَتَلة، و١٠٠ سكيرين، وأكثر من نصف النساء كن عاهرات. لقد كلف نسله البالغ من العدد ٥٤٠ شخصًا الدولة مليونًا وربع المليون دولار.

لكن حمدًا لله أن العكس صحيح أيضًا! فهناك سجل عن رجل أمريكي عظيم لله اسمه جوناثان إدواردز. عاش في نفس زمن ماكس جوكس، لكنه تزوج فتاة تقية. وتم إجراء بحث عن ١٣٩٤ هم المعروفون من نسل جوناثان إدواردز. أصبح ١٣ منهم رؤساء كليات جامعية، و٦٥ منهم أساتذة في الجامعات، و٣ منهم شيوخًا في مجلس الشيوخ الأمريكي، و٣٠ منهم قضاة، و١٠٠ منهم محامين، و٧٥ منهم ضباط جيش وضباط بحرية، و١٠٠ منهم وعاظًا ومرسلين، و٦٠ منهم كتابًا مرموقين، وواحدًا منهم نائب رئيس الولايات المتحدة، و٨٠ منهم أصبحوا موظفين عموميين في مجالات أخرى، و٢٩٥ منهم تخرجوا من الجامعة، وبينهم من كانوا حكامًا لولايات، وخدامًا إلى بلاد أجنبية. لم يكلف نسله البلاد ولا فلسًا واحدًا.١

هذه حالة أخرى من مضاعفة المنا. لقد أثر هؤلاء الرجال – تشارلي ومايك وجوناثان إدواردز – على عدد كبير جدًا من الناس. وقد أدى تأثيرهم إلى أجيال عظيمة. إلا أن خدمتهم الجهارية لم تكن هي التي أثرت على الآلاف الذين نتحدث عنهم، بل حياتهم الشخصية. هذا هو الامتياز الذي يمنحه الله لكل واحد منا.

إن الكيفية التي ترد بها على ضابط الشرطة، والأسلوب الذي تتحدث بها إلى راعيك، والطريقة التي تدير بها شؤونك المالية، والكلمات التي تستخدمها في مخاطبة الأفراد، وغير ذلك الكثير، تؤثر كلها على حياة الآخرين من حولك. هل ستكون بنّاءً أم حجر عثرة؟

> فإذًا كل واحد منا سيعطي عن نفسه حسابًا لله. فلا نحاكم أيضًا بعضنا بعضًا بل بالحري احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة ... فلنعكف إذًا على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض. رومية ١٤: ١٢، ١٩

يتحدث بولس عن هذا الأمر في علاقة مباشرة مع كرسي دينونة الله. فإن كل تأثير

لنا على الأفراد، سوف يُفحص جيدًا. مهم للغاية أن نبقي هذا الأمرأمام عيوننا طوال الوقت، لأنه سوف يدفعنا إلى أن نربح بدلًا من أن نتحذر لأنفسنا.

عاشت ريبكا روتر سبرينجر في القرن التاسع عشر، وحظيت بزيارة مطولة إلى السماء قبل ذهابها الأخير لتنال مجازاتها. وعندما رجعت، كتبت روايتها الكلاسيكية بعنوان داخل الأبواب. وهي تحكي عن قريب لها قضت معه وقتًا طويلاً في السماء. وحكت أن هذا القريب، وهو شقيق زوجها، كان قريبًا من السيد. وكانت كلماته لها هي:

«لو استطعنا فقط أن ندرك أثناء حياتنا الفانية، أننا يومًا بعد يوم نبني لأجل الابدية، كم ستختلف حياتنا من نواحٍ كثيرة! فسوف تصبح كل كلمة لطيفة، وكل فكرة جميلة، وكل فعل غير أناني، عمودًا له جمال أبدي في الحياة الآتية».[٢]

قيادة الآخرين إلى يسوع

أعظم تأثير يمكن أن يكون لنا على شخص ما، هو أن نقود ذلك الشخص إلى المسيح. عندما تفهم الدينونة الأبدية، سوف تتحفز لتخبر من تعرفهم بخطة الخلاص. يقول الكتاب المقدس: «رابح النفوس [لأجل الله، كصياد للناس – من يجمعهم ويستقبلهم لأجل الأبدية] حكيم.» (أم ١١: ٣٠).

عندما كنت مؤمنًا شابًا اعتدت أن أشعر بالدافع أن أكرز بالإنجيل لكل من أتعامل معه. لكنني تعلمت بعد هذا أن أنظر إلى الروح القدس وأنتظر إرشاده بخصوص متى أتكلم وماذا أقول. لقد أدركت أنه حتى يسوع نفسه قال إنه كان يفعل فقط ما رأى الآب يفعله. عندما نسير مع الله نجد فيضًا، وليس إلزامًا يؤدي إلى الإحباط ويبعد الآخرين.

لكن ستظل الرغبة الملحة في قيادة الآخرين إلى الحياة الأبدية موجودة دائما إلى أن نؤخذ إلى وطننا. إن محبة الله هي التي تنشط هذه الرغبة. فقيادة شخص ما إلى المسيح تجعل جميع الملائكة والله نفسه، يبتهجون بفرح لا ينطق به. ولها مجازاة معينة. يقول يسوع: «والحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمرًا للحياة الأبدية». (يو ٤: ٣٦).

كان لي امتياز قيادة زوجتي إلى الرب في أول لقاء لنا. بعد أن أتيت إلى المسيح

بوقت قصير، تعهدت ألا أقابل فتاة أخرى بغرض الزواج حتى يُحضر الله زوجتي إليّ. فقد اكتشفت أن الله أحضر حواء إلى آدم، ويمكنه أن يفعل الشيء ذاته لي. كنت قد التقيت بالكثير من الفتيات قبل أن أصبح مسيحيًا مؤمنًا، ثم بعد هذا تقابلت مع القليل من الفتيات المؤمنات واكتشفت أن هذا الأمر كان يعطل حياتي مع الله. فقد كنا عندما ننفصل، نشعر بتمزق وحزن شديد في نفوسنا. ولم يمضِ وقت طويل حتى اكتشفت أن هذا الأمر لم يكن صحيًا. لذلك تعهدت أن أصلي قبل أن أخرج مرة أخرى مع أية فتاة.

كانت زوجتي فتاة جذابة. وقال شخص آخر في بيت الطلبة إنها كانت أكثر فتاة متهورة في الحرم الجامعي. لا أعلم إن كان هذا حقيقيًا بالتمام أم لا، لكنه كان قريبًا من الدقة. لم أكن قد خرجت مع فتاة بغرض الزواج لمدة حوالي عام ونصف، لأنني في كل مرة كنت أسأل الرب فيها، كان يقول لي ألا أذهب. لكنني شعرت بإلزام من الروح القدس أن أطلب منها أن تأتي إلى نزهة درس الكتاب المقدس معنا. ووافقت هي أن تأتي.

بعد هذا رجعنا معًا إلى الجامعة وشاركتها بالإنجيل منذ منتصف الليل وحتى الواحدة والنصف صباحًا. وقاطعتني وطلبت أن تنال الخلاص على الفور. بعد هذا بوقت قصير عرف كلانا أنها كانت مشيئة الله لنا أن نتزوج. يمكنني أن أقول بصدق إنني حصلت على أفضل زوجة. فما كنت لأصل إلى ما أنا عليه الآن لولا زوجتي.

لقد لمست ليزا حياة مئات الآلاف من النساء. ويُطلب منها أن تعظ في مؤتمرات النساء في كل أنحاء العالم. الآلاف من النساء تحررن، وفتيات صغيرات تعهدن بطهارة الحياة، وعدد لا يحصى منهن شفين وخلصن من خلال الخدمة التي أعطاها لها الله. ماذا لو لم أكن قد انتهزت الفرصة لأوصل لها الإنجيل؟ ماذا لو كان خوفي من أن تسخر مني قد منعني من أن أخبرها عن يسوع؟ أؤمن أن الله كان سيرسل شخصًا آخر، وكنت سأفقد اختيار الله الأفضل لزوجتي، وكنت لن أصبح جزءًا من كل الناس الذين خدمتهم أبديًا. شكرًا لله لأجل عطاياه!

تذكّر أن البذرة سوف تتكاثر، لكن البذرة تبدو غير مهمة. إياك أن تعتبر قيادة الروح القدس من المسلمات، وعلى وجه الخصوص، إياك أن تتجاهله. فأكثر الأشياء غير المهمة التي قادني أن أفعلها، أصبحت هي أهم عوامل التضاعف في حياتي. إن الله يريدك أن تتضاعف. كما يريد الله أيضًا أن يكافئك على تضاعفك.

تحريض أخير

هناك مخاطرات كثيرة. لا يمكننا أن نستهين بالوقت الذي ائتمننا عليه هنا على الأرض. إن مصائر الناس الأبدية تعتمد على طاعتنا لخطة الله. ومشيئته هي أن يخلص الجميع، ويكونواعلى صورة يسوع. وهو لا يريد أن يُترك أحد.

لقد ضاع جيل كامل في البرية بعد الخروج من مصر. كان لهم واحد من أعظم القادة في كل الأزمنة، لكنهم مع ذلك فشلوا. يمكن أن يكون لنا قادة رائعون، لكن تقع على جيلنا مسؤولية تتميم خطة البنّاء الأعظم. لقد أصدر قراره قائلًا: «يُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى». (مت ٢٤: ١٤). دعونا لا نفقد تكليفنا! لقد حان الوقت، لقد اقترب الحصاد، وهو على الأبواب! إذا لم نحقق مستقبلنا الممنوح لنا منه، فسوف يقيم الله جيلًا آخر، كما فعل مع جيل يشوع، لكي يكمل بيته، لأنه قد سبق وقرر أن يكون بيته مملوءًا.

كل ما يلزم هو أن نقوم بدورنا ونضاعف ما عهد الله به إلينا. لا تشعر بالإحباط. لا تنظر لدورك على أنه غير مهم. لا تفقد حماسك. لا تتعامَ عن الرؤية السماوية الظاهرة في العهد الجديد، والموضحة في هذا الكتاب. لا يتوقف الأمر عند الآخرين في جيلك الذين يعتمدون عليك – وبعضهم في أشد الاحتياج لك أن تعلن يسوع لهم، وآخرون يحتاجون منك أن توصل لهم تشجيعه وقوته – لكن مصيرك الأبدي ينتظرك أيضًا. يمكنك أن تنجح من خلال الاعتماد المطلق على نعمته. فهو أمين!

إنني أخاطبك كمواطن رفيق لك في الملكوت. تمم دعوتك واجعل اختيارك ثابتًا، أكمل السعي بالتمام حتى النهاية. سوف ترجع بنظرك بعد ملايين السنين من الآن، وتفرح بما فعلته. لا توجد حدود للتكريس لمشيئة الله. لذلك اركض لكي تربح! وككلمات تشجيع ختامية، أتركك مع إحدى صلوات بولس الحارة لأجل جميع القديسين:

> والرب ينميكم ويزيدكم في المحبة بعضكم لبعض وللجميع كما نحن أيضًا لكم. لكي يثبت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه. ١ تسالونيكي ٣: ١٢ ـ ١٣

الملحق (أ)

النصوص الكتابية الخاصة بالمكافآت الأبدية

قولوا للصدّيق خير. لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم [سوف ينالون مكافأة رائعة]. ويل للشرير شر. لأن مجازاة يديه تُعمل به. إشعياء ٣: ١٠ _ ١١

في هذا الملحق سوف نفحص النصوص الكتابية التي تكشف المناطق الرئيسية للامتحان عند كرسي المسيح. فمن التقييم الإلهي إما أن ننال مكافآت أبدية أو نحتمل خسارات أبدية. تأمل في هذه الأجزاء الكتابية واسمح للروح القدس أن يخبئها في قلبك حتى يمكنك أن ترضي الله. سوف تكون مكافأتك الأبدية غنية وكاملة. تذكر أن بولس يقول إنه بما أننا سوف نواجه كلنا كرسي المسيح، «لذلك نحترص ... أن نكون مرضيين عنده» ؟ (٢ كو ٥: ٩).

عملنا لأجله

لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم. ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية. عبرانيين ٦: ١٠ _ ١١

فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله. متى ١٦: ٢٧

كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه. ١ كورنثوس ٣: ٨

وإن كنتم تدعون أبًا الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد، فسيروا زمان غربتكم بخوف. ١ بطرس ١: ١٧

أفعالنا

وها أنا آتي سريعًا وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله. رؤيا ٢٢: ١٢

طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن. نعم يقول الروح لكي يستريحوا من أتعابهم. وأعمالهم تتبعهم. رؤيا ١٤: ١٣

عيناك [يا الله] مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر أعماله. إرميا ٣٢: ١٩

بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون. حزقيال ١٨: ٢٠

تقوانا

يكافئني الرب حسب بري. حسب طهارة يديّ يرد لي. مزمور ١٨: ٢٠

عظيم [أنت يا الله] في المشورة وقادر في العمل الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر أعماله. إرميا ٣٢: ١٩

لأنه إلى العدل يرجع القضاء وعلى أثره [سوف يجازى] كل مستقيمي القلوب. مزمور ٩٤: ١٥

دوافعنا

أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى (الدوافع الخفية) لأعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله. إرميا ١٧: ١٠

إن قلت هوذا لم نعرف هذا. أفلا يفهم وازن القلوب وحافظ نفسك ألا يعلم؟ فيرد على الإنسان مثل عمله. أمثال ٢٤: ١٢

وأما أنا فأقلّ شيء عندي أن يُحكم فيّ منكم [في هذه النقطة] أو من يوم بشر. بل لست أحكم في نفسي أيضًا. فإني لست أشعر بشيء في ذاتي. لكنني لست بذلك مبررًا. ولكن الذي يحكم فيّ هو الرب [نفسه]. إذًا لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب [ثانية] الذي سينير خفايا الظلام [المخفية الآن] ويظهر آراء (دوافع ومقاصد) القلوب [الخفية]. وحينئذ يكون المدح [الواجب] لكل واحد من الله. ١ كورنثوس ٤: ٣ـ ٥

فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو الفاحص الكلى (الأفكار والمشاعر والمقاصد) والقلوب [العميقة] وسأعطي كل واحد منكم [مجازاة ما فعله] بحسب أعماله. رؤيا ٢: ٢٣

توجهنا

فإنه إن كنت أفعل هذا طوعًا فلي أجر (مكافأة). ولكن إن كان كرهًا فقد استؤمنت [بالرغم من هذا] على وكالة [مقدسة]. ١ كورنثوس ٩: ١٧

لأن من خدم المسيح في هذه فهو مرضي عند الله. رومية ١٤: ١٨

خافوا على أنفسكم من السيف لأن الغيظ من آثام السيف [التوجه يجلب الدينونة]. لكي تعلموا ما هو القضاء. أيوب ١٩: ٢٩

لأني لهذا كتبت لكي أعرف تزكيتكم هل أنتم طائعون في كل شيء. ٢ كورنثوس ٢: ٩

استقامتنا

يكافئني الرب حسب بري (استقامتي وإخلاصي عن وعي تجاهه). حسب طهارة يديّ يرد لي. مزمور ١٨: ٢٠

اقض لي يا رب كحقي ومثل كمالي (استقامتي) الذي فيّ. مزمور ٧: ٨

أمانتنا

الرجل الأمين كثير البركات. أمثال ٢٨: ٢٠

والـرب يـرد علـى كل واحـد بـره وأمانتـه. ١ صـموئيل ٢٦: ٢٣

اتضاعنا

لأن كل من يرفع نفسـه يتضـع (يوضـع في مكانـة **أقل** من الآخريـن الذين يُكرمون أو يكافأون)، ومن يضـع نفسـه (يحتفظ برأي متواضـع عن نفسـه ويتصرف بنـاء على هذا) يرتفع (رفعة في المكانة). لوقـا ١٤: ١١

«إنسـانان صـعدا إلـى الهيكل ليصـلّيا واحـد فريسـي والآخر عشـار. أما الفريسـي فوقف يصـلّي في نفسـه هكذا 'اللهم أنا أشـكرك أني لسـت مثل باقي الناس الخاطفيـن الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشـار. أصـوم مرتين في الأسـبوع وأعشـر كل ما أقتنيه.' وأما العشـار فوقـف مـن بعيـد لا يشـاء أن يرفع عينيـه نحو السـماء. بل قـرع على صـدره قائـلا: 'اللهم ارحمنـي انـا الخاطـئ.' أقـول لكم إن هـذا نـزل إلـى بيتـه مبـررًا دون ذاك. لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع.» لوقا ١٨: ١٠ـ١٤

كلماتنا

من ثمرة فمه يأكل الإنسان خيرًا. أمثـال ١٣: ٢

الإنسان يشبع خيرًا من ثمر فمه. أمثـال ١٢: ١٤

ولكـن أقـول لكـم إن كل كلمـة بطالـة يتكلـم بهـا النـاس سـوف يعطـون عنها حسـاب يـوم الديـن. لأنـك بكلامـك تتبـرر وبكلامـك تـدان. متـى ١٢: ٣٦ـ٣٧

كيـف أثرنا علـى حياة النـاس

لأن مـن هـو رجاؤنـا وفرحنـا وإكليـل افتخارنـا؟ أم لسـتم أنتـم أيضًـا أمـام ربنا يسـوع المسـيح فـي مجيئـه؟ لأنكم أنتم مجدنـا وفرحنـا. ١ تسـالونيكي ٢: ١٩ـ٢٠

إذًا يـا إخوتـي الأحبـاء والمشـتاق إليهـم، يـا سـروري وإكليلـي. فيلبـي ٤: ١

مـن يضـل المسـتقيمين فـي طريـق رديئـة ففـي حفرتـه يسـقط هـو. أمـا الكملـة فيمتلكون خيرًا. أمثـال ٢٨: ١٠

التعرض للاضطهاد لأجل البر

ولكن وإن تألمتم من أجل البر فطوباكم. ١ بطرس ٣: ١٤

طوباكم (يا لسعادتكم – بفرح الحياة والشبع بإحسان الله وخلاصه، بعيدًا عن حالتكم الخارجية – ويا لغبطتكم) إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم [بوصفكم سيئي السمعة] وعيّروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان. افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا. فهوذا أجركم عظيم في السماء. لوقا ٦: ٢٢ـ٢٣

لأني أنا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم. وأجعل أجرتهم أمينة (على آلامهم)، وأقطع لهم عهدًا أبديًا. إشعياء ٦١: ٨ـ٩

محبتنا لمن لا يحبوننا

بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئًا فيكون أجركم عظيمًا. لوقا ٦: ٣٥

إن جاع عدوك فأطعمه خبزًا، وإن عطش فاسقه ماء. فإنك تجمع جمرًا على رأسه والرب يجازيك. أمثال ٢٥: ٢١ـ٢٢

مباركتنا لمن لا يستطيعون أن يكافئونا

فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك. لأنك تكافى في قيامة الأبرار. لوقا ١٤: ١٤

وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك. لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية. متى ٦: ٣ـ٤

إكرام خدام الله و إضافتهم
أو الترحيب بهم و الاعتناء بهم

من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني. من يقبل نبيًا باسم نبي فأجر نبي يأخذ. ومن يقبل بارًا باسم بار فأجر بار يأخذ. ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره. متى ١٠: ٤٠ـ٤٢

ليعطِ الرب رحمة لبيت أنيسيفورس لأنه مرارًا كثيرة أراحني ولم يخجل بسلسلتي، بل لما كان في رومية طلبني بأوفر اجتهاد فوجدني. ليعطِه الرب أن يجد رحمة من الرب في ذلك اليوم. وكل ما كان يخدم في أفسس أنت تعرفه جيدًا. ٢تيموثاوس ١: ١٦ـ ١٨

لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم. عبرانيين ٦: ١٠

الصلاة

وأما أنت فمتى صلّيت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلّ إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية. متى ٦: ٦

كيف عملنا في وظائفنا

حافظ سيده يُكرَم. أمثال ٢٧: ١٨

وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث. لأنكم تخدمون الرب المسيح. وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة. كولوسي ٣: ٢٣ـ ٢٥

لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب، خادمين بنيّة صالحة كما للرب ليس للناس. عالمين أن مهما عمل كلُ واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدًا كان أم حرًا. أفسس ٦: ٦ـ ٨

عطاؤنا

وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية. لوقا ١٦: ٩

ليس أني أطلب العطية [عطيتكم] بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم [حصاد البركة المتراكم لحسابكم]. فيلبي ٤: ١٧

فــرّق، أعــطــى المــســاكــيــن، بــره قــائــم إلــى الأبـــد. قــرنـــه يــنــتــصــب بالمجد. مزمـور ١١٢: ٩

بالتأكيد هناك مجالات أخرى لم تتم تغطيتها، لكن من دراستي العامة للكلمة المقدسة، تبدو هذه بالنسبة لي هي المجالات الرئيسية. إذا التصقنا بكلمة الحياة، ولم نسمح لأنفسنا أن ننحرف عن الطريق الصحيح، فسوف نجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين طوال الأبدية.

المكافآت

من يعيشون في توافق مع رغبات السيد سوف ينالون مكافآت رائعة، ومكافأة الصديق تدوم إلى الأبد (مز ٥٧: ٢). من يظلون أمناء حتى النهاية سوف يُدعَون غالبين، ويعدهم يسوع بالكثير من الأشياء، وفيما يلي القليل منها فقط:

«من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله». (رؤ ٢: ٧)

«فلا يؤذيه الموت الثاني». (رؤ ٢: ١١)

«فسأعطيه سلطانًا على الأمم». (رؤ ٢: ٢٦)

«سيلبس ثيابًا بيضًا». (رؤ ٣: ٥)

«سأعترف [يسوع] باسمه أمام أبي وأمام ملائكته». (رؤ ٣: ٥)

«سأجعله عمودًا في هيكل إلهي». (رؤ ٣: ١٢)

«أكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي». (رؤ ٣: ١٢)

«أكتب عليه ... اسمي الجديد». (رؤ ٣: ١٢)

«سأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضًا وجلست مع أبي في عرشه». (رؤ ٣: ٢١).

«من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهًا وهو يكون لي ابنًا» (رؤ ٢١: ٧).

يَعِد الله خدامه الأمناء بالأكاليل. هذه الأكاليل لا تفنى (١كو ٩: ٢٥)، أي أنها لن تتلوث أو تتآكل أو تشيخ. وبعض الأكاليل المذكورة في الكتاب المقدس هي:

إكليل البر (٢تي ٤: ٨).

إكليل الافتخار (١تس ٢: ١٩).

إكليل الحياة (يع ١: ١٢، رؤ ٢: ١٠).

إكليل المجد (١بط ٥: ٤).

سوف يطرح الغالبون أكاليلهم عند قدمي الملك في سجود وحمد (انظر رؤ٤: ١٠-١١). أمر هام بالنسبة للرب ألا نفقد الأكاليل التي وعدنا بها، والسبب موجود في كلماته لنا: «ها أنا آتي سريعًا! تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك». (رؤ ٣: ١١-١٢).

الملحق (ب)

الخلاص، متاح للجميع

يوجد معياران للحياة، أحدهما يضعه المجتمع، والآخر يضعه الله. قد تعتبرك ثقافتنا «صالحًا» تبعًا لمقاييسها، لكن ما الذي يراه الله؟ يخبرنا الكتاب المقدس أنه لا يوجد إنسان يرقى لمعيار الله لما هو صواب. كما يقول الكتاب المقدس: «ليس بار ولا واحد». (رو ٣: ١٠). وأيضًا «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله». (رو ٣: ٢٣).

إن ارتكاب الخطية يعني عدم إصابة الهدف فيما يختص بمعيار الله. لم يُخلق الإنسان ليكون خاطئًا، بل اختار آدم هذا المسار بإرادته الحرة. لقد وضع الله الإنسان الأول، الذي هو آدم، في عالم جميل دون مرض أو علة أو فقر أو كوارث طبيعية. لم يكن هناك خوف أو بغضة أو خصام أو غيرة أو ما شابه ذلك. وقد دعا الله هذا المكان عدن، وكان هو جنة الله نفسه.

لكن اختار آدم أن يعصى وصية الله، واختبر على الفور الموت الروحي، وإن كان لم يمت جسديًا إلا بعد هذا بمئات السنين. ودخلت الظلمة إلى قلبه. يختلف هذا الموت الروحي عن الموت الجسدي في أنه في الموت الجسدي يصير الجسد غير موجود فيما بعد. أما الموت الروحي فأفضل وصف له هو الانفصال عن الله، الذي هو مانح الحياة كلها ومصدرها.

دخلت الخطية في تكوين آدم وأنجب أولادًا لهم نفس طبيعته. «وعاش آدم مئة وثلاثين سنة وولد ولدًا على شبهه كصورته». (تك ٥: ٣). ونظرًا لأن آدم أب، فقد وُلد نسله بنفس طبيعته. ومن هذه النقطة فصاعدًا، وُلد البشر جميعًا على صورة خطيته من خلال

والديهم. لقد سلم آدم نفسه ونسله إلى سيد جديد هو إبليس، ومع هذه العبودية استُعبد العالم الطبيعي أيضًا. بعد هذا أصبح هناك سيد قاسٍ له حق شرعي على خليقة الله المحبوبة. ويتضح هذا في الآيتين التاليتين:

> ثم أصعده [يسوع] إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان. وقال له إبليس: 'لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهنّ لأنه إليّ قد دُفع وأنا أعطيه لمن أريد'». لوقا ٤: ٥ـ٦

لاحظ أنه قد دُفع إلى إبليس. متى؟ والإجابة هي في الجنة، لأن الله في الأصل أعطى السيادة على الأرض للإنسان (انظر تك ١: ٢٦–٢٧). وخسر آدم الجميع، بما في ذلك نفسه ونسله في كل الأجيال. يقول الكتاب المقدس أيضًا: «العالم كله قد وُضع في الشرير». (١ يو ٥: ١٩).

قبل أن يطرد الله آدم من الجنة، أعطى وعدًا، أنه سوف يقوم مخلِّص ويبيد الأَسر والعبودية اللذين أُخضعت البشرية لهما. وقد وُلد هذا المخلِّص بعد هذا بأربعة آلاف عام من عذراء اسمها مريم. كان يجب أن تكون عذراء، لأن أبا يسوع هو الروح القدس الذي حُبل يسوع به فيها. لو كان يسوع قد ولد من والدين طبيعيين، لكان سيولد في عبودية آدم.

كان أبوه هو الله وأمه من البشر. وهذا جعله الله بالكامل وإنسانًا بالكامل. كان يجب أن يكون ابن الإنسان الذي يشتري حريتنا. ولهذا السبب كان يسوع يشير إلى نفسه باستمرار على أنه ابن الإنسان. ومع أنه كان مع الآب منذ البدء، إلا أنه جرّد نفسه من الامتيازات الإلهية وصار إنسانًا حتى يبذل نفسه كذبيحة خطية.

عندما ذهب إلى الصليب، حمل دينونة خطيتنا على نفسه، لكي يحررنا من عبوديتنا. تقول الكلمة المقدسة إنه «حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر». (١ بط ٢: ٢٤).

يا له من أمر مدهش! لقد أخطأ الإنسان إلى الله، ومع هذا فإن الله (الظاهر في

الجسد) هو الذي دفع ثمن خطأ الإنسان العميق. يقول الكتاب المقدس أيضًا: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية (ذبيحة خطية) لأجلنا لنصير نحن بر الله (حتى يتصحح موقفنا مع الله) فيه». (٢كو ٥: ٢١).

لاحظ أنه يقول إننا يمكن أن يتصحح موقفنا مع الله. لكننا لا ننال الحرية التي دفع هو ثمنًا عظيمًا لها، ما لم نؤمن في قلوبنا، أنه قد مات لأجلنا، وأقيم من بين الأموات، ثم نقبله ربًا لنا - أي عندما يصبح هو مخلِّصنا الشخصي. وكما يقول الكتاب المقدس: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله». (يو ١: ١٢ ـ ١٣).

عندما نقبل يسوع المسيح ربًا ومخلِّصًا شخصيًا لنا، نموت روحيًا ونولد ثانية. نموت كعبيد في مملكة إبليس، ونولد كأولاد جدد لله في ملكوته. كيف يحدث هذا؟ عندما نصدق هذا في قلوبنا، كل ما علينا أن نفعله، هو أن نعترف بأفواهنا بيسوع ربًا فنولد ثانية. تؤكد الكلمة المقدسة هذا الأمر قائلة:

> لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يُؤمَن به للبر والفم يُعتَرف به للخلاص. رومية ١٠: ٩ ـ ١٠

الأمر بهذه البساطة! إننا لا نخلص بأعمالنا الحسنة. فأعمالنا الحسنة لا يمكنها أبدًا أن توفر لنا مكانًا في ملكوته. لأنه لو كان هذا حقيقيًا، فالمسيح إذًا قد مات باطلًا. لكننا نخلص بنعمته. إنها عطية مجانية، لا يمكننا أن نعمل لكي نحصل عليها. كل ما علينا فعله هو، أن نسلم حياتنا له ربًا، أي كالسيد المرتفع. «وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام». (٢كو ٥: ١٥).

لهذا فإن كنت قد آمنت أن يسوع المسيح قد مات لأجلك، وكنت على استعداد أن تسلمه حياتك، ولا تعيش فيما بعد لنفسك، يمكننا إذًا أن نصلي هذه الصلاة معًا، وسوف تصير ابنًا لله:

يـــا إلهنا السماوي، أعترف أنني خاطئ ولا أرقـــى لمستوى برك. إنني أستحق الدينونـــة الأبدية على خطيتي. أشكرك لأنك لم تتركني في هذه الحالة. لأنني أؤمـــن أنك أرسلت يســـوع المسيح، ابنك الوحيد، الذي ولـــد من العذراء مريم، لكـــي يموت عنـــي ويحمل دينونتي علـــى الصليب. أؤمن أنـــه أقيم ثانية في اليـــوم الثالث، وهو الآن جالس عن يمينـــك بصفته ربي ومخلصي. ولهذا فأنا اليوم ــــــــــــــ من عام ــــ ٢٠، أقدم حياتي بالكامل لربوبية يسوع.

يـــا يسوع، أعترف بك ربي ومخلصي. تعال إلى حياتي بروحك وغيرني لأصير ابنًـــا لله. إنني أتخلى عن أمـــور الظلمة التي كنت أتمســـك بها قبلًا، ومن هذا اليوم فصاعدًا لن أحيا لذاتي بل لك، يا من أعطيتني ذاتك حتى أحيا إلى الأبد.

أشكـــرك يا رب، حياتي الآن بالكامل بيـــن يديك وفي قلبك. وكما قالت كلمتك، فإنني لن أخزى إلى الأبد.

والآن وقد خلُصت، فقد صرت ابنًا لله! كل السماء تفرح بك في هذه اللحظة!

مرحبًا بك في العائلة!

الحواشي

الفصل الأول

١. Webster›s Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language (New York: Gramercy, 1993), s.v. «eternity»

٢. The American Heritage Dictionary of the English Language, 4th ed. (New York: Houghton Mifflin, 2000), s.v. «eternity»

الأبدية: هي حالة أو صفة أن يكون الشيء أبديًا، الأبدي: الوجود خارج الزمن؛ ومن هنا: حالة الوجود خارج الزمن.

٣. Merril F. Unger, The New Unger›s Bible Dictionary, ed. R. K. Harrison (Chicago: Moody, 1988), BibleSoft PCStudyBible Versiob 4.

٤. Robert Young, Young›s Literal Translation of the Holy Bible, (Grand Rapids, Mich.: Baker, 1986)

الفصل الثالث

١. لوقا ١٦: ٢
٢. عبرانين ٤: ١٣
٣. يوحنا ٨: ٢٤
٤. أعمال ٤: ١٢
٥. يعقوب ٢: ١٠
٦. أفسس ٢: ٨-٩ (تم تغيير اسم الله إلى يالين ليناسب القصة).
٧. الجامعة ٩. ٥-٦
٨. أمثال ٢٤: ٢٠
٩. أمثال ١٣: ١٣
١٠. متى ٢٢: ١٣-١٤
١١. تيطس ١: ١٦ (تم تغيير اسم الله إلى يالين ليناسب القصة).
١٢. لوقا ٦: ٤٦
١٣. متى ٧: ٢١-٢٣ (تم تغيير كلمة السماء إلى أفابيل لتناسب القصة).
١٤. يعقوب ٢. ١٤ ، ١٧-٢٠ (تم تغيير اسم الله إلى يالين ليناسب القصة).

١٥. حزقيال ١٨: ٢٥ , ٢٧-٢٨
١٦. مزمور ٥٠: ١٦-٢١
١٧. متى ٢٢: ١٣
١٨. أمثال ٣٠: ١٢
١٩. متى ٢٤: ١٢-١٣
٢٠. ٢بطرس ٢: ٢٠-٢١ (تم تغيير اسم يسوع المسيح إلى يالين ليناسب القصة).
٢١. حزقيال ١٨: ٢٤-٢٧
٢٢. متى ٢٤: ١٣
٢٣. رؤيا ٣: ٥
٢٤. متى ٢٢: ١٣-١٤ (تم تغيير صيغة المذكر إلى المؤنث ليناسب القصة).
٢٥. عبرانيين ١٠: ٢٦-٢٧ , ٣٠-٣١ (تم تغيير اسم اللّٰه إلى يالين ليناسب القصة).
٢٦. يعقوب ٣: ١ (تم تغيير كلمة الكنيسة إلى المدرسة وتم تغيير اسم اللّٰه إلى يالين ليناسب القصة).
٢٧. مرقس ٩: ٤٢
٢٨. لوقا ١٢: ٤٥-٤٨
٢٩. يهوذا ١٣
٣٠. متى ٢٢: ١٣-١٤
٣١. رؤيا ١٦: ٥-٧

الفصل الرابع

1. The American Heritage Dictionary, 3rd ed. (New York: Houghton Mifflin, 1992), s.v. «elementary»

الفصل الخامس

1. Movie Reviews: The Matrix.http://www.pluggedinonline.com/movies/movies/a0000128.cfm. Accessed September 5, 2005.
2. Roberts. Alexander and Donaldson, James, eds. The Ante-Nicene Fathers. «Polycarp: Letter to the Philippians,» 10 vols. Grand Rapids: Wm. Eerdmans Publishing Company, 1985. Ch 1
3. Roberts. Alexander and Donaldson, James, eds. The Ante-Nicene Fathers. «Polycarp: Letter to Philippians,» 10 vols. Grand Rapids: Wm. Eerdmans Publishing Company, 1985. Ch 2

4. Roberts. Alexander and Donaldson, James, eds. The Ante-Nicene Fathers. «Clement of Rome Letter to the Corinthians,» 10 vols. Grand Rapids: Wm. Eerdmans Publishing Company, 1985. Ch 32
5. Roberts. Alexander and Donaldson, James, eds. The Ante-Nicene Fathers. «Clement of Rome Letter to the Corinthians,» 10 vols. Grand Rapids: Wm. Eerdmans Publishing Company, 1985. Ch 34
6. David W. Bercot, ed. A Dictionary of Early Christian Beliefs. Hendrickson Publishers, Inc. 1998, pg. 586

٧. المرجع السابق

٨. Josh McDowell, Evidence That Demands a Verdict (San Bernardino, Calif.: Here›s Life Publishers, 1972), 50 - 52.

الفصل السادس

١. Kenneth E. Hagin, I believe in Visions (Tulsa, Okla.: Faith Library Publications, 1984, pgs. 68- 71 (second edition: tenth printing).
2. From the UBS Handbook Series. Copyright ©1961 -1997, by United Bible Societies.
3. David W. Bercot, ed. A Dictionary of Early Christian Beliefs. Hendrickson Publishers, Inc. 1998.

4. المرجع السابق

5. المرجع السابق

6. المرجع السابق

7. المرجع السابق

8. The American Heritage Dictionary of The English Language, 4th ed. Houghton Mifflin Co., 2004 (software edition)

الفصل الثامن

١. لوقا ١٤: ١٢-١٤

٢. مرقس ١٢: ٤٣-٤٤

٣. كولوسي ١: ٢٨ (تم تغيير اسم المسيح إلى يالين ليناسب القصة).

٤. حزقيال ١٣: ١٠-١١

٥. ١كورنثوس ٣: ١٢-١٥

٦. ١تسالونيكي ٢: ١٩-٢٠
٧. متى ١٢: ٣٦-٣٧
٨. أمثال ١٢: ١٤
٩. إرميا ١١: ٢٠
١٠. إرميا ١٧: ١٠ (تم تغيير اسم الرب إلى ياليـن ليناسب القصة).
١١. هذه المحادثة مقتبسة من متى ٢٥: ٣٤-٤٠. وتم تغيير الضمير من الجمع إلى المفرد.
١٢. ٢كورنثوس ٩: ١٠
١٣. ٢كورنثوس ٩: ٩
١٤. لوقا ١٤: ١١
١٥. لوقا ١٩: ١٧.
١٦. رؤيا ٢: ٢٦-٢٧.
١٧. متى ٢٥: ٢١

الفصل العاشر

1. James Strong, Strong›s Exhaustive Concordance of the Bible (Peabody, Mass.: Hendrickson Publishers, 1988).
2. Biblesoft New Exhaustive Strong›s Concordance (Seattle, Wash.: Biblesoft, Inc., ver. 4, 1994).

الفصل الثاني عشر

1. Webster›s Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language (New York: Gramercy, 1993), s.v. «envy»
2. The American Heritage Dictionary of the English Language, 4th ed. Houghton Mifflin Co., 2004. (software edition)

الفصل الثالث عشر

1. Leonard Ravenhill, Sodom Had No Bible (Minneapolis, Minn.: Bethany House, 1971), 155.
2. Rebecca Ruter Springer, My Dream of Heaven: A Nineteenth Century Spiritual Classic: Originally Known As Intra Muros (Cincinnati, Ohio: Harrison House), 21.

حياة دافِعُها الأبدية

ما الذي يجعل كلمة الأبدية تجذب انتباهنا هكذا؟ بل، وفي الواقع، يمنحها إمكانية أن تؤثر على أمة بأكملها؟ لا يوجد عرق أو عشيرة أو نوع من البشر يمكنه أن يقاوم جاذبيتها. لقد خُلقنا وفي قلوبنا الأبدية، وإحساس الامتداد الباطني غير المعروف لوجودنا. ولهذا، فمن الحكمة أن نغوص إلى أعماق أكبر في ما يقوله خالقنا عن الأبدية، ففي النهاية تقول كلمته: «أيضًا من اليوم [منذ الأزل وإلى الأبد] أنا هو، ولا منقذ من يدي. أفعل، ومن يرد؟» (إش ٤٣: ١٣).

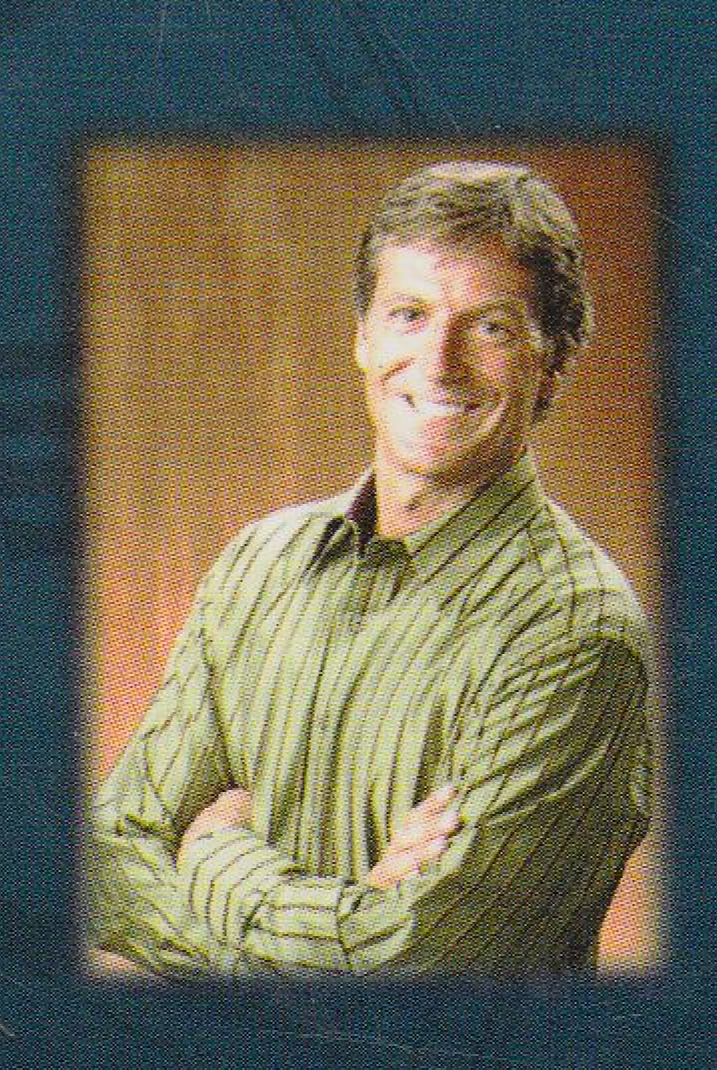
— «چون بيڤير»

يتحدث إلينا «چون بيڤير» - ذلك المؤلف ذائع الصيت - عن المبادئ الملزمة الخاصة بكيفية الحياة بالرجاء والضمان الذي يساعدنا حتى الأبدية.

الحق يقال إن معظم الناس سوف يشعرون بالعوز إذا خططوا لمستقبلهم بنفس الإهمال الذي استعدوا به للأبدية. حتى إن المؤمنين غالبًا ما يهملون هذا العنصر الحيوي من الحياة المسيحية. فغالبًا لا ننشغل كثيرًا بما سوف يحدث فيما بعد نهاية يومنا.

واستنادًا إلى المبادئ الواردة في (٢كورنثوس ٥: ٩-١١) يذكّرنا چون بيڤير بأن كل المؤمنين سوف يقفون أمام المسيح وينالون أجرة ما فعلوه في حياتهم. الكثيرون منا سيشعرون بالصدمة عندما يعرفوا أننا قد صرفنا غالبية وقتنا على أشياء غير مؤثرة من جهة المكافآت الأبدية.

عندما نبني حياتنا لتكون مستعدة ليوم الدينونة، وعندما يكون إطار مرجعيتنا هو الأبدية، سوف نبني بهذا حياة ذات معنى. وعندما نتعلم أن نظل ناظرين إلى الهدف، فسيتيح لنا هذا أن نبدأ في العمل للحصول على المكافآت التي تدوم – أي للأبدية.



يشتاق «چون بيڤير» إلى رؤية أشخاص يعمّقون علاق
ويلتقطون مشهد الأبدية. يعتبر چون مؤلفًا عالميًا حقق أ
مواد تعليمية حاصلة على جوائز، كما أنه متكلم في الم
وهو مقدم مشارك في البرنامج التليفزيوني «senger
يبث في ٢١٦ دولة. حصل چون على الدكتوراة في
هو وزوجته «ليزا»، التي تعد هي أيضًا مؤلفة ذائع
"Messenger International" في عام ١٩٩٠، التي
كولورادو بأستراليا والمملكة المتحدة. وهما يعيشان في
مع أولادهما الأربعة.

Prepare The Way
Translators & Publishers